

عمر النساى وفسیقیاءات الاکثام

شُرُّات
من ماضٍ
مجنون

الكتاب الأول
نباريس الموت
يحيى عمري

پکیجی عمری

نیا ریس الگوٹ

شمارت من ماضی مجئون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم السلسلة: عهد النساك وفسيفسأءات الآلام

اسم الرواية: نباريس الموت - شذرات من ماضي مجنون - (الجزء الأول)

تأليف: يحيى عمري

غلاف الكتاب: الفتاة ذات القرط اللؤلؤي - يوهانس فيرمير

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الناشر الأصلي: مسار للنشر والتوزيع- ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك

الزقازيق - الشرقية - مصر

سنة النشر: ١٤٤٤ هـ - 2023م. (الطبعة الأولى)

التقييم المحلي: 20021 / 2022

رقم الإيداع الدولي: 9-86272-977-9

ISBN



شارع حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

هاتف: 01020439639

البريد الإلكتروني: massar.pub1@gmail.com

يضم هذا الكتاب طبعة جديدة لرواية

نباريس الموت

The Lanterns of Death - Fragments from a past of a madman

Original Copyright © 2021 / 2025 by

Yahia Amri

All right reserved

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات. سواء كانت تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو أية وسيلة نشر أخرى، أو حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطى من المؤلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله، هادي كل قلب ومولاه، مؤنس القلب في شکواه، وميسّر المرء إلى رجواه، وأصلبي على سيدنا وحبيبنا، هادينا وصفوة الباري فينا، محمد صلى الله عليه وآلها وسلم، ما سارت كواكب السماء، وتلاقت عيون الوفاء، في الليالي الظلماء، وفي النهار الوضاء، وعند الصبح والإمساء... فصل يا رب عليه وببارك وسلم تسليماً كثيراً.

أولاً، وقبل كل شيء، الحمد لله الذي لولا توفيقه لما كان هذا العمل ليتقدّم ولو خطوة واحدة، ولو لا تشبيته عزوجل، لاستسلم كل شيء داخلي وتم التخلّي كلياً عن هذا المشروع، ولو لا متنّه العظيمة، لضاع مجهد سنين جدّ مضنية خلال لحظة خاطفة... فله الحمد في الأولى والآخرة.

الكثير من الذكريات لا تزال راسخة بيالي، والكثير من الذكريات لا تزال تداعب خيالي. إذن، تقديرني في المقام الأول، موصول من أعمق عمق في أعماق قلبي إلى آلاف، بل ملايين من الفراشات البديعة التي حلقت في سمائي وما فتئت تحوم حولي حتى بعد رحيلها من هذا العالم. وامتناني العظيم موصول كذلك إلى اليراعات المضيئة، التي لا تزال تثير دربي من خلال دعمها وبقائها قريبي في اللحظات الصعبة والأوقات المديدة، بكلّ صدق، ودون أيّة مبالغة، ما أنا إلا مجرد ريشة صغيرة ارتفعت في السماء ولم تسقط على الأرض، لأنّ الكثير من الأجنحة لا تنفك تخفق بقريبي... .

ختاماً أود القول أنه بالرغم من كل المراجعات، المرهقة والمتعبة، الطويلة والعديدة، بالرغم من كل خطوة تسلّد، وكل خطأ يصحح، ستبقى هناك بعض الأخطاء - (على الأقل العفوية) - فأرجو أن تتقبلوها، لأنّها أخطاء عفوية ارتكبت ببراءة تامة.

عجاً ذلـك السـروي القدـ أين صار؟
فـأين صار، واعجاً! من دونـا أين صار?
الـعشـوق، في مـنـتصف اللـيل، وـحـيدـاً أـين صـار؟
عن ذـلـك الشـبـيـه بـغـصـن الـورـد الجـمـيل: أـين صـار؟
ذـلـك الغـزالـ، في هـذـه الصـحـراء، أـين صـار؟
ذـلـك الجوـهـرـ، في هـذـا الـبـحـرـ، أـين صـار؟
ذـلـك الـذـي وجـهـه كـالـقـمـرـ فـوـق هـذـا الـمـرـفـعـ، أـين صـار؟
وـإـذـا لمـ يـكـنـ هـنـاـ، هـنـاكـ أـين صـارـ؟
حـينـ غـابـ هـذـا المـاءـ وـهـذـا الطـيـنـ، أـين صـارـ؟
حـينـ قـالـ: «الـشـمـسـ لـا تـخـفـي» أـين صـارـ؟

عجاً، ذلـك المـعـشـوقـ الجـمـيلـ أـين صـارـ؟
كـانـ بـيـنـا كـالـشـمعـ يـنـثـرـ النـورـ
إـنـ قـلـيـ يـهـتـزـ كـالـوـرـقـ كـلـ يـوـمـ:
فـاذـهـبـ إـلـى الـبـسـتـانـ، وـاسـأـلـ الـبـسـتـانـيـ
أـهـمـ يـمـ في الـصـحـراءـ كـالـجـنـونـ:
صـارـتـ عـيـنـايـ كـنـهـرـ جـيـحـونـ مـنـ الـبـكـاءـ:
إـنـيـ أـسـأـلـ الـقـمـرـ، وـالـزـهـرـةـ فيـ كـلـ لـيـلـةـ:
فـإـذـا كـانـ لـنـاـ، فـكـيـفـ يـكـوـنـ مـعـ الـآـخـرـينـ؟
وـإـذـا كـانـ قـلـبـهـ وـرـوـحـهـ مـتـصـلـلـينـ بـالـلـهـ
فـقـلـ بـصـدقـ: شـمـسـ الـدـيـنـ التـبـرـيـزـيـ

مولانا جلال الدين الرومي

مقدمة

"اكتشاف امتياز لدى الطفل، أقصد الطفل الصغير: الطفل الذي لا يخاف من أن يكون مختلفاً مجدداً، من أن يبدو مثل أحمق، من أن لا يكون جدياً، وأن يعمل بطريقة مختلفة عن أي شخص آخر. هو أيضاً ليس خائفاً من المذاق السيئة للأشياء التي هو مهتم بها، أو أنها تتغير لتكون مختلفة عن توقعاته، عمّا يجب أن تكون عليه. أو إلى حد ما هو ليس خائفاً مما ستكون عليه في الواقع."

الكسندر غروتينديك

عقرية وشغف، من عالمين مختلفين كلياً، امترجاً في عقل بطل هذه القصة: لونفيرو كيمراي، الذي مات منذ ما يقارب الثلاثة قرون.

رحل تاركاً لغزاً محيراً حول حجم الإرث الذي خلفه بعد رحيله. فهو سه بمحاهية الروح المسجونة، ولد لديه عقرية مجنونة، شغفه الشديد لرسم المحبوبة الروحية، دفعه لتجسيد مفاهيمها السحرية. بهذا بقي إرثه محصوراً بين عقربيته الجامحة، واضطراباته الواضحة، بين أحاسيسه المكبوتة، وانفعالاته الموقوتة، بين دعواته الخافتة وتوصياته الصامتة... بين دموع حزنه العارمة، ودموع فرجه الناعمة... مضت عقود دون أن يُفند أو يؤكّد وجود إرثه من عدمه بالنسبة للكثيرين.

حين اقتربت أيامٍ تعمال في الخفاء من قطع شوط كبير نحو كشف الإرث، وطى آخر الصفحات في قصة لونفيرو كيمراي تحررت عصافير عوالمه وتلأللت نجوم معالمه، رفقت أجنحة العصافير في سماء أفكاره، وسطعت أنوار النجوم في سماء أسراره، بهذا انها كل شيء بالنسبة لهم، والسبب أنهم اتخذوا خطوة خاطئة والطرق الخاطئة تغري

من يتخدّها دون أن توصله إلى وجهته!... وبهذا فقد أشرقت بداية جديدة لقصة لونفiro كيمراي.

إذن، هذه القصة سوف تتبع مسار الأحداث التي ستكتشف الغطاء عن أحد أهمّ الأسرار الغامضة في تاريخ أرض هوريكام المتوارية، وهذا بعد تعاقب عدة أجيال، ابتداءً من الشارات الأولى، ومروراً بكلّ الأسرار التي تركها لونفiro كيمراي وعمل على حمايتها، والظلال السوداء التي رغبت بشدة في ملامستها، وكذلك الدوافع العميقّة التي أدّت إلى كل ما حدث، انتهاءً بالوصول إلى: الأسود الجميل للونفiro كيمراي.

أحبّتي، هناك صنفان من العباقة، عباقة عاديون، وعواقة غير عاديين، عباقة مجانيّن، الفرق بينهما كالفرق بين القمر والشمس.

إذا دفن الصنف الأول نفسه، فسوف يزهر، إذا أحرق نفسه، فسوف يضيء، إذا أغرق نفسه، فسوف يتحول إلى لؤلؤ ومرجان... العقري العادي يرضيه التفتحّ. لكن إذا دفن العقري المجنون نفسه، فلن تستطيعوا تفادى الزلزال، إذا أحرق العقري المجنون نفسه، فلن تستطيعوا الفرار من ثوران البركان، إذا أغرق نفسه، لا تفرّوا، سوف يدرككم الطوفان.... العقري المجنون، لا يرضيه إلا الاكتساح... لا يمكن الصمود في وجهه، ولا يمكن تفاديه... لكن بعد الزلزال والبركان والطوفان، ستفتح الأرض من جديد وتزهر في حالة خلابة لتسقبل الربيع الجديد... فالعقري المجنون ليس شريراً، إنه يفعل ذلك بداعي الحب المطلق... هذا الحب يجعل العقري المجنون في كل لحظة، يبحث عن إفناه نفسه كلّياً.

أجل، حبه دّوامة بحرية دون مركز، بحر متقد دون شاطئ، إعصار هائج دون وجهة، زلزال مدمر دون بؤرة... لكن الطريقة التي سطّر الله بها هذا الحب في حياته، تحمله يتحرّ ساجداً في كل لحظة...

مقدمة خاصة

"المذهب عند أهل السنة والجماعة [السادة الأشاعرة والماتريدية] أن العقول متفاوتة بأصل الفطرة خلافاً للمعتزلة. وإنكار المشاهدة والعيان، فكم من صبي صغير يستخرج بعقله من العلوم ما يعجز عنه العاقل البالغ الكبير من غير سابقة تجربة ولا تعلم، وذلك هبة من الله يختص به من يشاء."

الإمام نور الدين الصابوني رضي الله عنه

الكافية في الهدایة / ص 52

أحد أجمل القوانين، قانون التجاذب الكوني لأب العلم الحديث بشكل عام، و الميكانيكا الكلاسيكية بشكل خاص، اسحاق نيوتن:

$$F = -G \frac{M_1 M_2}{r^2}$$

في غاية البساطة والروعة، حيث أن M_1, M_2 كيلتان - (في الصورة الخاصة)، وبعد بين مركزيهما هو r ، و G هو ثابت نيوتن. الكون جميل ورائع، ونيوتن لم يفکر أبدا فيما سيحدث حين يقترب r من الصفر، الحمد لله فالقمر والكواكب والشمس، كلها تبعد مسافة آمنة عن بعضها البعض، كل ما عليها فعله هو الدوران ورسم مداراً لها بأناقة.

كان نيوتن سعيداً، وكانت الفيزياء جميلة ورائعة، باسمة وضاحكة، إذ لا شيء يقلقنا حيال القانون أعلى. لكن لما اكتشفت الإلكترونات التي تدور حول نواة الذرة، اتضح أن المسافة أصبحت قريبة جداً من الصفر، وهذا يفجرنا في قوة لانهائية، وفكينا أن قانون نيوتن في حالة التفرد $r = 0$ ، سيأخذنا إلى الهاوية!

جاء فيرنر هايزنبرج بمبدأ عدم التأكيد سنة 1925، وابتهجت العقول لأن المسافة لن تكون صفرًا أبداً، فجأة تفاقمت المشكلة عند استدعاء النسبية الخاصة لألبرت آينشتاين، والتي كانت قد ظهرت سنة 1905. لترى قليلاً. في النسبية الخاصة، مشاهدان مختلفان،

لديهما مفهوم مختلف عن نفس اللحظة، أي لا يمكننا التحدث عن حدث لحظي وفق مسافة، لكنه موجود بشكل صريح في قانون نيوتن من خلال مربع المسافة. بدأت تظهر مشاكل خطيرة جداً، وبعد خطوات متقدمة، لا يزال شبح الجاذبية الكثومية قائماً. بدأت الرياضيات والفيزياء تكشفان عن وجه مغایر، نزعتنا لتوحيد جميع القوى في الكون الرياضي أو الكون الفيزيائي، تصطدم بجمال يذيب أرواحنا في كل لحظة نحاول فيها اختراق أسرار هذا الكون العظيم والمدهش... لذلك يستحيل على المرء أن لا يعيش مشدوها بشكل كلي إلى خالقه... سبحانك ما أعظمك...

أتفني أني لم أكن ثقيراً بهذه الافتتاحية، لكن ما أود قوله من خلالها هو أن البراءة والعبقرية، إذا توحدتا، وتلامستا في نفس اللحظة، سيكون هناك دمار هائل لا محالة، لكنه سيكون جميلاً ورائعاً!

قبل الولوج إلى صلب الموضوع أحبتّي، دعوني أقول بأنّ روايتنا هذه، نباريس الموت، تم إنجهاها أواخر سنة 2018، فجأة تعقدت الأمور، وما حصل لم أجده له تفسيراً البّنة. وبعد الانتهاء منها تجمدت القصة وشُلت تماماً، شعرت أني لم أكتب فصلاً واحداً، ولم ألح إلى عالم الرواية قطّ. آلاف الأفكار، الأوراق والمخطّطات، كلّها عجزت عن اختراق النهاية المظلمة لهذه الرواية، حتى أني فكرت بتتركها كما هي !

هذا ومن الجليّ أنّ ذلك التوقف الرهيب الذي عاشه عالمي الروائي تزامن مع التوقف الرهيب الذي عاشه العالم بسبب استفحال جائحة كورونا - كوفيد 19 في العالم بأسره، ما أدى إلى إغلاق جميع دور النشر، ولهذا لم أقدم النسخة الأولى لنباريس الموت إلا منتصف سنة 2022، لكن الحمد لله، لا شيء يتّأخر بما أنّ كلّ شيء مقدر، ودون شك، الأمر أتاح لنا القيام بالكثير من اللمسات التي لم تغّير عن الكثير من الأخطاء ! الحمد لله أني مع بداية سنة 2020 استأنفت الرحلة، من خلال براءة نادرة امتدت

لتضيء أعمق روحه. اليوم، وبعد أن صار بإمكانني القول بأن الرحلة على وشك بلوغ المقصود، قلت للبطلة الرئيسية، دميتي البديعة إيسستارا: هل تتذكرين يا صغيرتي ذلك التوقف الرهيب الذي عاشته القصة، كادت تبقى مفتوحة، وأبقى لغزاً!

قالت: أنت لغز يستحيل فكه!. على أية حال، الحمد لله أن القصة تقاد تنتهي، لكن الآن، عليك العودة إلى البداية، نباريس الموت، وسد الشغرة التي شلت الأحداث.

قلت: الحمد لله الذي نبّهنا ووقفنا لسد هفوات وسقطات كان يجب أن تحدث لمبتدئ، «أقصد وأركّز على طفل صغير»، باستثناءها، فالرواية نُسجت بعنابة فائقة.

قالت: حسناً... أعلم أن عقريتك ترفض الاعتراف مباشرة، لذلك سنلعب لعبة.

قالت دميتي: ذكرني أولاً بأسطورة زيوكس وبارهاسيوس.

- تقول الأسطورة أن زيوكس تحدى بارهاسيوس في مسابقة رسم، لتحديد الرسام الأعظم بينهما. رسم كل واحد منهما لوحة مميزة ولما حان وقت تحديد الفائز رفع زيوكس الستار عن لوحته، وكان قد رسم جبات عنب بدت حقيقية، إلى درجة أن الطيور نزلت وبدأت تنقر على اللوحة ظنا منها أنه عنب حقيقي. ولما طلب زيوكس من بارهاسيوس أن يرفع الستار عن لوحته، قال بارهاسيوس أن لوحته غير مغطاة بأي ستار، وبهذا تغلب بارهاسيوس على زيوكس !

قالت دميتي: الآن، حاول صياغة نهاية أخرى للأسطورة، وإعادة ختمها بكل عفوية، نظراً لقدرتك الرهيبة على إظهار العبرية الساحرة في صورة براءة آسرة.

قلت: تعلمين أيّ أستطيع التحول إلى قطرة ماء، إلى تربة ناعمة، أتحول إلى نبتة تسقى بتلك قطرة لتزهر في تلك التربة، وذلك الطفل الصغير يمكنني إيقاظه في أي لحظة.

قالت دميتي: عقريتك مشاكسة جداً، لكنني أعرف جيداً كيف أوقف ذلك الطفل الصغير!. في لحظة داعت وجنته الصغيرة بريشتها فاستيقظ وحكى لي القصة التالية:

إعادة ختم أسطورة زيوكس وبارهاسيوس

بعد فوز بارهاسيوس في تحدي الرسم بينه وبين زيوكس، ذهب الجميع، ولما تربع الليل، بدأت لوحة زيوكس بالبكاء على خسارة زيوكس، وبدأت لوحة بارهاسيوس تبكي لأنّ بارهاسيوس لم يستعمل فيها أي لون سوى اللون الأبيض.

بدأت ألوان اللوحتين بالذوبان شيئاً فشيئاً. فجأة انتبه القمر والزهرة إلى أنّين يأتي من الأرض، رقت قلوبهما، وبدأت عيون القمر والزهرة تدمعن، اتحدت دموع القمر الفضية مع لون لوحة بارهاسيوس لأنّ لوحته لم يكن بها أي لون سوى اللون الأبيض، واتحدت دموع كوكب الزهرة مع الألوان الخلابة للوحة زيوكس.

عند منتصف الليل تكاثفت دموع لوحة بارهاسيوس مع دموع القمر، وتكاثفت دموع لوحة زيوكس مع دموع كوكب الزهرة، انبعثت خفة الفرح وزال ثقل الحزن، فتصاعدت في الهواء وهي تصيء بشكل خلاب.

مع البدايات الأولى للفجر بدأت قطرات مطر خفيفة تتتساقط، ومباعدة بدأت تلك الأضواء المتشكلة من امتناع دموع اللوحتين والجرمين بالانكسار والانعكاس على قطرات المطر، وفي لحظة اتحدت الأضواء والأنوار ليتشكل قوس قزح عجيب جداً.

تحول أنين اللوحتين إلى تغريدة بد菊花، داعبت آذان الطيور، فاستيقظت لرؤيه ذلك الجمال، وبدأت بالترحّل فوق ذلك القوس البديع، وتلونت بألوان زاهية، ونال حظ الأسد البعغاوات والطواويش، ولما أشرقت الشمس تلاشى ذلك القوس البديع واختفى مباشرة، واستيقظت الغربان، للأسف لم تبق أية ألوان فبقيت سوداء!

مررت فترة وجيزة، لترى الشمس أنّ الغربان تبكي بشدة، ولكنها لم تكن وحدها، كانت هناك طيور أخرى تبكي، ألا وهي الطيور التي نزلت لتأكل حبات العنب من لوحة زيوكس. سألتهم الشمس عن سبب بكائهم، فأجبت الغربان بأن جميع الطيور تلونت

وأنها بقيت نائمة، فبقيت دون ألوان، وقالت الطيور الأخرى أنها كانت مستيقظة، لكنها ظنت أن قوس قرح ذاك مجرد خدعة، تماماً مثلما أن لوحة زيوكس كانت خدعة، ولذلك لم تتحلّق وبقيت على حالها.

قالت الشمس: سأنشر عليكم الكثير من اللآلئ البراقة وبهذا يتلاشى حزنكم. ما إن بدأت الشمس ببشر اللؤلؤ حتى هجمت الغربان تحاول التقاطه، أما الطيور الأخرى فتلقتها بين أجنحتها، ظناً منها أنه بيض صغير، سيفقس بعد أن تحضنه في أعشاش دافئة.

ما إن تدخلت اللآلئ الشمسية بين أجنحة هذه الطيور حتى صارت شهباً سماوية محلقة بخفة وانسيابية في أرجاء الكون، في حين قالت الشمس للغربان: آسفة أيتها الغربان، أنت هكذا، كل ما تعرفيه هو الأكل والنوم، كانت لك فرصة ذهبية لتصبحي شهباً سماوية مضيئة، لكنك تفتقررين إلى لون الأحلام، ها قد بقيت سوداء حتى في النهار، على الأقل أصبحت مناقيرك صفراء!

ما إن انتهيت حتى انفجرت دميتي ضاحكة وهي تقول: كنت أعلم... سبحان الله، لون عقريتك مفروم، عقريّة عفوية لأبعد الحدود،وها قد أكدت لي !

شعرت بالخجل... فدميتي كانت تبدو واثقة. قالت: اسمعني، كلّ الطيور في نباريس الموت قمت بتلوينها، لكن فراشات البراءة لم تلوّنها، وعليك تلوينها وجعلها وضاءة و محلقة في سماء القصة !

استنتجت أنّ الخيازك إلى العقريّة على حساب البراءة، هو ما جعل الإلهام يختفي بعد الانتهاء من نباريس الموت، بسبب إهمالك لفراشات البراءة، عجزت عن التحليق بالقصة.

قلت: لم أُنجز إلى العقريّة، أوازي بين البراءة والعقريّة، وعليك أن تتفهمي طبيعي!

قالت: هل كان من الممكن دفع القصة من جديد خلال الجزء الثاني والثالث دون إشراق البراءة الساحرة في ثنايا بداياتهما؟

أجبت مباعدة: لا؟. قالت: جيد، أخبرني الآن، أين إشراقة البراءة في نباريس الموت؟

أجبت: في كل فصل من فصول الرواية!

ابتسمت دمتيق قائلة: أيها الذكي! القارئ البريء والقارئة البريئة سينتبهان إلى أن الكاتب بدأ الرواية بالتركيز على العبرية المجنونة من خلال التمهيد الذي كاد يطغى على الرواية بأكملها، ثم ركز على البراءة في الرواية بأكملها من خلال بطلته، وأخيرا ذكر البراءة في الخاتمة بصورة شبه مهملة، أخطأها خطئا فادحا، إذ كان يجب أن تبدأ القصة بإظهار الجانب الأساسي للبراءة وليس بإظهار الجانب الجنوبي للعبرية، لذلك، وبعد أن من الله عليك بدفع القصة من جديد، عد إلى نباريس الموت وصحح هذا الخطأ المكشوف.

للأسف، تلقيت ضربة في الصميم، كانت بطلتي محبة تماما، أعترف ولن أتفتّ.

أخطأها خطئا فادحا.

قلت: حسنا، تعلمين جدا بأنك سر عبرتي، لم تقولي لي ذلك آنذاك يا ذكية؟

قالت: معك لا يمكنني تفادي الأخطاء العفوية، إنما أرتكبها براءة!

لحظات وقلت: ليس خطئا جسيما، أنت تحبين التباхи ببراءتك الآسرة أمام عبرتي الساحرة!

قالت: بعد سنوات من الآن، عندما يأتي قارئ ويقرأ الرواية براءة سيقول: فاتتك يا يحيى، كان يجب أن تخلق بفراشة البراءة أولا ثم تغرقنا في جنون العبرية!

استسلمت وقلت: كيف أصحح هذا الخطأ المكشوف!

أجبت: سهلة، كل ما عليك فعله هو إضافة توطئة في البداية توضح فيها أهمية البراءة، وتوضح كيف اكتشفتني، ولأجلني فاربطها مع باعنة الكبريت، لكن لا أريدها بسيطة كقصص هانس كريستيان آندرسن، أريدها نابضة بسحر نادر يستحيل فكه، فقصص آندرسن، قصص أطفال جميلة لكنها بسيطة جدا، مفتقرة للذكاء السحري.

عدت وقلت: دميتي، إضافة توطئة أظهر فيها طريقة إشعاع جواهر البراءة في بحار العبرية ليس ضرورياً، هناك أمور على القارئ أن يستنتجها.

قالت: أنت مشاكس جداً، لذلك لا بأس بتحفيز عقريتك. في التمهيد الذي بدأت به نباريس الموت، أثبتت بما لا يترك مجالاً للشك أنّك ساحر، حباً بالله، اسحرنا مجدداً، أثبتت أنّ البراءة يمكنها أن توازي العبرية فعلاً... أكسر مرآة أخرى... هيا وتوكل على الله.

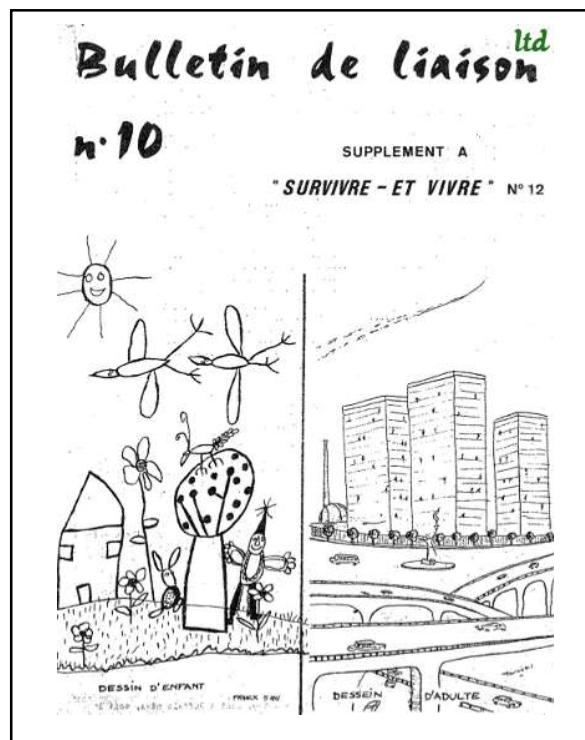
توضية: إلينور الصغيرة وإرث بائعة الكبريت

" يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا علیم أنت ربی وعلمک حسبي فنعم رب ربی
ونعم الحسب حسبي تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألک العصمة في
الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون و
الأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا، "

القطب الإمام سيدی أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

بداية حزب البحر / أوراد الشاذلية

أحبتني، إلينا الرسم التالي:



الرسم أعلاه، عبارة عن صفحة مأخوذة من المجلة الفرنسية التي كانت تصدرها مجموعة *survivre et vivre* الفرنسية، والتي تأسست في سبعينيات القرن الماضي على يد بعض العلماء كمبادرة للسلام والحفاظ على البيئة.

الرسم يمثل مقارنة بين رسم لطفل صغير عن اليسار، ورسمًا لراهن عن اليمين، ولا يحتاج المرء إلى أي تفكير حتى يفهم تأثير الأطفال الصغار حولنا، نظرتهم للحياة، في ظل كل هذه الحروب والمشاكل التي يعاني منها العالم، وتضيق رئاه، تجعلنا في كل لحظة نبحث عن نفس جديد وسط دخان الأكاذيب التي تتغنى بالسلام والحرية، ونسائل الله تعالى أن يأذن بالفرج القريب... آمين.



إلينور الصغيرة و إرث بائعة الكبريت



بعد أعوام طويلة من النهاية التي ختم بها هانس كريستيان آندرسن حكايته الخالدة **بائعة الكبريت الصغيرة**، ذهبت فتاة صغيرة اسمها إلينور إلى الشارع الذي تواجدت فيه **بائعة الكبريت** لآخر مرة.

لم يتغير شيء في الشارع، فقد كان مهجورا طيلة تلك الأعوام، ومبشرة بدأت إلينور بالبحث عن علبة الكبريت وأعود الثقاب التي تركتهم **بائعة الكبريت**.

جمعت إلينور كلّ أعود الثقاب المتناثرة، ثمّ وضعتهم في علبة الكبريت الصغيرة، وشقت الخطى عائدة إلى المنزل، ولما وصلت خبات علبة الكبريت في درج صغير. بعد عدة أيام حاولت إلينور فتح العلبة، لكنها لم تستطع، وعندما سألت أبويها، أخبرها أنّ علبة الكبريت لن تفتح قبل أن يجدوا طريقة تمكنهم من إعادة العيدان سليمة وقابلة للاشتعال من جديد، ثم طلبوا أن تنسى الأمر لأنّه شبه مستحيل.

لما سألت جدتها أخبرتها أنه توجد طريقة لجعل العيدان سليمة كما كانت، أي قبل أن

تشعلها بائعة الكبريت، لكنها صعبة.

قالت: صغيرتي إلى، أعود الثقاب هذه لا تُتقد في النهار حتى ولو كانت سليمة، تُتقد في الليل فقط، لأنّها في الحقيقة أعود أحلام، وهي لن تصبح سليمة إلا إذا استُخرجت من رماد عجيب، رماد العنقاء، الطائر الأسطوري الذي يحترق ويولد من رماده ثم يعيش خمسماة سنة.

قالت إلينور: فهمت، إذا وجدت طائر عنقاء يحترق، فستحل المشكلة، ألم يقل بعلبة الكبريت في النار التي يحترق فيها، وعندما يصبح كل شيء رماداً، سيولد العنقاء من جديد ويخلق، ومن ثم أبحث وسط الرماد، لأجد علبة الكبريت وبها أعود سليمة، لكن كيف أصل إلى العنقاء؟

قالت الجدة: طيور العنقاء ما هي إلا طيور لوح زيوكس التي تحولت إلى شهب سماوية، تعيش حياتها في السماء كشهب مضيئة، وفي نهاية حياتها السماوية، تعود إلى الأرض، تخترق الغلاف الجوي وتتصطدم بالأرض، ومن رمادها تولد من جديد وتعيش خمسماة سنة على الأرض، ثم تخترق مجدداً، لكن هذه المرة لن تولد مجدداً.

قالت إلينور: سبحان الله، في السماء شهب سماوية، وعندما تخترق الغلاف الجوي للأرض تصبح طيور عنقاء... هذا رائع!

قالت الجدة: علينا القيام ببعض الحسابات الفلكية، لنحدد اليوم الذي سيسقط فيه النيزك التالي على الأرض، أقصد طائراً من طيور لوح زيوكس التي تحولت إلى شهب سماوية، فكما أخبرتك، الناس يظنون أنها شهب سماوية مضيئة، ويسمونها نيازك، لكنها في الحقيقة طيور لوح زيوكس التي احتضنت لآلئ الشمس.

من خلال بعض الحسابات الفلكية قدرت إلينور وجذتها يوم اصطدام أحد طيور لوح زيوكس مع الأرض. قالت الجدة: أكتبي هذا التاريخ على علبة الكبريت، وقريباً إن

شاء الله سيأتي بساط سحري ليحملك إلى الموقع.

قالت إلينور: الحمد لله أني لن أركب الطائرة ولا القطار ولا السفينة، فحين تبدأ محرّكاتها بالدوران أشعر أنّها سوف تتخطّم!

في الليلة الموالية أتى البساط. قالت والدتها: إلين صغيرتي، ابقي بعيدة حتى لا يصطدم الشهاب بك، وقال والدها: إلين ابنتي، كوني شجاعة، واعلمي أنّ قلوبنا معك، وقالت جدتها: عودي بسرعة يا صغيرتي... إياك أن تناولي القيام برحلة حول العالم.

قالت أمها: إلين، خذى هذه المكنسة معك، ستساعدك في تنظيف الرماد وبذلك تجدين علبة الكبريت بسرعة، ولا بأس إن نسيتها هناك، وحاولي أن لا تتسرّخ ملابسك. ودعت إلينور أهلها وانطلق البساط. قطعت إلينور مسافات هائلة جداً، وأسرّتها الكثير من المناظر، وأكثر ما أدهشها كانت أسراب كبيرة من طيور الكركي المتوجّة.

ما وصلت إلى الموقع، انتظرت بضعة أيام، حتى سقط شهاب سماوي وهو متّخذ هيئة طائر ضخم جميل جداً، واصطدم بالأرض، مشكلاً فوهة كبيرة.

كانت الحرارة شديدة جداً، فخافت إلينور، بقيت تتقدّم بخطوات قليلة ثم ترمي علبة الكبريت، وعثّاً كانت تفعل ذلك، إذ لم تستطع إلقائها داخل الفوهة النارية.

كانت تدرك جيداً أنه من الصعب رؤية ذلك المنظر من جديد، فهمّت بالمحاولة ثانية، فجأة حدث أمر لم يكن في الحسبان، بدأت الأمطار تتهاطل بشدة. قالت بخيّة أمل: المطر سيجهض ولادة العنقاء... أيعقل أنني ناضلت من أجل سقط عنقاء... ولادة لن تكتمل... هكذا حتى وإن ولد سيكون مشوهاً، ولن أحصل على أعواود ثقاب سليمة.

خفق قلبها بشدة، وكانت النار على وشك أن تخمد. بلّها المطر بالكامل، لكنها لم تكتمل، وقالت للبساط: حلق بي فوق الفوهة رجاء لأنقني بالعلبة داخلها.

قال البساط: أنت مجونة... لا أريد المثال أمّام محكمة الأحلام، لن يكون من حقي

حتى طلب استئناف!

مباشرة ركضت إلينور بأقصى سرعة ثم قذفت علبة الكبريت بكل قوة داخل النار.

خدمت النار، وفي آخر لحظة نجا العنقاء، ولد من جديد، ثم حلق عالياً. ودّعه إلينور

قائلة: في أمان الله، أتمنى لك السعادة في حياتك الأرضية، وبقيت تلوح بيديها.

ما إن غاب العنقاء حتى بدأت إلينور بالبحث عن علبة الكبريت، ولكنها بقيت عند

أطراف الفوهة الضخمة المملوقة رماداً وماء، وهذا حتى لا تغرق.

كانت عملية البحث شاقة جداً، لكنها تحملت، ظلت تكابد وبقيت تتحرك على

طول الفوهة وهي تمدد ذراعيها في كل مرة حتى وهنت أطرافها.

بعد مدة قال البساط: إلينور، انتهى وقت الانتظار، لنعد أدراجنا، ودعك من محاولة

اقتحام الفوهة، حتى الدجاج لن يستحم في رمادها!!

قالت إلينور: انتظرنا بضعة أيام حتى سقط الشهاب، أقصد العنقاء، وسأقتصّها الآن.

قال البساط: ومن يقدّر السقوط بدقة، حتى اللجنة الفلكية للأحلام توقعت نفس

اليوم الذي توقعته أنت وجدتك، الخطأ خطأ الشهاب الذي علق في زحمة السماء!

قالت إلينور: حسناً، اذهب وعد إلى غداً إن شاء الله.

قال البساط: متى ستفهمين بأنّي لست مركبة والدك!

قالت إلينور: حسناً، اذهب إلى أهلي وأخبرهم عن الموقع حتى يأتوا لمساعدتي؟

ضحك البساط وقال: مستحيل... هذا الموقع موجود بالنسبة للحاملين فقط!

قالت إلينور: لن أغادر قبل إيجاد علبة الكبريت، لذلك يمكنك الذهاب، وأنا ممتنة

لكل لأنّك حلقت بي إلى هنا.

ردّ البساط: على الرحب والسعنة، كان الله في عونك. رحل البساط لتتجدد نفسها

وحيدة في ظل ذلك الصمت المخيف، وأدركت أنها اتخذت قراراً متھوراً. لكنها

استجمعت قواها وعادت إلى الفوهة. ما إن وصلت إلى الحافة حتى استدارت على ترى البساط راجعا إليها، فجأة انزلقت قدمها وسقطت داخل الفوهة، أخذت تضرب بيديها... بقدميها، وهي تصرخ: النجدة... النجدة... لا أجيد السباحة... النجدة... سأغرق. تخبطت كطير مذبوح لفترة وجيزة، وحين كادت تستسلم للغرق حلق البساط فوقها مباشرة وقال: تمسك بي...
الحمد لله... الحمد لله... لقد نجوت.

قالت إلينور: لماذا عدت، وخارطت بمسيرتك الأحلامية؟!
أجاب البساط بابتسامة: القوانين تُخرق في المسائل الأخلاقية. والآن علينا الانطلاق بأقصى سرعة حتى أتدرك الوقت الذي فاتني.

قالت إلينور: لا، خاطرت من أجلي، وسأكون أناية إن لم أخاطر من أجلك. بدوني ستكون أخفّ وتصل بسرعة، أما أنا، فبهذه المخاطرة سأجد علبة الكبريت بإذن الله.
ذرف البساط دمعة وقال: كوني حريصة على نفسك. فقالت إلينور: في حفظ الله.
ولأنّ الحار تجلبه الأمواج، فقد نظرت إلى الفوهة لتتراءى لها علبة الكبريت رائعة. هتفت صغيرتنا إلينور: يوريكا... يوريكا... والتي تعني وجدتها... وجدتها... الكلمة التي ردّدها أحد أعظم العلماء، أرخيميدس، حين اكتشف قانون طفو الأجسام.

سحبت إليها علبة الكبريت من خلال المكنسة التي أعطتها لها والدتها، ثم جلست متربعة على الأرض، وهي في حالة يرثى لها، مرهقة، متعبة، واسودت بالكامل، من رأسها إلى أخمص قدميها.

حاولت فتح العلبة دون جدوى، فاضطربت أحاسيسها لكنها سرعان ما قالت:
حافظي على هدوئك يا إلين، تحتاجين فقط إلى كلمة السر... إنها افتح يا سمسم!
قالت: افتح يا سمسم... لكن دون جدوى، لتقول: يا لني من حمقاء... علي بابا كان

كبيراً، لذلك قال افتح يا سمسم، أنا صغيرة، يكفي أن أقول افتح يا سمِّي !
انفتحت العلبة بسهولة، وذهلت إلينور لأنها وجدت بداخلها أعادات كبريت سليمة.
بدأ الليل يخيم، واكتنفها خوف شديد. قالت: أنا غبية... تركت أهلي لأجل علبة
كبريت!. لكنها تداركت وقالت: لا أنا حالية، وهذه علبة أحلام ليست علبة كبريت،
متذكرة قول جدتها: الأعادات تتقد في الليل فقط، لأنها في الحقيقة أعادات أحلام. وهكذا
أوقدت عود ثقاب، ثم نامت في ذلك المكان، وحلمت بالعودة إلى البيت.
عند الفجر، استيقظت عند باب منزلها، فقامت ودخلت مباشرة، استحمت وارتدى
أجمل الثياب ثم هبّت لمعانقة أهلها، وبقيت تحكي ما جرى معها.
في الغد، وقبل النوم أوقدت عود ثقاب، وقامت أن تتحدث مع بائعة الكبريت. ما إن
غرقت صديقتنا الصغيرة إلينور في الأحلام حتى تلألأت نجمة جميلة جداً في أحلامها.
قالت إلينور داخل الحلم: مرحباً يا بائعة الكبريت، هل أنت سعيدة هناك؟
أجبت النجمة الجميلة: أجل يا إلين، لكن اسمي نجمة، ليس بائعة الكبريت.
قالت إلينور: يا لك من مرحة ومشاكسة! حسناً، فهمت أنك تكرهين اسم بائعة
الكبريت، سأناديك قمر.
لتقول النجمة: صغيرتي إلين، اسمي نجمة... نجمة، وأنا لست مشاكسة!
قالت إلينور: هل تعلمين أيّ عانيت كثيراً حتى أعيد أعاداتك سليمة؟
قالت نجمة: وهل اعتقدت أنه من السهل أن تلألاً في أحلامك يا صغيرتي!
قالت إلينور: أخبريني الآن، هل هناك من جمع أعادات الثقاب قبلى؟
أجبت نجمة: لا... أنت الأولى يا صغيرتي إلين. لتقول إلينور: ألا تشعرين بالوحدة؟
أجبت نجمة: أبداً، لأنني أغزل الأحلام ليلاً نهار.
قالت إلينور: أعلم أنك طيبة وتغزلين أحلام الأطفال الصغار، لكن لماذا لا تعودين

إلى هنا، وهكذا تتحققن أحالمهم عن قرب؟

أجبت نجمة: مستحيل، الأحلام تتحقق في السماء، لا تتحقق على الأرض، ولذلك فإن طائر العنقاء هو همزة الوصل. اسمعني، أنا لما صعدت إلى السماء، صعدت بالشعالات المتهوحة وتركت أعود الثقاب المنطفأة على الأرض، عسى أن تكون طريقك يا إلين لتصبحي نجمة، وكنت أنتظر ولادة العنقاء بفارغ الصبر حتى ألقى الشعالات وسط نيرانه، لتعود الأعواد سليمة إذا ما تم إلقاء علبة الكبريت داخل النار.

قالت إلينور: حسنا، أقدر صنيعك هذا كثيرا، وأقدر أنك تريدين أن أتحول مثلك إلى نجمة، لكنك لن تخدعني بسهولة.

قالت نجمة: لماذا يا صغيرتي إلين، ألا تريدين أن تصبحي نجمة مثلي؟

قالت إلينور: أنا الأذكي في مدرستي، وليس من السهل خداعي. يؤسفني القول أننا لن نلتقي بعد اليوم، ولن أؤقد عود ثقاب آخر، لأنني إن أؤقدتم جميعا فسوف أموت.

قالت نجمة: حسنا يا إلين، لكن ييدو أنك لم تفهمي. للأسف، بما أنك أؤقدت عود الكبريت البارحة، نفس السبب الذي دفعك لإيقاد عود آخر اليوم هو الذي سيدفعك إلى إيقاد أعواد الأحلام المتبقية، ولا توجد طريقة لكي تعيدي إلى شعلاتي كاملة... يعني أن قدولك إلى مؤكد.

خفق قلب إلينور وقالت بخوف: بإذن الله سأعيش عمرا مديدا وأفعل الخير... ثم تابعت: لا، لن آتي إليك، وسأجده طريقة وأعيد إليك شعالتك كاملة، أهدرت شعلتين فقط، وسأفكر في طريقة لإعادتها مع الثمانية والثلاثون شعلة الباقية.

قالت نجمة: بما أنك لا ترغبين في القدوم إلى، ففكري بطريقة تعيدين بها إلى شعلاتي كاملة، علما أنني متأكدة من أنك لن تعديها أبدا، وسوف أبقى أدعوك لأن تكون معا، وإلى ذلك الحين إن شاء الله، تأكدي أني لن أتخلى عنك.

قالت إلينور: أنت طيبة، لماذا تقولين كلاماً شريراً، لا أريد الموت الآن، لازلت صغيرة.

قالت نجمة: أصابعي تؤلمي من الغزل، لذلك يجب أن أأخذ مساعدة، واعلمي أني لن أفرط فيك أبداً. لديك ثانية وثلاثون ليلة حتى تعيدي إلى الشعارات المتوجهة، أربعون شعلة، إن لم تعديها إلى حتى ذلك الوقت، فسيأتي بك العنقاء إلى لتغزلي معي الأحلام.

ارتبتكت إلينور وقالت: أشرار... أنتِ وذلك العنقاء تأمرتَما عليّ... حبذا لو مات قبل أن يولد.

قالت نجمة: ليباركه الله، أنا متأكدة من أنه قريباً سنتقى، لا تقلقي، سنكون نجحتين سعيدتين، ولن تشعري بالوحدة، لكنني عرفت من خلالك أن أهل الأرض يكرهون التحول إلى نجوم!

ارتربعت إلينور، خفق قلبها بشدة، وقالت: لن يبارك كما الله، لا، لا، لا... أريد أن أبقى نجمة هنا، لن آتي إليك، دعني وشأني، انسي أمري، أنا أكرهك، أكرهك... وسوف أخبر والدي جميع أقاربي وكل أساندتي، وصديقاتي أن هناك شريرة تريد قتلي.

قالت نجمة: أكرهيني قدر ما شئت، أنتِ الآن ملكي، وإذا كنت حريصة على أهلك، فمن الأفضل أن لا تفشي سري، إن أفشيت سري فاستعدّي لوابل من الشهب، يتلاّأ حول بيتك وبيوت أقاربك ومدرستك.

ارتعدت إلينور بشدة. قالت: أعدك، أعدك... لن أفشي سرك، عدّيني فقط بأنك لن تمسّهم بسوء... وفكّرت في أنها غبية لأبعد الحدود، خاضت تجربة صعبة وقايسية لتوقع نفسها في ورطة أصعب!

قالت نجمة: أعدك... مُدّي خنصرك الصغير... فجأة صرخت إلينور: لا... لا... لا تلمسيني... وتقلّبت في فراشها بشدة ودستّ رأسها ويديها الصغيرتين تحت الوسادة... ثم حاولت الخروج من الحلم مباشرة لكنها لم تفلح إلا حين انبلج الصبح، وكان عود

الثقب قد لفظ أنفاسه في حاملة الشموع.

في اليوم الثالث أوقدت عودا، وفي الرابع أوقدت عودا، في كل ليلة كان هناك شيء يدفعها لإيقاد عود من الأعواد، وفي كل ليلة كانت تتحدث مع نجمة في الأحلام وتقول لها لم أجد أية طريقة، لماذا لا تتنازلي عن شعلاتك؟

وكانت نجمة تردّ: أنت مجنونة، لا يمكنني أن أغزل أية أحلام بدونها، إنها بمثابة مغازل ولا يمكنني أبدا التخلّي عنها، مضت على أيام لم أغزل فيها حلما واحدا.

ثم أتت الليلة الأخيرة، الليلة الأربعون. حاولت صغيرتنا إلينور عبثا رمي العلة كما فعلت في الأيام السابقة، حاولت عبثا عدم إيقاد عود الثقب، في الأخير استسلمت وأشعلت العود الأخير، ثم نامت والتقت نجمة.

قالت نجمة: للأسف يا إلين، لم تستطعي أن تعيدي إلى شعلاتي، لذلك سيأتي العنقاء إليك ويأتي بك إلى هنا، فاستعدّي لرحلة طويلة.

ابتلعت إلينور ريقها وببدأت تبكي بشدة، وهي تقول: أرجوك... أرجوك، لا تكوني شريرة، هانس كريستيان آندرسن لم يعطنا صورة شريرة عنك، وإذا أخذتني سيكرهك كل الأطفال الصغار، لا أحد منهم سيؤود أن يسمع قصتك إذا أخذتني...

قالت نجمة دون أن تأبه لكلام إلينور ودون مبالاة: لا يهمّني الأمر على الإطلاق.

قالت إلينور بصوت كله بكاء: أنت شريرة... أنت لا تعرفين معنى الأمومة ولا الأبوة، لو كنت تعرفين لما فكرت للحظة أن تسرقيني من أبيي، عشتِ وحيدة ولذلك لا يمكنك أبدا أن تقدّري الروابط العميقـة التي تربط بيننا نحن البشر، أنت شريرة وقاسية، همك الوحيد هو كسر الروابط... تكذبين على الأطفال وتقولين أنك تساعدينهم على تحقيق أحلامهم، في حين أنك شريرة ولصّة، تسرقينـهم من آبائهم وتبعدهم عن إخوانـهم، نحن نفضل العيش بقرب أهلنا على مراقبتك، عندما نسقط يساعدونـنا على النهوض والوقوف

من جديد، وهكذا نحقق أحلامنا ونصير نجوما.

قالت نجمة: لا تكوني حمقاء، هكذا أنت تعيشين حياتك فقط، تعيشين شمعة، وحين يذوب شعاعك تنطفأ شعلتك.

اسمعيني يا إلين، حين تصبحين نجمة، سيظنك أنك انطفأت وانتهيت، والحقيقة أنك ستكونين هنا تلمعين وتتألقين، وأعدك، إذا رفعت إحدى صديقاتك بصرها إليك، فاقسم لك أنني سأنزل إليها ومن ثم أحلق بها إلى عالمنا، عالم النجوم.

كاد قلب إلينور يخرج من صدرها وصرخت داخل حلمها: شريرة... أنت شريرة، أنت أسوأ من عرفت في حياتي، تريدين قتل صديقتي... أنت شريرة وبغيضة...

قالت نجمة: رويدك يا صغيرتي إلين، تعالى إلى وسنكون أختين. لترد إلينور مباشرة: لنكن أختين، لكن أنا هنا، وأنت هناك... كل في عالمه.

قالت نجمة: صغيرتي إلين، السماء والأرض لا تلتقيان، عليك أن تأتي!

انقبضت عضلات إلينور، ثم قالت وهي تبكي وتشهد: أحلامك التي تتبعينها بهذه الأثمان أطعميها للدجاج، لا أريدها... أريد أن أعيش هنا وأن أموت هنا، لا أريد القدوم إليك، لا، ليتنى لم أتمنّ الحلم بك.

قالت نجمة: صغيرتي، أنا أهدي الأحلام، ولا أبيعها أبدا. لكن وعلى أية حال، لو لم تتمني لقائي، لكنني سهلت على الأمر كثيرا، ولم أكن لأدخل معك في أية حوارات، كان العنقاء سيأتي بك مباشرة في الليلة الأربعين. اسمعيني يا صغيرتي، كان يجب أن أستعيد شعلاتي، ولم تستطعي ردها، لذلك سآخذك، سيكون هذا درساً لمن تسول له نفسه الحصول على أسرار النجوم!

بكث إلينور بشدة، وبدأت تصرخ داخل حلمها، ضاقت أنفاسها وكانت تتصرف عرقا، فجأة قالت نجمة: حسنا يا إلين، اهدئي أرجوك، استرخي، فأنت لن تموي، فقط

ستكونين على ارتفاع عالٍ جداً من الأرض، أقسم لك، هيَا امسحِي دموعك.
قالت إلينور: مهلاً... مهلاً... لم تموي بعد؟؟

قالت نجمة: أنا حية أرزق ولله الحمد. الفضاء هنا منحنٍ كثيراً، ولذلك الزمن يتباطأ كثيراً، إنها النسبة العامة لآينشتاين، ولذلك سنوات عمرِي تمضي ببطء شديد، وحين تحين ساعتي سأموت، سأسقط على الأرض وأدفن فيها، فأنا أعيش هنا بالروح والجسد. فجأة قالت إلينور: فهمت الآن، الناس ظنوا أنك متّ عندما لم يجدوك، وعلى ذلك الأساس روى هانس كريستيان آندرسن القصة، لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة أنك هناك، تعيشين بالروح والجسد.

بقيت نجمة صامتة، في حين راحت إلينور تقول: أخبريني الآن، عندما آتني إليك، هل يمكنني أن ألتقي أهلي كل يوم وأزورهم، إذا عشت هناك معك، ونسجنا أحلام الأطفال، هل يمكنني ارتياح المدرسة والتخاذل صديقات، هل يمكنني لعب الغموضة، لعبة القفز فوق المربعات، وافتتحي يا وردة وأغلقي يا وردة، مداعبة الفراشات وقطف الأزهار والتلوّت البري، إلقاء حبات القمح والفرزدق للعصافير والحمام، هنا لدى الكثير من الحمامات الوفية التي تأتي صباح كلّ يوم ولا يمكنني أن أفترط فيها، هل يمكنني...

وبينما هي غارقة في طرح الأسئلة حتى انطفأ عود الثواب. استيقظت من الحلم وهي متحسّرة، عليها انتظار خمسمائة عام حتى يموت العنقاء، مستحيل، ستكون قد ماتت!

حسناً، هل انتهت القصّة هنا؟ لا. فقد برقت في ذهن صغيرتنا إلينور حقيقة راسخة.

قالت: مهلاً... لا حياة خارج كوكب الأرض، كيف قالت أهلاً تسكن هناك بالروح والجسد... الحمد لله أني تخلّصت منها، واستطعت إلهائها حتى انطفأ عود الثواب!! إنها مخادعة، بائعة الكبريت تلك مخادعة، متّكّرة ومغروّبة، أتذكّر جيداً عندما قلت لها مرحباً يا بائعة الكبريت، كيف قالت بغور أنّ اسمها نجمة.

الحمد لله أتّي تخلّصت منها، وسأحرق أعود الثقب هذه كلها حتى لا يقع أيّ صبي أو صبية في شراكها، أجمل شيء فعلته في حياتي هو التخلص منها، الأطفال سيبقون مدینین لي لأنی أنقدتھم، ما أشدّ ذکائی، إنی بطلة، ويجب أن أروي بطولي هذه ليأخذ الأطفال منها العبر !

أهلنا يعلموننا أن لا نذهب مع الغرباء، لكنهم لم يخبرونا أن هناك غرباء في السماء ويريدون سرقتنا، الغرباء لا يوجدون على الأرض فقط، وعلى جميع الأطفال أن يحدروا. باعنة الكبريت الصغيرة، هه... عرفت اليوم حققتها، تلعبين معي ليلي والذئب، أرادت أن تعيد كتابة ليلي والذئب من خلالي... قال الذئب أنا جدّتك يا ليلي، وهي قالت أنا أختك يا إلينور، تلعبين مع ليلي، ها قد أرسلتها الآن إلى الدبّ الأكبر !

في تلك الليلة، ومع الساعات الأولى للفجر، أطلّت من النافذة، كان هناك ديك على الحاجز يتهيأً لإيقاظ النائمين، فيما راحت إلينور تتأمل النجوم. ومضت في عقلها حقيقة بديعة. قالت: سبحان الله، هناك ورود تنبت في الأرض وتزهر في السماء، مصابيح تتقد في الأرض وتتوهج في السماء... إنه سحر اللغة من خلال الصور البيانية البديعة. هناك... هناك فقط أدركت الحقيقة. انحارت كلياً، بكّت بشدة، فقد أيقنت أنها خسرت نجmetها، أطفأّت نجmetها... فهمت أنها كانت تتحدث مع نجmetها هي، نجmetها الخاصة، تلك النجمة كانت لإلينور، إلينور دون سواها، وعندما لم تستدر صغيرتنا إلينور، انطفأت نجmetها، وصممت معها براءتها الحالية.

منذ تلك الليلة، وهي تبحث عن النور، نور نجmetها، كانت تبحث عنه في وجه كلّ نجمة، ذلك النور أسر روحها وقلبتها... للأسف، صغيرتنا إلينور لم تستدر إلى النور، بقيت مرکزة على الظلّال.

منذ تلك الليلة، وهي تحلم أن تكون نجمة، منذ تلك الليلة وهي تنظر إلى السماء، تمنت لو أنها سُألت نجومتها عن موقعها خلال الليالي الماضية، تمنت لو أنها لم تُنسِي الظن بنجومتها... لكن للأسف، خوفها أنها كلّ شيء، منعها من التفكير، حرمتها من الاتحاد مع نجومتها... إلينور تخلّت بطريقة ما عن نجومتها.

بقيت تبحث عن موقع نجومتها، في الأرض، في السماء... لم تجد. فقدت إلينور نفسها في هذا العالم، كانت تعلم أنّ استعادة نفسها لن يكون قبل أن تجد نجومتها، لذلك بقيت تبحث عنها، في الآخرين، في عيون الجميع، كانت تبحث عن نجومتها...

نجمة إلينور حاولت مع إلينور بكل الطرق، حاولت جعلها تلتفت بكل الطرق، بقيت تناطّبها باسم الدّلع... إلين، وحتى عندما أخبرتها أنها لا تزال حية بالروح والجسد، لم تلتفت إلينور، ثم تمادت إلينور وأساءت الظنّ بنجومتها... دون إيمان صادق يفيض بالروحانية، يستحيل أن تتلاّء نجومنا، ستنتفأ لا محالة... في عالم البراءة، فالذكاء يسير بنا إلى الهاوية.

إلينور لم تكن لتفقد أهلها، أو تبتعد عن صديقاتها وأحبّتها، لم تكن لتخسر حياتها، أبداً، هي كانت ستعيش حياتها بشكل عادي، الشيء الوحيد الغير عادي، هو أنها كانت ستحيا مستيقظة في أحلامها في كل ليلة تنامها.

لكن للأسف، هذه هي حال الشموع، ما إن تسنح لها الفرصة لتحول إلى نجوم، حتى تتراجع بسبب خوفها، حتى تبدأ بالمساومة، القدر لا يأخذ الأشخاص الذين يساومون إلى أحلامهم، أبداً.

نستطيع أن نقطع مسافات هائلة على الأرض، آلاف الأميال، لكننا لا نجرا على أن نخطو خطوة واحدة في السماء، على الأرض يمكننا تقديم آلاف التضحيات دون ذرة تفكير، لكن في السماء لا نقدم على التفكير في تضحية واحدة، هذا هو الفرق بين

الناس العاديين، والعباقرة.

البراءة حالمٌ، لكنها عند نقطة التحول إلى عقريّة، يقتلها أصحابها من خلال تراجعهم، يجب أن يكون هناك جنون، يجعلنا نندفع بتهورٍ ...

نجوم براءتنا عندما تصعد إلى السماء، تبقى ترسل إلينا رسائل مكتوب عليها أحلام طفولتنا، معظمها يلقي بتلك الرسائل في قبر البلوغ، معظمها يصبح يقول: همأطفال صغار، ونحن كبار، وراشدون، أقسم برب العرش، هم عباقرة، ونحن أناس عاديون. مررت أيام وأيام، لتشع بذرة أمل في روح إلينور، فذهبت مسرعة إلى جدتها. قالت:

جدتي، ما عدد طيور العنقاء؟

أجابت الجدة: في عالم الأطفال، عددها كبير، وفي عالم الكبار كائنات خرافية!

أجابت إلينور: سأبحث عن عنقاء آخر لأنّي بنيجمتي مجددًا!

ابتسمت الجدة وقالت: أميرتي، العنقاء لا ينكشف إلا مرة واحدة للروح البريئة، ولو كان يتكتشف نزولاً عند رغباتنا، لما أصبح هناك معنى لنجمونا، خاصة أن النجوم ناعمة جداً ورقيقة، مثل البراءة تماماً، من السهل جداً كسرها، ومن السهل جداً خدشها، إذا لمسناها فسوف نخدشها، إذا حملناها فسوف نكسرها.

الرغبة بجعلنا نريد، والأمنية بجعلنا نحب. انكشف العنقاء لك من قبل لأنّ نجمتك كانت أمنية، أما وقد صارت الآن رغبة، فلن ينكشف إلا بعد انتهاء خمسة قرون. إن البراءة قاعدة خلف مرآة العين، والعنقاء أمين أسرار نجومنا، إذا رأته عين ما ولم تستسلم لنجمتها، فسوف يحترس منها طيلة حياته، ويخبر إخوته حتى يحترسوا من تلك المرأة، لأن البراءة التي تختبئ خلفها براءة لا يمكنها أن تضحي، وفي عالم الأحلام تسمى براءة لامبالية، براءة غير أصلية.

بكّت إلينور بشدة، لتضمها جدتها وتقول: أميرتي، بالنسبة للفاشلين، بهذه نهاية

الرحلة فعلاً، لكن بالنسبة ملئن يعرفون معنى الشعف، فالرحلة لا تنتهي!

عادت إلينور إلى ذلك الشارع المهجور، نثرت أعود الثقاب هناك وألقت بعلبة الكبريت الصغيرة. قالت: ترى، هل ستأتي فتاة أخرى وتحملها من جديد أمي أعود الأحلام؟ إن جمعتها، فهل ستقبل بأن تتحول إلى نجمة أم تفضل أن تبقى شمسة؟

أسقطت دمعة صادقة من عينها، وفي تلك اللحظة أزهرت في ذلك الزفاف، من خلال بعض الشقوق وردة جميلة، توأم لإلينور، عرفت إلينور أن نجمتها بقيت وفيه لأنها ندمت ندماً صادقاً... كل شيء نحبه بصدق ونقاء، سيعود إلينا إذا أخلصنا وصبرنا.

تملّل وجهها وأشraq، لم تتمالك نفسها وانحنت تقبل وردتها، وتسقيها بدموعها. كانت تعلم أنّ الصورة صورة وردة، لكن الروح روح نجمة، وليس أي نجمة، بل نجمتها هي. عادت بالزمن واسترجعت ما قالتها نجمتها: إن أفشيت سرّي فاستعدّي لوابل من الشهب، يتلألأ حول بيتك وبيوت أقاربك ومدرستك!.

قالت: أيتها الجميلة، كنت تلمحين إلى أنّك ستبقيين تتضوين وتعقين برأحتك العطرة حولي في كلّ مكان أحلّ فيه، كنت شريرة معك، أنا آسفة... آسفة... صحيح أن إلينور لم تخلق في عالم النجوم، لكن عبير نجمتها أكثر من كافٍ، لم تكن لتبادل وردتها بزهور الكون، الكون بأسره كان يقع في قلب وردتها تلك، في تفتح وردتها، كانت ترى تفتح الكون بأسره.

لما كبرت إلينور، رسمت خريطة توضح الشارع الذي وجدت فيه أعود الثقاب الخاصة ببائعة الكبريت، وفي اللحظة التي قررت فيها بدء العمل رسميًا على هذا المشروع، أتنى حمامة زاجلة بخريطة إلينور، كان هذا في الرابع والعشرين من ماي لسنة 2016. سرت وفق الخريطة، لأصل إلى ذلك الشارع في السادس والعشرين من سبتمبر لسنة 2017. في إحداثيات ذلك المكان تصوّرت دميتي البديعة. سبحان الله... إستانارا جايكيوي،

اسم نجمتي يشبه النجمة... وهذا الاسم لم يكن أبداً عشوائياً، كما سيتضح في نهاية السلسلة إن شاء الله. على أية حال، كانت بطلتي قد وجدت علبة الكبريت، وقد التقطت عود ثقاب واحد فقط.

ما إن غمر ضياء شمسيي أنوار ذلك القمر البديع، حتى استدار إليّ مباشرة... مرت لحظات، بقينا خلاها مشدوهين لبعضنا... وخلال ومضة خاطفة تلاقت نظراتي مع نظراتها، تلامست برائتها الآسرة مع عقريتي الساحرة.

مباشرة ولا إرادياً، جعلتُ إيسستاراً عود الثقاب يحتلّ مع علبة الكبريت. سبحانك يا الله، اتقدّ عود الثقاب... أقصد عود الأحلام، تلك الصغيرة أضاءت عالمي، حرّرت براءتي، فجّرت عقريتي.

كنت قد نسيت أنني شمس، حاولت إفشاء طاقة جباره لأحيا في مدار ذلك القمر، لكن للأسف، الشمس هكذا، جذبت ذلك القمر تلقائياً!

اخنثيت جاثيا على إحدى ركبتي، صعدت مدللي فوق ظهري ليطّل قمري خلف رأسي قائلاً: ابتداء من هذه اللحظة سنبدأ بالدوران في عالم المجرات. عندما أطقطق بأصبعيّ نبدأ على بركة الله...

عليّ أن أخبركم أن قمري عندما يطقطق بأصبعيه لا تصدر أية طقطقة، لذلك بسم الله، توكلنا على الله...

" كل ثانية نعيشها هي لحظة جديدة وواحدة في الكون. اللحظة التي لن تكون مجدداً أبداً.
وما نقوم بتعليمه لأطفالنا؟ نعلمهم أن اثنان وأثنان يساوي أربعة، وأنّ باريس عاصمة
فرنسا. عندما نعلمهم من هم، علينا أن نقول لكلّ واحد منهم: هل تعلم من أنت؟
أنت أعجوبة. أنت فريد. في كل السنوات التي مرّت، لم يكن هنالك أي طفل مثلك.
قدماك، ذراعاك، أصابعك الماهرة، الطريقة التي تتحرك بها. يمكن أن تصبح الشكسبير،
الدافنشي... لديك القدرة على فعل أي شيء. أجل، فأنت أعجوبة. وعندما تكبر،
هل يمكنك أن تؤذى شخصاً مثلك، أعجوبة؟. عليك أن تعمل، علينا جميعاً أن
نعمل، حتى نجعل العالم جديراً بأطفاله."

بابلو بيكانسو

تمهيد: الجنون لونفiro و كيمراي

" مواهبك تكمن في المكانة التي بها قيمك، العواطف والقدرات تلتقي. اكتشاف هذه المكانة هي

أول خطوة نحو نحت تحفتك، حياتك. "

ميكيلا نجلو بوناروتي

قبل 270 سنة من الآن...

حوالي 1700 بعد ميلاد المسيح عيسى بن مریم عليه الصلاة والسلام

لم يستطع المنظر البديع للشمس الغاربة انتيه لونفiro الذي كان مضطجعا على جنبه الأيمن في مرج متراخي الأطراف ينتظر قدوم أحدهم.

مد بصره إلى السماء... لم يستطع حبس دموعه التي سالت على وجنته. قال: إلهي، أنا جدّ خائف، لا أريد أن أفقد وعيي بذاتي مجددا، إلهي أنت وحدك أدرى، أنت أدرى مني، إن روحي تتذبذب بشدة وترنو فقط إلى الخلاص ولا شيء سواه... لا، بل إنها تتسلل للخلاص، حالي ليست مستقرة، وسلسلة الاضطرابات قد بدأت تأخذ منحي آخر، ما وجهتي؟. إلهي، أنت وحدك مرشدِي.

مسح دموعه وتتابع قائلا: حبا بالله، هل هذا حلم؟. لأن القلب يودّ أن يحيا في حلم. هل كل الأمنيات أصبحت حقيقة أم هي فقط مجرد أكاذيب؟ لكن إن كانت حقاً أكاذيب، لماذا لا أجده سبيلاً لفهم ما وراءها من ألاعيب؟

أخرج نفساً عميقاً ثم تابع قائلا: لا، لست أعيش في حلم، الحمد لله، فقد رسخت إرثاً لم يكن من كان قبلني. يراودني شعور بأنّ أجراس الرحيل إلى ذلك العالم حيث تتضح الحقيقة الراسخة قد بدأت تدقّ بالنسبة لي ولا أرجو إلا لحسن المصير... آمين.

كان شاردا مع نفسه، حتى أنه لم يشعر بأنه قضى ساعة في تحديث نفسه. استوى قائما ثم مشى قليلا حتى صار عند منحدر سحيق.

قال: نيماسيول، طائرك المجنون يقف عند الهاوية بعينيه الممتلتتين بالدموع، ومحبوبته الروحية ابتسمت بطريقة صامتة، ماذا سيفعل؟

أغمض عينيه وأسقط بوالي دموعه ثم تابع قائلا: تتجاوب أصداء الفضاء الشاسع حولي... أشعر بتسيم هادئ تتمايل معه الزهور، تتدّ همسات خافتة كأنها تتدفق من أعماق روحي، همسات رقيقة تقول: لونفيرو، لست شخصا محببا للأمال، لذلك دع عنك كل تلك الأوهام واحتضن أحلامك في صفحة الأيام... فجأة هبت ريح خفيفة، وأخذت خصلات شعره اتجاه الرياح... أدار رأسه وابتسم. لحظات وعاد للجلوس. نظر إلى بدر السماء هذه المرة وقال: القمر مكتمل، وهناك إحساس، أجل، إحساس قوي يقول أن قصتي سوف تكتمل فجر هذا اليوم، أعتقد بشدة أن ساعة الرحيل قد تكون مع الساعات الأولى للفجر.

تابع قائلا: لكل قصة عظيمة دوافع صارمة، تفرض قيودا رئيسية لتأسيس عوالم مثالية، مهما كانت طريقة كتابتها. بعض النظر عن الشغف وما قد يريده الإنسان في حياته، أعتقد أنك كنت داعي. لا زلت أذكر تلك العظات التي قدّمتها لي، أذكر تلك الابتسامة الصامتة وأنت تربت فوق كتفي... خلف العظات التي قدّمتها ، كانت تختبئ ملايين من الأمنيات، خلف ابتسامتك الصامتة كانت تختبئ ملايين من الضحكـات، لذلك حلقت، حلقت عاليا إلى سماء عالمها، لدى جناحان، في كل لحظة يرفران، لكن الآن، لا أعرف إلى أين أطير، لقد أربكتني !

لم أجد إلى الآن تفسيرا لحياتها، أعلم فقط أني قمت بعمل جبار ورب العرش وحده من سواها... أجل، رب العرش الذي صورني من عدم، هو وحده الذي سواها، أنا قمت

يَفْعُلُ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَقْطُ وَهُوَ أَئِنِّي رَسِّمْتُهَا. عَلِتْ مَحِيَاهُ ابْتِسَامَةً ثُمَّ قَالَ: حَتَّى أَئِنِّي لَمْ أَلْوَحْنَا،
هَذَا لَأَئِنِّي رَسِّمْتُهَا مَلْوَنَةً! مَعَ هَذَا الْإِحْسَاسِ الَّذِي يَرَاوِدِنِي هَذِهِ الْلَّيْلَةَ بِأَئِنِّي عَلَى وَشَكِّ
الرَّحِيلِ لَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَجْسِدَ مَعَانِي مَحِيَاهَا وَأَنْ يَشْعُرْ نُورُ مَنْ أَبْهَجَ دُنْيَاها، فَمَا لِلْقَلْبِ
حِيلَةٌ غَيْرُ أَنْ يَهُواهَا... قَلْتُ لَهَا لَا تَنْظُرِي أَبْدَا إِلَى أَعْمَاقِ قَلْبِي الَّتِي تَتَلَلَّاً بِأَنوارِ حِبِّكِ
وَانْظُرِي إِلَى قَلْبِي الْمَكْسُورِ، رَغْمَ كُلِّ أَلْمٍ لَا زَالَ يَقُولُ أَنَّهُ عَلَى حِبِّكِ مُجْبُورٌ، الْآنَ أَجْهَلُ
سَبِيلَ الْخَلاصِ، حِبَا بِاللَّهِ، مَاذَا سَأَفْعُلُ؟

فِي سَبِيلِ تَحْسِدَكِ، خَسِرْتَ كُلَّ شَيْءٍ، لَمْ يَقِنْ لِي أَيِّ شَيْءٍ، تَلَاشِيَتْ يَا حِبِّي...
تَلَاشِيَتْ وَاللَّهُ حَسْبِي... كَنْتِ الْبَدَائِيَّةَ لَحْبَ الْجَرْفَتِ خَلْفَهُ كُلِّيَا، حُبُّ مِنْ نُوْعٍ آخَرَ عَمِيقٍ
جَدًا، صَارَ يَتَغَلَّلُ عَبْرَ ذَرَاتِ جَسْدِي الَّذِي اسْتَنْزَفْتَهُ عَوْاطِفَكِ، حُبٌّ مِنْ الصَّعْبِ رَؤْيَتِهِ
وَالْأَصْعَبُ مِنْ ذَلِكَ إِدْرَاكُهِ.

سَالَتْ دَمْعَةً مِنْ عَيْنِهِ، لَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا ابْتَسَمَ وَقَالَ: بَعْدَ كُلِّ تَلَاقٍ كَانَ يَأْتِيُ الْفَرَاقُ،
وَالْآنَ لَا يَوْجِدُ سُوْيِّ الْبَقَاءِ أَمَامَ الْمُحْبُوبَةِ، لَكِنْ دُونَ الْعَنَاقِ! هَذَا الْأَلْمُ، مَا أَقْسَاهُ... أَجْلُ،
كَذَلِكَ مَا أَحْلَاهُ!...

مَذْ وَلَدْتُ، رَاحَ كُلُّ شَيْءٍ يَطَالُبِنِي بِالْفَنَاءِ حَتَّى تَجْسِدِي. أَفْنِيَتْ كُلَّ شَيْءٍ...
أَغْرَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي دَوَامَاتِ شَغْفِي بِكِ، أَحْرَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي نَارِ عُشْقِي لَكِ، جَعَلْتَ
كُلَّ شَيْءٍ يَتَلَاشِي فِي عَوَاصِفٍ وَلَهِيَّ بِكِ... لَسْتُ عَبْرِيَا، أَنَا فَقْطُ طَفْلٌ صَغِيرٌ لَكِنَّهُ
عَاشِقٌ وَلَهُانٌ... وَسَبِّحَانَ مِنْ هِيَأَيِّ لِتَلَقِّي هَذَا الدَّمَارِ بِجُبُورِهِ.

لَا يَزَالُ ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي دَاخِلِي حَيَا، لَنْ يَصْمِتَ، لَا زَالَ يَقُولُ أَنَّ مَسَارِيَ لِنِ
تَنْتَهِيِّ، وَلِأَجْلِكَ فَأَنَا لَنْ أَتُوقِفَ، لَنْ أَتَرَاجِعَ وَلَنْ أَغْيِرَ وَجْهِي... وَجْهِي أَنْتِ لَا سُوَاكِ،
لِأَجْلِكَ سَأَكْتَسِحُ مِنْ جَدِيدٍ، أَتَلَاشِي مِنْ جَدِيدٍ، أَتَعَذَّبُ مِنْ جَدِيدٍ... بِاللَّهِ مَاذَا فَعَلْتَ
لَهُذِهِ الرُّوحِ الْعَاشِقَةِ حَتَّى تَرْضَخَ لَكَ عَنْ طَيْبِ خَاطِرِهِ.

حيّ لك ليس مجرّد رابطة روحية عميقـة، أقسم لك أنّ شغفي هذا ظاهرة كونية أنا مركـزاً وأنت امتدادـها، ظاهرة كونية روحـي تطالـبني بالتماهـي فيها، عاطـفة كونـية تسـير بي إليـك، أردت رسم نفـسي فيـك أنت فقطـ، أردت التخلـي عن كلـ شيءـ، لأمنـحـه لكـ أنت فقطـ... لأنـي رغمـ كلـ نقصـ فيـكـ، فلـستـ جديـراً بكـ...

أريد من الكـونـ بـأسرـهـ أـنـ يـعـرـفـ ويـقـرـ بـصـوـتـ عـالـيـ أـنـ كـلـ شـيـءـ لـاـ يـتـقـاطـعـ معـ مـسـارـاتـكـ السـاحـرـةـ، فـهـوـ مـفـتـقـدـ لـلـجـمـالـ وـفـقـ ماـ تـقـنـضـيـهـ أـعـمـقـ مـعـانـيـهـ... حـيـ هـذـاـ نـعـمـةـ وـبـرـكـةـ سـماـوـيـةـ. أـنـاـ أـنـصـهـرـ، أـذـوـبـ، أـسـيلـ، أـتـلـاشـيـ... أـعـشـقـ بـجـنـونـ، شـغـفـيـ بـكـ حـارـقـ وـمـجـنـونـ، أـرـيدـ مـنـ الـكـونـ بـأـسـرـهـ أـنـ يـقـىـ مـشـدـوـهـاـ إـلـىـ الصـورـةـ الـتـيـ أـبـدـعـكـ اللـهـ تـعـالـيـ عـلـيـهـاـ... لـاـ يـنـطـقـ إـلـاـ بـسـبـحـانـكـ يـاـ اللـهـ...

سـأـمـوـتـ يـاـ حـيـ، يـاـ قـطـرـةـ الـعـشـقـ الـتـيـ اـنـسـكـ بـحـرـهاـ فـيـ قـلـيـ، لـكـنـيـ لـاـ زـلتـ أـجـاهـدـ حتـىـ يـقـىـ جـسـدـيـ أـرـضـكـ، وـحتـىـ يـقـىـ قـلـيـ روـضـتـكـ العـطـرـةـ، وـعـنـدـمـاـ يـتـلاـشـيـ جـسـدـيـ الـفـانـيـ، لـنـ تـكـوـنـ أـجـمـلـ وـرـدـةـ تـفـتـحـتـ عـلـىـ الـأـرـضـ، لـاـ، بلـ سـتـحلـقـ بـكـ روـحـيـ لـتـكـوـنـينـ أـجـمـلـ وـأـلـمـعـ شـمـسـ أـشـرـقـتـ فـيـ سـمـاـوـاتـنـاـ، أـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـجـعـلـنـيـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ كـوـكـبـكـ، كـوـكـبـ صـغـيـرـ وـخـجـولـ، يـخـبـئـ فـيـ سـمـاـوـاتـكـ، مـسـارـاتـهـ مـقـيـدـةـ فـيـ مـدارـاتـكـ.

فـجـأـةـ سـعـ لـوـنـفـيـروـ صـوـتـ خـطـىـ تـتـجـهـ نـحـوهـ، كـانـ لـيـارـيـسـيـامـ. الشـخـصـ الـذـيـ يـتـظـرـهـ لـوـنـفـيـروـ. مـاـ إـنـ جـلـسـ لـيـارـيـسـيـامـ بـجـانـبـ لـوـنـفـيـروـ حتـىـ قـالـ هـذـاـ الأـخـيـرـ: لـيـارـيـسـيـامـ، صـحـيـحـ أـنـيـ جـدـ مـشـوـشـ، لـكـنـ أـفـكـارـيـ الـمـتـشـابـكـةـ كـلـهـاـ مـتـنـاغـمـةـ عـلـىـ نـسـقـ بـدـيـعـ جـداـ!ـ الـأـوـهـامـ تـتـرـبـصـ بـيـ، لـكـنـيـ عـلـىـ يـقـيـنـ تـامـ بـأـيـ الـآنـ لـاـ أـعـيـشـ وـهـمـاـ وـأـطـنـ أـنـهـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ نـبـدـأـ، لـنـبـدـأـ إـذـنـ.

رفعـ لـوـنـفـيـروـ رـأـسـهـ، وـأـزـاحـ خـصـلـاتـ شـعـرـهـ الـتـيـ كـانـتـ تـتـدـلـىـ عـلـىـ وـجـهـهـ، ثـمـ التـفـتـ إـلـىـ لـيـارـيـسـيـامـ قـائـلاـ: مـاـذـاـ هـنـاكـ حتـىـ جـعـلـنـيـ أـغـادـرـ كـوـخـيـ الصـغـيـرـ الـجـمـيـلـ وـآـتـيـ إـلـىـ هـنـاـ؟ـ

سلم لياريسيام مخطوطة إلى لونفيرو ثم قال: رسالة من نيماسيول، تقول أنها مشتقة إليك، وتتوقع لرؤيتك، وتعتقد أن الوقت قد حان لتبقى بقربها، وتبقي بقربك. ابتسם لونفيرو ثم أمسك بالمخطوطة وضمها إلى صدره. قال في سره: طيري الحبيب مجنون، يشتاق وهو معي في كل لحظة! سرعان ما نظر إلى لياريسيام قائلاً: نيماسيول اشتاقت إليّ، ماذا عنك؟ قال لياريسيام: من البديهي أنني اشتقت إليك يا بني، لكن هناك ما هو أهم من الاشتياق. سادت فترة وجيزة من الصمت ثم تابع كلامه: ألا تعتقد أنه يجب إعادة النظر فيما فعلته؟

ابتسם لونفيرو ابتسامة خفيفة ثم قال بكل تواضع: تعلم أيني من عالم آخر!
قال لياريسيام: لا شكوك، أقصد أن هذا من المسلمات، لكن هلا شرحت لي كيف تمكنت من فعل ذلك يا بني؟

أجاب لونفيرو: كلنا سوف نرحل من هذه الحياة، لكن لكل شخص طريقته في الرحيل، لم أكن أدرى إذا ما كنت أعيش أو هاما سوداء أم أحلااما وردية، لكن نظرا إلى أحلامي المجنونة، النية منها والسوداء على حد سواء، كان يجب أن أنشأ في ظل فكرة مجنونة وقد كنت تكفلت بالأمر مذ كنت طفلا صغيرا. كنت ألعب مع الأطفال، نمرح هنا وهناك، فجأة أصرخ بأعلى صوتي حتى أشعر بأن حبالي الصوتية ستنتقطع... صرخ لونفيرو بأعلى صوته جاعلا الصدى يتعدد حولهما: لونفيرو، تعال إلى هنا... هنا... هنا.
أخرج نفسا ثم تابع يقول: كان الأطفال يتساءلون، ماذا يفعل بندائه لنفسه؟ لم يكونوا يفهمون، كنت أصدّمهم. أما أنا فكنت أذهب إلى المرأة وأقول: ضع يديك خلف ظهرك وأنصت إلى جيدا.

كنت متيقنا أين لا أحدث نفسي إنما ذلك الصبي خلف المرأة هو من كان يكلمني، وقد كنت أنظر إليه، لا إلى نفسي!. كنت أصغي إليه لا إلى صوتي!. الحقيقة أن ذلك

الصبي نفسه هو من كان يناديني!

كنت أضع يدي خلف ظهري مباشرة ثم أنظر إلى ذلك الطفل القابع خلف المرأة
بعيون تملأها البراءة... أجل، البراءة... بعدها أقول:

إذا أردت تحقيق شيء كبير، يكفي أن تكون متواضعا وحولك أناس يقولون أنك
 تستطيع، أو أن تكون مغرورا و حولك أناس يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت - تحقيق
 ما لا يفهم الناس كيف حققه، فيجب أن تكون متواضعا بين الناس ومغرورا مع نفسك.
 هنا بالذات حصلت المشكلة في كوني أجمع بين المتناقضات، أنا بريء لكنني جعلت
 نفسي تنشأ على أن التناقض شيء جد عادي، التواضع والغور، متضادان نشأت
 عليهمما، ماذا سأفعل؟. التناقض، قد يكون مفتاح التوازن و قد يكون مفتاح الجنون، لكن
 في حالتي، هو مفتاح لكليهما.

تابع لونفiro كلامه: لذلك يا لياريسيام، منذ سنوات طفولتي الأولى وجملة واحدة
 تتردد في عقلي، أثناء وعيي وفي أحلامي، ألا وهي تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققه،
 تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققه... شكلت هذه الجملة هوسا لا يمكن تخفيه،
 حدوث عكسها صار هاجسا يقلقني وحاولت أخفيه، لذلك نادرا ما كنت شخصا جديا
 في عالمي الواقعي، في أغلب الأوقات كنت غير مبالٍ بالبَّة، لكنني كنت جديا كل الجد في
 عالم الأحلام... صمت لوهلة ثم قال: أجل، كنت جديا... وهذا في كل لحظة وكل
 نفس.

بعد سنين من الدعاء الصادق و الصبر الجميل، بعد سنين من العمل الجبار والمؤثر،
 وفي صمت مطبق، ماذا جئت؟. عدت إلى تلك المرأة، لم أنظر إلى نفسي إنما نظرت إلى
 ذلك الصبي الصغير. شعرت كأني عدت بالزمن إلى سنوات طفولتي، أصغيت لذلك
 الصبي - لونفiro الصغير وهو يقول: إذا أردت تحقيق شيء كبير، يكفي أن تكون

متواضعاً وحولك أنساً يقولون أنك تستطيع، أو أن تكون مغوراً وحولك أنساً يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، فيجب أن تكون متواضعاً بين الناس ومغوراً مع نفسك.

حين انتهى ابتسمت له، ثم قلت: أعلم جيداً، أنت أنا، زاد طولك كثيراً، لكنك بقيت نوعاً ما قصيراً، تغيرت ملامحك قليلاً، حتى أنك أصبحت جميلاً، أطلت شعرك الأسود والجميل كثيراً، وتبعدوا الآن شاباً وسيماً، لكنك لم تضع أي استثناء، لذلك لم يكن لي الحق أبداً في وضع أي استثناءات. أتذكر جيداً عندما تلاشت ابتسامتي وخفق قلبي بشدة وضاق نفسي في لحظة خاطفة، ثم بقبضة حكمة من يدي كسرت المرأة بقوه وقلت: أصمت الآن يا لونفيرو، أصمت، فحتى أنت لن تفهم!

لا أحد منهم طبيعة الاضطراب الذي أعانيه، هذا الأمر يمزقني من الداخل، يعذب روحي. أجل، أنا الشخص الذي كان خلف المرأة، شخص واحد، لكن من منهما أنا!... أقصد من هو لونفيرو! أنا دمرت الشخص الذي كان خلف المرأة، ودمّرت نفسي بعمل مرهق، وهنا بالذات بدأ الارتباك يحدث، أيقنت أن مرضي يتلخص في عدم قدرتي على إدراك ذاتي، صحيح أنني قد فقدت كينونتي في عوالم حي... لكن لا أعتقد أن هذا هو السبب وراء عدم قدرتي على إدراك ذاتي...

قال لياريسيام: لم أفهم غرورك مع نفسك، لا زالت تحيرني طبيعة اضطرابك، لكن لونفيرو بنيّ، ألا تتنمني لو أنك دمرت ما سرقته من تلك الجماعة؟
ابتسم لونفيرو قائلاً: أولاً، أنا لم أسرقه، إنما أخذته، معاذ الله أن يكون أخذ الأسود الجميل من جماعة السرّ الأسود سرقة، الحمد لله أني غيرت الشرّ بيد مستقيمة، ثابتة وراسخة.

ثانياً، لا تحاول فهم كل شيء، لا تتصرف وكأنك لا تعرفني، تعلم يقيناً أني كنت

أحل مشاكلني بإيجاد مشاكل أكبر من المشاكل التي لدى وليس بإيجاد حلول مناسبة.

- لا تقلق، لن ألومك وقد بدأت أظن ما يظنه جميع الناس وهو أنك مجنون!

قال لونفريو: كذلك ظنوا أن كل ما أحّقّه يتحقّق لأن القدر يوافق رغباتي، لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة هي أن الله يستجيب دعواتي، صار كل شيء أفعله يتتجاوز قدراتي، عرفوا قناعاتي، لكن لا أحد منهم عرف جوهر ذاتي، صار الجميع مشككا في اعترافاتي، صار الجنون عذرا ليفسروا قناعاتي، عجزت الكواكب السيارة عن رؤية مداراتي، صارت روحي متيقنة من اعتقاداتي، وحلقت في أكوان لا تعلم شيئاً عن انتماصاتي، حتى صرت فلكا سابحا فيها جاهلاً مساراتي.

تابع: والآن فلنعد إلى موضوعنا، بالتحديد إلى ما أخذته. تعرف الكثير من الأشياء، لكن الكثير من الأشياء تحملها يا لياريسيام، سوف أخبرك ببعضها الآن. كان يجب أن آخذه منهم ولو لا طبيتي لما أخذته.

في كثير من الأحيان أتساءل كيف استطعت إتمام كل ما تعلق بما أخذته، فأنا لم أستطع أن أَئِمْ أي شيء في حياتي، كل الأشياء التي بدأتها تركتها ناقصة. صمت لوهلة ثم تابع: أظن أن هذا هو الشيء الوحيد الذي أكمنته.

- أجل، تركت الكثير من الأشياء التي بدأتها ناقصة، وذلك لم يكن راجعاً لعجزك عن إتمام الأشياء، إنما يعود للملل الذي كنت تشعر به ما إن تباشر العمل عليها، رغم ذلك إلا أنك كنت تتركها ناقصة بطريقة جميلة.

- ذكرتني بكلماته... اسق حياة الويل حتى ترى أحلام قلبك تخرق البعدا، عِش حياة ثُرْبَحَى لا تستطيع لها الدنا سردا، ارق العلا، للنجم كن دائماً نِدّا، أحلامك اجعلها لوحة تنشد الجدا... الذكري قاسية لذلك فلنعد لموضوعنا.

بالنظر إلى العدد الهائل مما أنت تعرفه، فكرت أن أصنع شيئاً أسوداً وجميلاً في نفس

الوقت، لكن سمعت أن هناك من صنع شيئاً أسوداً وجميلاً، حين عرفت دوره أيقنتُ أن ذلك مستحيل، وأن ما قيل عنه مجرد كذبة، لكنني قررت أن آخذ أسودهم الجميل رغم أن ما قيل عنه شيءٌ مستحيل.

- أصرّيتُ عليكَ أن تدمّره يا بني ولا أفهم سبب تمسّكك بعدم التخلّي عنه وتدميره رغم اقتناعك بأن ما قيل عنه أمرٌ مستحيل؟

- ما يهمّ هو أنني أخذته وانتهى، فكّرتُ كيف أغيّر الفكرة بطريقة بدعة، أي تغييرها مع المحافظة على جوهرها، حينها اخترت العزلة وبدأت، عندما لم أكن أناً لليلاً، كنت تظنّ أنني أعاني من الأرق... لن أنكر أنني أعاني من أرق حاد، لكن من خلاله صرت منغمساً ولا زلت منغمساً في حبّ المحبوبة، ثمّ بداية العمل على أسودي الجميل.

أخرج لونفiro نفساً ثم قال: لياريسيام، شكرًا لكم، أنت والباقيون لأنكم تملكون وتحفظون الأسرار التي من شأنها أن توصل إلى، خبائته وهذا لا يعني أنني أريد ممن أخذ منهم أن يبحثوا عنه ليستعيدوه، لا، أبداً، لكن أتفى أن يرى أحد الطيبين ما صنعت وليس ما أخذت، فالعقبالية تكمن في طريقة الوصول إليه ومن ثم عدم الحصول عليه.

قال لونفiro: لا زلت شاباً لكن كل ما أفكّر فيه هو الموت، صار يملأ أفكاري ونفس الأسئلة بـأرددتها: هل هو آت؟ هل اقترب؟ لازال بعيداً؟ أين وصل؟ حتى أن شعور الموت مع الساعات الأولى للفجر لا يزال يراودني.

- بني، لا زلت في ريعان شبابك فانزع عنك هذه الأفكار، لتكن آمالك في العيش أكبر دون أن تنسى الموت. نظر لياريسيام إلى السماء المرصعة بالنجوم ثم قال محاولاً تغيير الموضوع: إن القمر بدر هذه الليلة يا بني، انظر، انظر إليه، أليس جميلاً؟

رفع لونفiro رأسه إلى السماء، أخرج نفساً عميقاً ثم قال: لم أشأ أن أخبرك، لكن هناك بعض الخوف يقع في داخلي هذه الليلة، أشعر كأنني نسيت ثغرة صغيرة وأحاول أن

أعرفها دون جدوى.

قام لياريسيام قائلاً: بني، تصبح على خير، غلبني النعاس وعلى العودة، اطمئن فلا أظن أنك تركت أي ثغرة.

قال لونفيرو: للإشارات التي تغير قدرنا حياء شديد جداً، فعند اضطراب القلب تظهر بحلاء للروح، لكن معظم الأرواح تضطرب باضطراب القلب، والإشارات التي تغير قدرنا إشارات سامية جداً ولديها رفعة نادرة ولا تتجلّى أبداً للروح المضطربة... إنما تتجلّى للروح الرفيعة... إن القلب هو الصورة، والروح هي المعنى، وحين تتدخل الصورة والمعنى لا يظهر الطريق، بل يعكس القدر في صفحة الروح، لذلك على الروح أن تكون طاهرة وعلى القلب أن يكون نقياً، حتى يكون اليقين تاماً في الروح، ويكون الثبات حلواً في القلب، وفي هذا الارتباط السامي يكمن اطمئنان النفس... لست مطمئناً ...

قال لياريسيام: إن زادت شكوكك ففكّر بروية حتى تهتمي إلى هذه الثغرة. تابع: بني، الشغف بتحقيق أحلامنا لا ينسينا آلامنا، فالآلام هي التي تلهب شغفنا بتحقيقها... وإذا انقدنا لشغفنا فسوف يدمّرنا... تذكر هذا جيداً.

ابتسم لونفيرو ثم قال: بالنسبة للحاملين، فالدمار آت لا محالة... الشغف يسجّننا، وهو لا يحرّرنا إلا إذا تخلينا نحن عن أحلامنا، وإذا تخلينا عن أحلامنا، ففي تلك اللحظة ندمر أنفسنا... لذلك يجب أن يدمّرنا شغفنا حتى لا ندمر أنفسنا، لكن الشغف عندما يدمّرنا، فهو يعطيانا عزاء حلواً... إنه تحقيقنا للأحلام... نعيش مدمرین، لكن في ذلك الدمار الهائل توجد سعادة ولو أثّها تبقى صامدة.

تابع: حسناً، أنصت إلي، إن حدث وغادرت الحياة فاحرصوا على أن تبقى الأسرار معكم، كشفها ليس سهلاً أبداً، إياك أن تنسى أنها مجاهود سنين من العزلة، وما يقع خلفها هو أسودي الجميل.

- لا تقلق، سنحافظ عليها ونختار بعناية من يخلفنا للحفاظ عليها بعد موتنا، أتمنى أن أراك بخير في المرة القادمة إن شاء الله.

قال لونفيرو: في صباح الغد إن شاء الله سنلتقي في هذا المكان، ربما أكون قد تركت ثغرة ما وسيتحتم عليك أن تعرفها، كما أظن أن المدينة المهجورة لا تزال بعيدة من هنا؟ أجاب لياريسيام: أجل، لكن يمكن الوصول إليها يا بني، لذا إن أردت التأمل كما كنت تفعل قبل اعتزالك فاذهب إليها.

قال لونفيرو: أجل، أعتقد أني سأذهب إليها.

استقام لونفيرو بقامته المتوسطة وجسده النحيل ثم قال: آه و لو ترين إلى أين وصلت معك؟

نظر إلى لياريسيام بابتسامة تخفي حزنا عميقا ثم قال: أشعر أني سأموت ولن تتجلى ابتسامتها التي لا زلت أؤمن بها، جاهدت ولم يكتمل حبي... لكنه لم يبق حبا من من طرف واحد... ما أقصى هذا الألم لكن يا للإبداع!

قال لياريسيام: هل لك إذن أن تخبرني عنها؟ كنت أظن أنك لست ممن يحبون وراجعت نفسي حين أخبرتني أن عدم نومك راجع لأنغماسك في حب المحبوبة، وعملك المتعلق بأسودك الجميل.

قال لونفيرو: من الله على بها، فقد الإحساس بذاتي في حضرتها. أحب، لكن حبي من نوع آخر، لأن المحبوبة من عالم آخر!

نظر إلى السماء، ابتسم ثم أخذ يقول: لا أدرى، لا أدرى كيف أتنبئ فكرة الرحيل في غياب الدوافع، لكنني رحلت من هذا العالم وأنا باقي فيه لأنلاقي وجهها البديع العميد... لمست كيانها برقة وعذوبة، تلاشيت حتى تتجسد، إنها كوكبتي التي لا تدرى شيئا عن شاعريّتي، فهي:

تنساب عبر بحار أشواقي وتلقي مسحة طيفيه
تنسلُ من لمسات أفكاري وتعبر ساحة مخفيه
عقبت مواطنها، بألوان الشذا الفواح قل مسقيه
أنوارها اخترقـت أحاسيس الفؤاد بلمـسةٍ سحرـيه
في ليـلـتي ابـتـقـتـ من الإـدـراكـ تـرـسلـ نـسـمةـ بـحـريـه
وـتـسـلـلـتـ آـيـاتـ حـبـكـ يـاـ حـدـائقـ باـحـتـيـ المـسـكـيـه
فـتـأـلـقـتـ أـعـماـقـ إـحـسـاسـيـ وـشـعـتـ مـاـسـتـيـ الـأـبـدـيـه
وـتـلـأـلـاتـ أـحـلـامـنـاـ فيـ لـوـحـةـ أـلـوـانـهاـ طـيـفيـه
فيـ كـأسـ موـسـمـهاـ أـرـىـ اـمـتـزـجـتـ روـاحـ جـنـةـ سـحـرـيه
وـكـأـنـ أـحـلـامـيـ لهاـ عـنـدـ المـسـاءـ شـوـاطـئـ وـرـديـه
ترـاحـ فيـ أـعـماـقـ إـحـسـاسـيـ وـتـعـبرـ نـسـمةـ صـيـفيـه
وـتـرـاقـصـتـ فيـ رـوـضـةـ الـوـجـدانـ كـلـ فـراـشـةـ مـلـكـيـه
بـيـسـاطـهـ،ـ مـثـلـ الـرـبـيعـ إـذـ يـمـرـ بـمـنـزـلـ فيـ قـرـيـهـ رـيفـيـهـ
أـوـ بـاـقـةـ مـنـ أـقـحـوـانـ سـاحـرـ،ـ تـدـاعـبـهاـ أـيـادـ صـبـيـهـ

كان لياريسيام قد ذهب، أما أنا فعدت لأستلقي على العشب الأخضر الناعم أتذكرة
كوهي الصغير الجميل. بقية هناك لوحدي، خاصة أني أبجل العزلة، هي عالمي الرائع،
الوحدة أفضل، والحمد لله أن زوجتي نيمائيسول الجنونة قد تفهمت وضعي طوال سنوات
عزلتي!

تابع: لا بد أن المكان الذي أعيش فيه يشعر بالوحدة الآن، لم أتركه إلا نادراً جداً.
قبل سنين، تحديداً في اليوم الذي أخذت ما أخذته، اقترح لياريسياً أن أجعل ما
أخذته يتلاشى، كنت أخبرته أني سأضفي عليه لمسة من لمساتي بفرشاتي المميزة.
توسدت يدي ثم رفعت إحدى ساقيه وتركت الأخرى على الأرض. رحت أتأمل
روعة السماء ومصابيحها دون التفكير بشأن الشغرة التي كنت أشعر أني تركتها. مضت
فترة وجيزة وأخفضت بصري لألمح ظل شخص يتجه نحوه مباشرة.
كان يحمل مشعلاً في يده وانسلّ الوجه البرتقالي إلى داخل عيني ولم أقم بأية ردة
 فعل، أمعنت النظر فيه. كانت عيناه تلمعان، الشر يتلألأً في صفحاتهما.
في اللحظة التي عرفت أنه من الذين يريدون استعادة ما كنت قد أخذته، عرفت الشغرة
التي نسيتها... يا إلهي، أحتاج بعض الوقت الآن، لكن كيف؟
قمت ثم أسرعت بالركض وأنا أدعوه: أرشدني يا إلهي، أرشدني يا إلهي... ماذا سأفعل
الآن؟...

كان نبض قلبي قد تسارع قبل أن أسرع بالركض، كيف لا وأنا على وشك تدمير كل
شيء. ركضت تحت نور القمر الذي كان بدرًا وظلّ يطاردني.
صوت في داخلي قال: لونفiro، هيا... هيا، قم بالأمر وأنفه، هذه فرصتك الوحيدة،
لو وصلوا إلى حقيقة الأمر فقد تعقد مصيرك... وتنزق الكثير من الأرواح.
قلت أني سأهدم عقريتي، تاجي الغالي، زهرة سنين من العزلة في جبل موحش تحت
سقف كاد أن ينهار فوقني، أكثر من سبعة سنين مضت، حلمي الذي لأجله خاصمت
عيناي الرغبة الملحة في النوم حتى صرت أحهل معاني النوم، لكن بغضّ النظر عن كل
هذه الأشياء، لا أستطيع تدمير كل شيء، خارت قوائي وقدماي لا يمكنهما حملني خارج
هذا المكان حتى أنكث وعدني وأدمر كل شيء، وكلّ شيء أتركه يذهب هباءً... يا إلهي،

ماذا سأفعل؟

كانت أنفاسي تتدافع في كل لحظة للخروج من حلقي، كانت أمواج أفكاري تتلاطم وأنا أبحث عن حل.

اقرب الفجر ودخلت المدينة المهجورة وقد وهنت خطواتي ولم تعد ركبتي قادرتان على حمي، أرشدني يا إلهي، ماذا سأفعل؟

كانت قدماي تعبر أزقة المدينة المهجورة، أما أفكاري فتعبر ظلال الأوهام، كل فكرة عن إيجاد ملجاً لسد الثغرة كانت مجرد وهم، دعشت النجوم المتلائمة، تحركت قليلاً، ثم نظرت صوب السماء وقلت لنفسي: ماذا فعلت يا لونفيرو؟ أجبت: قد أكون مخطئاً، لكن في غير أبواب السماء، أين أجد العزاء؟ ساختني يا إلهي.

كان جسدي مغموراً في الظلمة الداكنة، لم أستبن طريقاً إلا من خلال الأنوار التي كانت تُمطرها النجوم اللامعة بعد أن يغازلها القمر، فجأة تداخلت خطواتي بشدة أثناء ركضي، لحظات فقط وسقطت على الأرض بقوّة جاثياً على ركبتي وأخذت أتلنفت حولي، لا شيء حولي الآن، لا شيء غير الفراغ...

واجهت صعوبة في السيطرة على تدفق أنفاسي، وكان يجب أن أنسى كل شيء حولي، حتى أجد طريقة لأصلاح كل شيء في ظل تلك الفترة الوجيزـة، لذلك، نسيت ظرفـي الذي أنا فيه، نسيت إـرهـاـقـيـ، نسيت مـطـارـدـيـ... فـجـأـةـ وبـطـرـيـقـةـ ما أحـسـسـتـ بيـدـكـ تـرـبـتـ فوقـ كـتـفـيـ، وـتـرـمـيـتـ نـغـمـاتـ صـوـتـكـ العـذـبةـ فيـ خـاطـرـيـ مـجـدـداـ، أـغـمـضـتـ عـيـنـيـ، أـنـصـتـ إـلـىـ لـفـظـ اـسـمـيـ وـهـوـ يـنـسـابـ عـبـرـ شـفـقـيـ، بـقـيـتـ أـنـصـتـ بـطـرـيـقـةـ ما لـصـوـتـكـ الـبـدـيـعـ حولـيـ: لـونـفـيـرـوـ... لـونـفـيـرـوـ... أـصـغـيـ إـلـيـ، تـلـامـسـتـ رـوـحـكـ، فـهـيـاـ، هـيـاـ لـسـتـ وـحدـكـ، لـازـلـتـ قـرـبـكـ، أـنـصـتـ فـقـطـ لـتـسـمـعـ نـغـمـةـ صـوـتـيـ تـرـدـدـ فيـ جـوـانـبـ رـوـحـكـ، اـنـظـرـ... اـنـظـرـ فـقـطـ حـتـىـ تـرـىـ طـيـفـيـ يـتـرـاقـصـ فيـ مـدىـ قـلـبـكـ، لـونـفـيـرـوـ، إـنـيـ أـتـمـيـ لـكـ، هـيـاـ

استمع... استمع إلى صوتي.

تذكر أنّ حقيقة الإيمان تتجلّى في اطمئنان الروح لما تنهيّج عواصف الابلاء، لطالما كان الناس في كلّ زمان ومكان لا يريدون أئمة للخير، بل يريدون مهرّجين يزبّعون الوجه العاري للشّرّ، ويدنسون الوجه المستحبّي للخير، لكن أصحاب النفوس الخبيثة فقط من يحومون حول زهرة الحياة الدنيا ويعتقدون أنّ عبيرها إكسير شبابٍ أبدى، لكنه في الحقيقة مخدّر، يخدر قلب المرء، فتتغلّل الأكاذيب في عقله حتى يخطفه الموت فجأة، لذلك على المرء الحذر من مغريات ومباهج الحياة الأرضية، فمعظم النفوس، حين تبتلى بالحجاب المؤقت الذي يؤجل قليلاً إشراق شموس الخير، تستسيغ شمعة الشرّ.

هناك سالت دموعي على وجنتيّ، هناك تحسّدت صورتكِ أمام عينيّ... نيماسيول... نيماسيول... ثم أرسلتِ سلامكِ الأخير وأنا على وشك الرحيل... مددث يدي حتى ألامس يدك... فجأة استوّعت واقعي من جديد.

أخفضت ذراعي وقلت: بالله، أخبرني كيف حدث الأمر يا نيماسيول... الوحيدة كانت جميلة، غير أن وجودك قرّي كان أجمل، لم يعد القلب يخفق، إنما أجنحة روحك باتت في داخلي ترفف.

مسحت دموعي ثم رُكّرت على شيء واحد فقط، ألا وهو حمامة الأسود الجميل... أقصد أسودي الجميل. مضت لحظات ثم ابتسمت.

تبقت خطوة واحدة، كنت متّاكداً منها، ألا وهي أن لياريسيام سوف يأتي إلى المدينة المهجورة، قد ينقذني وقد أقتل قبل أن يأتي، لكن ما بهم هو أن إرثي سوف يبقى ولن أدمّر أي شيء.

كنت جاثياً على ركبتيّ، تعلّل نبض قلبي، صرت أتنفس بوتيرة عادية، ونظرت إلى السماء بابتسمة، كثيراً ما كنت أقول: ليس السبب أن القدر يوافق رغباتي، الحمد لله

الذي يستجيب دعواتي.

فجأة وقع حد السيف على عنقي. شعرت ببرودة الفولاذ الذي لامس جلدي وسرت في جسدي رعشة خفيفة. أحسست بجدوٌث جرح طفيف.

قال مطاردي: أخبرني أين خبأت ما أخذته منا يا من قلب هورايكام عقبا على رأس!. جماعتنا كلها تطالب برأسك وبالأسود الجميل، المنطقة كلها محاصرة، وسيصل الرؤوس الكبار قريبا.

كانت عيناي مثبتة على السماء. كنت أنظر إليها طويلاً من قبل مستشعراً عظمتها، لكن تلك اللحظة كانت لحظة مميزة، كيف لا وأنا على وشك الخروج من هذه الحياة، وأهم شيء في هذا الرحيل هو أنه رحيل دون اقتراف خطأ في حقّ نفسي، بقيت أدعوا للمغفرة.

قلت: تعرف أنّ بإمكانك محو جميع الحدود، لذلك لا تتفوه بالحمقات، ومن الأفضل لكم أن تنسحبوا، فالتساك سيأتون عما قريب، ومن الأفضل لك إنهاء الأمر قبل أن تراق الكثير من الدماء.

بدأ الفجر يلقي تباشيره، إنه آخر فجر لي في هذه الحياة، أشرت بسبابتي إلى إحدى النجوم... شعرت أنها تلامسني بطريقة ما، ثم قلت له بنبرة راض عن نهايته: تلك آخر نجمة أراها في هذه الحياة. كان نورها لا يزال يقاوم لكتني كنت أعلم أنها سوف تستسلم لضوء النهار، في حين أني كنت أستسلم للموت.

ألحّ بصوته الخشن مجدداً: أخبرني أين خبأت ما أخذته يا لونفيرو؟. تابع قائلاً: سأتركك تعيش إن أخبرتني، أعدك بهذا.

ضحكـت ضـحـكة سـاخـرة ثـم قـلـت: لم تـكـن المـنـيـة أـمـنـيـة، لـكتـني كـنـت أـشـعـر أـنـ مـنـيـتي اـقـتـرـبت وـكـنـت أـرـكـض حـتـى لا... دـعـكـ، دـعـكـ منـ الـأـمـر فـلـنـ تـفـهـمـ!

فكرت، سأموت، لكن سأترك عقريتي النادرة، سيسقى سر لونفيرو كيمراي بقطرات لامعة من قلوب متلهفة لمعرفة السر، سيل من الأفكار في تلك اللحظات كان يتدفق، ليكشف ما خبأته، لا بد من قصة أخرى، هل ستكون هناك قصة يجعله يرى النور؟ هل سيفك لغزى الغامض؟ هل هناك من يصدق حقيقة لونفيرو أم يصدق أنها مجرد خرافات تناقلتها الأجيال؟... لا أدرى لأين سأرحل... أجل، أنا على وشك الرحيل.

من جديد قال مطاردي: إني أسألك للمرة الثالثة، أخبرني أين خبأت ما أخذته؟ ابتسمت ثم قلت دون أن أدير رأسِي إليه: لا تعلم أني عنيد، عنادي يتتجاوز عنad الطفل الظريف، لن أخبرك. ارتفع السيف وملع حده. قلت لنفسي: سأموت لا محالة. قال: حقاً، كم أنت عنيد؟ لقد ضيّعت فرص نجاتك كلها، للأسف، انتهت لحظات عيشك في هذه الحياة يا لونفيرو، هيا استعد للموت، واعلم أننا سنستعيد ما أخذته منا، سواء نحن أم خلفائنا.

أرجعت شعري كله إلى الخلف من خلال يدي اليسرى، ثم أدرت رأسِي إليه هذه المرة. ابتسمت ابتسامة صادقة وقلت: بالله عليك، لقد قلبت هوريكاما بأكملها، لذلك لا تحرّب صبري، صحيح أن قواي خارت تماماً، لكن لا تنسَ أني مجذون، والمجانين يقلبون الكفة حين ينهاز كل شيء!.

في تلك اللحظات، استدرت ثم نظرت صوب السماء، سالت دموعي، قلت في سري: اللهم اغفر لي... اللهم اعفْ عني... آمين...

لحظات فقط وتلقى لونفيرو طعنة من الخلف اخترقت قلبه مباشرة، اندفع الدم متدفقاً من فمه، ثم سحب قاتله السيف وهو يقطر دما دون رحمة، وما لبث أن سقط لونفيرو أرضاً وهو يشعر بأطراقه ترتجف... كانت أولى القطرات التي يتجرعها من كأس المنية، جاهد حتى يلتقط نفساً جديداً في هذه الحياة، لكن فات الأوان، بقي يلفظ أنفاسه

الأُخِيرَة، وَكَانَتْ تَلْكَ آخِرَ الْكَلْمَاتِ فِي قَصَّةِ لُونْفِيرو كِيمِرَايِّ. اَنْهِيَ قَاتِلُ لُونْفِيرو وَأَسْدَلَ أَجْفَانَ هَذَا الْأَخِيرَ قَائِلاً: صَحِيحٌ أَنِّي طَوَيْتُ صَفَحَاتِ عَيْنِيهِ، لَكِنْ لَا أَعْتَدَ أَنْ هَنَاكَ مَنْ سِيكُونَ قَادِراً عَلَى طِّيِّ صَفَحَاتِ قَصْتَهِ... فِي الْأَخِيرِ، إِنَّهُ الْمَجْنُونُ لُونْفِيرو كِيمِرَايِّ!

فِي تَلْكَ اللَّهَظَاتِ، مَلَحَ ذَلِكَ الشَّخْصُ ظَلَ لِيَارِيسِيَامَ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا، وَاتَّجَهَ لِيَارِيسِيَامَ رَاكِضًا نَحْوَ جَثَّةِ لُونْفِيرو.

لَمْ تَسْتَأْذِنِ الدَّمْوعَ عَيْنَيْنِ لِيَارِيسِيَامَ. اَنْهَمَتْ عَلَى خَدِيهِ وَسَقَطَ جَاثِيَا أَمَامَ جَثَّةِ الشَّخْصِ الَّذِي قُضِيَ مَعَهُ نَصْفَ حَيَاتِهِ مُعْتَبِرًا إِيَاهُ ابْنَهُ.

احْتَضَنَ جَثَّةَ لُونْفِيرو بَيْنَ ذَرَاعِيهِ. أَخْذَ يَيْكَيِّ بِشَدَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَا... مَا كَانَ يَجْبُ أَنْ أَتَرْكَكَ أَبْدَا بَعْدَ كُلِّ مَا قَلْتَهُ يَا بْنِي... عَدْتُ إِلَيْكَ، لَكِنِّي عَدْتُ مُتأخِّرًا. بَقِيَ يَيْكَيِّ وَحْيَنَ هُمْ بِحَمْلِ الْجَثَّةِ اَنْتَبَهَ إِلَى المُخْطُوطَةِ الَّتِي سَلَمَتْهَا لَهُ زَوْجُهُ لُونْفِيرو، وَطَلَبَتْ أَنْ يَسْلِمَهَا إِلَى هَذَا الْأَخِيرِ.

قَالَ: لَقَدْ كَنْتَ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَنْفَاسِ يَا نِيمَايِسُولَ، فِي الْأَخِيرِ هُوَ مَجْنُونُهَا وَهِيَ مَجْنُونَتِهِ! حِينَ قَامَ بِفَتْحِ الْمُخْطُوطَةِ، اَنْدَهَشَ قَلِيلًا... قَرَأَ:

اقْتَرَبَتْ سَاعَةُ الرِّحْيلِ، فِيمَا يَخْصُّ التَّغْرِيَةِ، لَمْ أَكْمَلْ أَيِّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِيِّ! حَيَ لَمْ يَكْتَمِلَ... لَكِنَّهُ لَمْ يَقِنْ حَبَا مِنْ طَرْفٍ وَاحِدٍ، وَالشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي ظَنِنتُ أَنَّهُ اَكْتَمِلَ نَسِيتَ فِيهِ تَغْرِيَةً صَغِيرَةً، اَجْعَلَ مَا قَمْتَ بِهِ يَكْتَمِلَ، سُدَّ التَّغْرِيَةِ فَقَطُّ، لَمْ أَغَادِرِ الْجَبَلَ، سَبْعَةَ سَنِينَ أَنْسَتَنِي أَنِّي فِي مَكَانٍ لَيْسَ لِغَيْرِيِّ، لَقَدْ حَجَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ لَمْ تَسْدَّ التَّغْرِيَةُ فَسِيَكِتْشِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَنْ يَكُونَ هَنَاكَ أَيِّ مَعْنَى لِإِرْثِيِّ.

لِيَارِيسِيَامَ، اَدْعُ لِيِّ. وَهَنَاكَ طَلَبَ آخِرٌ، اَدْفَنَّيِّ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، مَكَانٌ يَنْتَظِرُ وَصُولَّ جَهْنَمَ إِلَيْهِ، حَتَّى لَا تَبْكِيَنِي يَوْمَ تَحْلِيَهَا، مَكَانٌ يَلِيقُ بِالْمَنْسِيَّينَ، لَأَكُونَ كَطِيرًا شَرِيدٌ فِي رُوضَةِ

منسية، أو كزهرة يبست في جنة سحرية. فيما يخص شاهد قبرى، لا ت نقش اسمى ولا تاريخ ميلادى ولا تاريخ موتي، فقط انقش عليه:

واجعل رؤى أمنيات الروح في مرساها
فاجعل هواها دواء دون أن ألقاها
بالقلب تناسب عبر الروح ما شكواها
أبقي بقلبي وروداً أرفقت أحلامها
تبسطْ بليلي تزدْ شوقاً لكي أحياها
في القلب مُمسية فيه، فما رجواها؟
أبصرت صورتها لا حلّ كي أنساها
إلا دعائكم وقد صَورت من أهواها
سبحان ربِّي فما يسري وما مأواها؟
بالقلب لمستها تنشعْ رؤى دنياها
أنت السكن، وابتهاجي والألم، أهواها
قلبي بأكتافها ذاق الهوى، ناداها
إذ كل لحظه تميزت، فمن سوّها؟
سبحان ربِّي الذي للروح قد أجلاها

أمطر إلهي على قلبي ندى يهواها
صُورتني يا إله العرش من عدمٍ
في كل خاطرة تحضر وسابحة
جلست أدعوك ببابك أنت هو أملِي
أبقي على الحب في قلبي وأجنحة
تبقى وترقى بأفكاري ومُصباحة
مولاي أدعوك أن تحفظ مباحثها
القلب يشتاق يا ربِّي وما سُبلي
أشتاق وهى بقربي، كيف لا لأقل:
إن تطري يا سمائي قطرة فدعني
في كل فكري هنا، أقسمت حاضرة
أنت انعكاس لأوقات مميزةٍ
إني أرى شهباً وضوءاً انطلقت
غير البديع الذي قد سن آيتها

واختتم الكلام بالجملة التالية: قل لنيمايسول أن لا تبكي، الله اصطفها لي واصطفاني لها، فجعلتها ترى ما وراء كوكبتي.

قال لياريسيام والدموع لا تزال تنسكب من عيونه: فهمت، فهمت يا بنى، سيكون لك ما أردت، لكن أنت أهتم الآن من سد الشغرة.

قال: بت أكثر يقينا أنه كان مجانون بطريقة ما، فهمت شيئاً واحداً وهو أنه تلاشى

كليا في سبيل تحسّد محبوبته التي لست أدرى ماهيّتها. لكن كيف تقبلت حبّيّة قلبها
نیمايسوول هذه الفكرة... لا بدّ أنها مجنونة مثله تماما!

تابع: ترك المنزل، وآثار الوحدة على العودة، لكنني أسأل نفسي سؤالاً واحداً: هل
كان مصاباً بجنون العظمة؟

أخرج نفساً عميقاً ثم قال: لأنّه إن لم يكن كذلك، فمفهوم العبرية قبل لونفيرو
سيختلف عن مفهمها بعد لونفيرو!

الفصل الأول: هدية غامضة

"قيمة الأشياء لا تكمن في الوقت الذي تظلله، لكن في الشدة مع ما تحدثه. لذلك هناك لحظات

لا تنسى وأشخاص استثنائيون!"

فرناندو بيسوا

الآن... 1970 بعد ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

مكان رائع، يفوق في روعته روعة العلاقة بين الأم وابنها، مكان هادئ يضاهي في هدوئه هدوء المشاعر الصادقة، وآيات جماله المتداخلة فاقت تداخل أنفاس الحياة، فيوقد الأحساس الجياشة للإنسان حتى وإن كانت نامت سنينا.

مكان قلما تلتقي مثله، ففيه تأسر الأ بصار وتحتمي في سماحته القلوب وتبسط الروح أججحتها لتنعم بالسكينة وتغرق في روعته، لا تعبر عنه الكلمات، ولا تستطيع أن تعكس جماله الخلاب فرشاة الرسام، فما إن يبدأ برسمه حتى تجد كأن الألوان تفقد زينتها ولا تزيد أن تمتزج إلا مع هذا المكان.

كان مكانا بعيدا عن أنظار الناس، لا يتضرر زائرا يعكر صفو هدوئه وإنما ينتظر شاردا أو ضائعا ليحتضنه في لحظة يأسه ويعيد إليه بريق الأمل ليشع في عينيه من جديد، وبذلك يكون قد أبدله لباس الحزن البالي من شدة الألم حلة باهية من حل الفرح السرور. لم يكن الصمت مخيما على هذا المكان فقد كانت العصافير تبهجه بزورقتها وتطربه الطيور بالحانها أما أشعة الشمس فتقبله إن أشرقت صباحا وتودعه بلمسة ساحرة منها إن حان وقت مغيبتها فترسم لوحة أخرى من لوحات الجمال. هذا، وبين أوراق الشجر المتلائمة وبتلات الزهور الخجولة هنالك قرية صغيرة بها حوالي عشرين منزلة على الأرجح،

كلها متشابكة.

كانت منازلاً جميلة ومتواضعة تسحر العين بساطتها وكانت كلها ذات جدران ترابية ملساء ذات أسقف قرميدية. أما أكثر ما يجذب الانتباه فهو ذلك المنزل المعزول نسبياً عن كل المنازل الأخرى التي كانت متقاربة من بعضها، إلا هو فقد كان يبعد عنها بأمتار. تقع هذه القرية الصغيرة في منطقة جبلية تختبئ في القمة وراء الأشجار الكثيفة التي تداخلت أغصانها حتى أنك ومن شدة تداخلها تظن كأنها تعصر الهواء فتجد كأنه يفلت من بين أغصانها بصعوبة كبيرة، أو يتزلق فوق الأوراق التي تكسو كل شبر من الأغصان. يُخيّل للناظر من بعيد أنه لا توجد أية نبضات خلف الأشجار سوى نبضات الطبيعة، فالعين لا ترى أي مسلك أو درب يؤدي إلى القمة، فتراه ينظر هنا وهناك ثم يعود أدراجه لكن الواقع غير ذلك، هناك درب ضيق ينسلي عبر تلك الأشجار ليقى يترعرع بيننا وشمالاً حتى تحس كأنك مجرد ورقة على صفحة مياه عذبة تسيرك التيارات المائية أينما شاءت، حتى إذا ظنت أنك تسير إلى مكان لا وجود فيه لمعنى الحياة وجدت تلك القرية فاتحة ذراعيها مرحبة بوصولك.

لم يكن ذلك الدرب درباً عادياً فقد كان يشق غابة عظيمة تضم إليها كل تلك الأشجار، من أشجار السرو والدردار والكستناء وما إلى غير ذلك من الأشجار التي هي غالية في الارتفاع، درب ترابي ضيق يكاد يكون مخفياً، تحفه الأشجار من الجانبين وأغصانها الجدّ متشابكة عند اعناقها تحجب السماء من رؤيته أما الشمس فتحبّيه في كل إشراق باختراع أشعتها لتلك الفجوات التي تبقى رغم ذلك التشابك. وفي الجهة الشمالية لهذه القرية وحين تبدأ الأرض بالارتفاع قليلاً يتجلّى سياج حديدي يمتدّ على حدود الغابة حتى لا يتجرأ صغار هذه القرية على اقتحامها.

لن تصل الأقدام إلى هذه القرية إلا إن اقتربت من اليأس بعد مسیر طويل حتى تشعر

كأن هاته القرية تبتعد عنك كلما شعرت أنك اقتربت منها، وكلما دقت ساعة ارتياحك من تعب هذا المسير الطويل الذي يستولي على الأنفاس، تجد كأن الطريق يزداد طولاً لا غير. ومن المستحيل أن تصل دون أن تبحث عن قطرة ماء، حتى إذا سألت أي شخص هناك سيدلك على منبع جوفي لتروي ظماؤك ببياهه العذبة، لكن كرم السكان سيمنعك من الذهاب إليه.

بالعودة لذلك المنزل المعزول، لم يكن واسعاً كالبحر، ولم يكن ضيقاً كالقبر، ليس بالكبير ولا بالصغير بل متوسط، له باب خشبية ذات لون بني ناعمة الملمس وجدران ترابية متينة، أما سقفه فكان مغطى بقرميد أخضر تستطيع أن تفرق بينه وبين خضرة الطبيعة البدوية الخجولة به، وأمامه حديقة صغيرة تربتها تمسك البراعم من أن تنزعها مداعبة النسيم الهادئ بين الفينة والأخرى.

أما في الباحة الخلفية لهذا المنزل، فهناك خم لبضعة دجاجات وإسطبل لبضعة خراف، وخمسة أبقار، واحدة منهم سوداء، والأربع الأخرى كانت بيضاء يتخللها بعض السواد، وكذلك إسطبل كبير لتسعة أحصنة.

في هذا المنزل المتواضع تعيش أم اسمها إيمى، يُرجح أن زوجها قد توفي قبل خمسة سنين تاركاً إياها مع فتاة في سن السادسة عشر اسمها إيستارا.

كانت إيمى امرأة بيضاء البشرة في العقد الثالث، معتدلة الهيئة وتکاد تكون نحيلة، ترتدي ثوبية طويلة فضفاضة وقميصاً أسفل الركبتين، أما إيستارا فلم تكن تشبه أمها في أي من الصفات السابقة.

كانت فتاة جميلة في السادسة عشر، ذات بشرة بيضاء ناعمة وعيينان زرقاويتان كزرة ماء البحر العذب تكلمان الناظر إليهما، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، تنطق البراءة في محياتها وتعابيرها، لو حاولت تخيلها عجزت، لو رأيتها مراراً وتكراراً وحاولت تذكر وجهها

البديع نسيت، وكانت أشهر جملة في القرية عن إيستارا هي: الفتاة التي لو كان لها تؤام
حقيقي لكانت إيستارا الأجمل!

كانت تنم عن ذكاء وموهبة تناسب بين ابتسامتها الآسرة، وضحكتها الساحرة،
ولطالما كانت تستمتع بالذهاب في غالب الأحيان إلى بيت مرضعتها باروانا التي كانت
تعدها إيستارا أما ثانية لها، وترتدي لباسا يشبه لباس أمها لكن على مقاسها. كانت
المدرسة بعيدة جدا فلم يستطع صغار هذه القرية أن يرتادوا المدرسة، لكن هذا لم يمنعهم
من التعلم فقد كانوا يدرسون في مدرسة صغيرة تعاون الآباء على بنائها بالقرب من
منازلهم.

كان هنالك ثلاثة معلمين، رجل وامرأتان، الرجل اسمه غايد ويكون عم إيستارا ولديه
ابن يظل يعاقبه، ببساطة لأن ابنه هذا لديه طرق في المزاح تجّرّ لضرره مرارا وتكرارا، لكنه
أحيانا يكون مهذبا ويدعى كونايشي، أما المعلمتان فهما مينال، العمّة، وإيمي والدة
إيستارا.

كانت هنالك أربعة مواد، المادة الأولى هي المعاملة والأخلاق والمعلم المشرف هو
غايد، والمادة الثانية هي اللغات وتشمل كلاً من اللغة العربية واللغة الجاوية، والمعلم
المشرف كذلك غايد. أما المادة الثالثة فهي الرياضيات، والمعلمة المشرفة هي إيمي، المادة
الرابعة هي التاريخ والأساطير وتشرف عليها مينال. أما الدراسة فتكون أربعة أيام في
الأسبوع وهي أيام السبت والأحد، الثلاثاء والأربعاء، يوم كامل للمعاملة والأخلاق، وهو
يوم السبت، وال فترة الصباحية بالنسبة لكل من المواد المتبقية، فنصف الفترة الصباحية
بالأحد مخصصة للغة العربية والنصف الثاني للغة الجاوية، الرياضيات بالثلاثاء، والتاريخ
القديم والأساطير بالأربعاء.

كان كل الصغار في هاته القرية أصدقاء بحكم المكان الذي يعيشون فيه وقلة المنازل وكانوا شغوفين جداً باللعب فإذا انتهت الدوام عادوا إلى المنزل لتناول الغداء وبعدها يخرجون مسرعين للعب، ليجدوا إيسستارا في انتظارهم حتى يغرقوا في الحيرة، متى أنهت غدائها؟ وأحياناً كانوا يشكون في أنها أنهت طعامها حقاً.

أما إيسستارا، فكانت تلعب معهم لفترة قصيرة، بعدها تذهب صوب الغابة وتبقى تسير بجانب السياج، ليس لأنها تحب المشي لوحدها، بل أملاً في إيجاد منفذ يساعدها على دخول الغابة، وعندما ينفذ الأمل تعود لتلعب مع الأطفال حتى تندبرهم الشمس بأنها عما قريب ستغرب.

حتى إذا غربت الشمس كان الكل في منزله يرتاح قليلاً من تعب اللعب وبعد هذا يجتمع وعائلته على مائدة العشاء تحت نور الشموع البرتقالي، حتى إذا انتهت العشاء خلد الجميع إلى النوم في انتظار ما يسفر عنه اليوم المولى.

أما إيسستارا فكانت تعود للمنزل، وتدخل الخراف والدجاج مع أمها التي كانت تعني بالحيوانات في الوقت الذي تكون فيه ابنتها غارقة في اللعب مع أقرانها، وبعدها تدخل إيسستارا إلى البيت وتوقد الشموع، أما إيامي فتدخل بعد الانتهاء من غلق الإسطبل لتتجدد البيت يشع بنور الشموع. بعدها تحضر إيامي العشاء بمساعدة بسيطة من إيسستارا طبعاً، حتى إذا انتهتا من تناول العشاء جلستا مع كأسين من الشاي المحلي بالعسل تتبدلان أطراف الحديث أو تحكي إيامي قصصاً لابنتها التي لم تكن تريد النوم حتى تقول لها أمها اذهبي للنوم، فتقبلها وتذهب إلى فراشها لتنام مباشرة، وأحياناً تشاكس أمها قليلاً قبل الذهاب للنوم.

كانت إيسستارا تستيقظ قبل الفجر مع أمها فتخرج الدجاجات وتطعمهم أما أمها إيامي فتهتم بالخراف والأبقار وبعد الانتهاء تعودان، فتعد إيامي فطور الصباح ثم تذهب

باتجاه المدرسة لتدريس الأطفال، أما إيستارا فتذهب مع صديقتها المقربة التي تدعى ريتومي. أما في فصل الشتاء والخريف فيتغير أسلوب العيش في هاته القرية قليلاً، فتصبح الدراسة يومين فقط، السبت والأربعاء وتقتصر على مادتين فقط، المعاملة والأخلاق واللغة العربية، وفي كل من اليومين يدرسون نصف الفترة المسائية، أما الأغذية فتضطر لأن تتألف الإسطبل والاكتفاء بالعلف الذي كان يدخل في فصل الصيف، عيش بسيط هنيء بتحل فيه كل معايير الحياة السعيدة.

كانت ريتومي فتاة في طول إيستارا، مولعة بالأدب والأشعار، بيضاء البشرة، بجمالية الطلع وترتدي لباساً يشبه لباس إيستارا. كانت والدة ريتومي تدعى مانفيت، وأبوها يدعى جورفين وكانت عائلة ريتومي هي العائلة الوحيدة التي لا تنتمي لأسرة جايكوي الذين يعانون السكان الأصليين لهاته القرية منذ عقود، قرية هاسمي، أما كنية ريتومي فكانت بيساري، وكانوا ينحدرون من قرية أخرى.

كانت إيستارا و ريتومي تقضيان معظم الوقت مع بعضهما البعض منذ نعومة أظفارهما وتعلقت كل واحدة بالآخر تعلقاً شديداً لكن هذا لم يمنع الاثنين من اللعب والمرح مع باقي الأطفال. وفي أحد الأيام المشمسة كانت إيمي جالسة خارج البيت تستمتع ببرقة الشمس وما إن لاحتها عيون إيستارا الزرقاوتيين البديعتين من النافذة حتى قالت هاته الأخيرة بصوت خفيف: ماذا تفعلين عندك يا أمي؟

أجبت إيمي: ماذا أفعل؟ إني أستمتع ببرقة الشمس هنا، تعالى إلى هنا أنت كذلك.

أجبت إيستارا: آتية يا أمي، لكن انتظري لحظات قليلة.

ذهبت إيستارا إلى غرفة أمها وقامت بفتح خزانة الثياب ثم قامت بإخراج وشاح أحمر اللون وأعادت غلق باب الخزانة واتجهت إلى أمها. قالت: إليك يا أمي هذا الوشاح الأحمر لأنني سئمت من تباهي اللون الأخضر حولنا.

- ماذا دهاك يا إيستار؟ قلت لك أين أستمتع بأشعة الشمس الدافئة وأحضرت لي
وشاحاً أضعه حول عنقي كأننا في فصل الخريف أو الشتاء، نحن في أواخر الصيف فقط،
ضعي الوشاح جانباً واجلسني بقريبي.

- لم أكن أعلم أن الفضول هي من تحكم إدخال السعادة على القلوب، ظننت أن كل شيء يُسعد نفعله، بغض النظر عن أي شيء آخر؟

- حسنا، اجلسني، اجلسني سأضعه حول عنقي، لكن إيستارا قالت: انتظري يا أمي سأقوم بوضعه لتصبحي طائراً ذو عنق أحمر.

قالت إيمى: وافقت على وضعه لكن لفترة قصيرة ولا تقولي أية كلمة أخرى. جلست إيسستارا بجانب أمها وهما تواجهان مشهد الطبيعة الخضراء والأشجار المصطفة تلوح في الأفق أمام أعينهما، ولم تستطع الأشجار خفض ناظرها عن جمال إيسستارا، وكذلك إيسستارا التي كان نظرها موجها نحو الأشجار لكن دون أن تنتبه إلى أن الأشجار غارقة في النظر إلى محياتها.

كانتا صامتتين إلى أن قالت إيستارا: أشعر يا أمي وكأن عيونا ما تراقبنا عن كثب، لكنني لست متأكدة. ردت إيمي: أنا كذلك أشعر بأن الطبيعة حولنا تراقب والعصافير فوقنا تراقب، ثم نزعت الوشاح الذي لفته إيستارا حول عنقها وقالت: ضعي هذا على وجهك ولن تشعري بأية عين حولك تراقب.

ما إن غطت إيسستارا وجهها البديع بالوشاح حتى ارتفع. قالت: هذا أنت يا ريتوا،
اجلسني معنا فدفء الشمس أكاد أخجله.

قامت إيمى وقالت: حسنا، أبقيا هنا ريشما أحضر لكم بعض الفطائر اللذيذة.
لم يمض الكثير من الوقت حتى أتت إيمى بطبق من الفطائر المحللة بالعسل، و قالت
مخاطبة ريتومى: تفضل يا ابني.

أمسكت ريتومي بالطبق ثم ترّبعت في مواجهة إيستارا، أما إيمي فقلت: الآن، سأذهب للاعتماء بأغمامي ودجاجاتي حتى أني اشتقت إليهم، أما ريتومي فبدأت بالحديث عن الأدب فقالت إيستارا: نصيحة لك يا ريتومي، دعك من قراءة الأشعار والقصص فهي لا تنفعك فوق ذلك هي سهلة ومملة، أضيفي إلى أن الشعر سهل حتى وإن كان موزونا، والقصة سهلة حتى وإن كانت طويلة جدا. قالت:

ما أجمل الأفراح والأشجار

ثم نظرت إلى ريتومي وقالت: إنه موزون ورائع... لو قطّعه كما علمنا عمي غايد لوجدت أنه مكتوب بالبحر الكامل.

قالت ريتومي: لكنه دون معنى، إنه ليس بيت شعر، إنه مهزلة، فالشعر سحر نابض بالمحسنات البديعية، إنه سحر المجازات والصور البيانية، فنجد نجم الاستعارة أول ما يزغ، فهي أشد الصور البيانية لمعانا وإدهاشنا، تليها الكناية والمجاز المرسل.

قالت إيستارا بنبرة صوت عذبة: اطلب مني أن أبتسم ابتسامة خفيفة فقط، سترين الشعر والسحر في آن، أعدك!

تابع الجمال يقول: لقد خرب الأدب عقلك يا ريتومي ولم يتراك ذرة تصلح وأتنى لك الشفاء والاقتناع بكلامي، أما ريتومي فقالت: على أية حال، لقد جلبت لك هدية، وقامت بإخراج دفتر جميل من حقيقتها قائلة: تفضلي هذا الدفتر الجميل، إنه هدية من أبي وببدوري أهدى لك، بالرغم من أن الهدية لا تهدى، إذا أردت كتابة سطور مملة فاكتبي فيه، ثم اتركيه لي لأيام، ليس لأنقرأ بل لأنضحك.

أمسكت إيستارا بالدفتر وقالت: دون شك سيمتلأ بشاعرية ساحرة!

انتهى اليوم عاديا، لكن تلك الليلة لم تكن ليلة عادية، وبعد الانتهاء من العشاء غرقت إيمي في غسل الصحون وإعداد الشاي، أما إيستارا فكانت في ردهة البيت جالسة

على حصيرة ناعمة متكتكة على إحدى الوسائل المسندة على الجدار وبين أصابعها ريشة و زجاجة حبر أمامها، والدفتر الذي أهدته لها ريتومي غارق في النظر إليها.

قالت في سرها: كانت ريتو تشير إلى أن إيزستارا ليست عبقرية، لكنني أعلم أنه حتى إيزستارا جايكيوي نفسها لا يمكن لها أن تكون أفضل مني، وسرعان ما بدأ الدفتر ينبع بالحروف التي كانت تترافق في مخبلة إيزستارا، وما إن أقبلت إيمى حاملة كأسين من الشاي حتى قالت إيزستارا: تعالى يا حبيبة قلبي لترى إبداع ابنتك.

وضعت إيمى الصينية من يدها على مائدة خشبية صغيرة، وأمسكت الدفتر، ثم بدأت

تقرأ:

وانسلت الألوان حين تألاًّت ثنائك

عبرت أثير الشمس راسمة حنائك
فتلامست روحان، كم تبهج تحنائك؟
نور يناغها، أخفى سجاك
تعابير الفرح تغمز محيّاك
يتبع ظلال الود ثم يضيء نجوك
والشوق يأسري، هنا تبسم ثنائك
ثم ارتئيك طائرا، تحقق جناحك
قد حلقت بحيرة تجهل نواياك
والروح تلمس شمس حتى من مراياك
أسرت سجايها فؤادي، ما نواياك؟

- والآن ما رأيك يا أمي؟ ألمست بمبعدة؟ تكلمي ولا تخجليني بصمتك المريب الذي يشعرني بأني سأتلقي توبيخ كلماتك الدافئة.

ألقت ورود البشرِ غامرة مُحيّاك
وتغلغلت روحي بروحك ليلة
سحرية اخترقـت مدى الآفاق في
في بحر أحلامي فراشات الهوى رقصـت
لم أـستطيع إمساك قلبي وانجرف
أشـرـر براعم هفتـي في باحتـك
بالأرجـواني قد أـسـمـتـ لـطـائـفـك
وـمـسـحـتـ منـ عـيـنـكـ بـوـاقـيـ دـمـعـةـ
فـيـضـ منـ الآـيـاتـ فـيـكـ تـدـفـقـتـ
سـُـقــتـ النــدــىـ كــيـ أـمــتــزــجــ فيــ كــأــســ منــ

- يا لها من براءة عاشقة، إنّ الشِّعر داء، من الصعب جدا الشفاء منه، والأصعب هو أن لا تصاب به. قالت: انتظري قليلاً، سأعود، فلدي شيء رائع أقدمه لك.
قالت إيستارا: طيري بخفة يا فراشتي، لأنّي سألوّن هذا الدفتر بألوان الحبّاء!
ذهبت إيمي إلى إحدى الغرف واتجهت مباشرة نحو الخزانة التي كانت تضع فيها الملابس والعطور وأخرجت قينية عطر صغيرة وعادت إلى إيستارا التي لم تتحرك من مكانها. ما إن رأت إيستارا أنها تحمل تلك القينية الصغيرة في يدها حتى قالت: ما تلك يا أمي؟ لا تقولي إنه ترياق يشفى حزن قلبي في بعد لحظة عنك، ولا تقولي إنه إكسير لحبّي لك، حبي لك لن يموت أبداً.

- آه منك يا إيستارا، أحياناً أفكّر أنك ستصبحين مجنونة عما قريب.
- لا تخافي يا أماه، كوني متأكدة من أنّي لن أصبح مجنونة لأن الجنون هو من سيصاب بي، ولست أنا من ستصاب به!
- لا جدوى من الكلام معك، حسناً، تفضلي قينية العطر هذه، إنه عطر نادر جداً وكان هدية لي من جدك كيجاير لكنني لم أستعمله أبداً، لذلك هو لك وأرجو أن يعجبك. أمسكت إيستارا القينية وفتحتها ثم اشتمت رائحته، لكن سرعان ما أغلقتها.
- لم أجده له أية رائحة ركيبة يا أمي، أتسهّلين بي؟. ابتسمت إيمي قائلة: كيف لك أن تجدي له رائحة وأنا موجودة بقربك، إلا إن كنت بالغت كثيراً في مدحك؟
- رائع يا أمي، لكن هل نبالغ في مدح أمهاطنا، بصرامة لا أظن، فنحن نقول ونكتب فقط ما نشعر به داخلنا لا غير، وما الشعر إلا صدق المشاعر والأحساس، إلا إن كانت ريتومي غير صادقة؟

ارتشفت إيمي رشفة من كأس الشاي وقالت: لا، لا، معها حق. تابعت: ريتوا، يا لها من فتاة، إنها تشبه أمها مانفيت تماماً في حبها للقراءة. قالت إيستارا: أرحتني، كنت

لأوبخها، أما الآن، فسأحفظ قينة العطر هذه كحفظي لاسمك بخواطري لأنها هدية منك،
أما ريتومي فكانت تقول أن الشعر السحر، لذلك سأريها الشعر والسر في آن.

ابتسمت إيمى، في حين قالت إيستارا وقد ارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص
بأمها: أمي، قلت أن هذا العطر هدية من جدي كيجابير، ألم يهدِك أيّة هدايا أخرى؟
فجأة قامت إيمى بنزع قرطي أذنيها، وكانتا قرطين ذهبيين مرصعين بجوهرتين بدعيتين.
قالت: هذان القرطان هدية من جدك أيضا، سأهديهما لك الآن، لكن حافظي عليهم
وحاذري أن تضيعيهما.

- لا يا أمي لن آخذهما. أما إيمى فكانت قد ضمت إيستارا إليها، وبدأت تنزع في
قرطيها القديمين، وهي تقول: لا تناقشى، فلدي قرطان آخران يشبهانهما.

قالت إيمى: حاذري أن تضيعي القرطين وكذلك العطر، إنّهما الشيء الوحيد الذي
بقي لي من جدّك، هل فهمت ما أقول؟
- سأحرص يا أمي على ذلك.

صار القرطان في أذني إيستارا، وقالت هذه الأخيرة: أمي، من أين حصل جدي على
هذين القرطين الجميلين؟

- تسألين كثيرا، حتى يكاد الرأس ينفجر والصبر يزید، إنّهما هدية من صديقه المقرب
رامود، ولا تنطقى بأية كلمة أخرى رجاء.
- حسنا، أمرك يا أمي.

كان الدفتر الذي كتبت فيه إيستارا أبياتها الأولى لا يزال مفتوحا، أغلقته ثم قامت
بوضعه جانبا وارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص بها هذه المرة وقالت: ما هذا، لم
يبرد ولو قليلا؟... كاد يحرق شفتي، وأردفت قائلة: أمي، متى نذهب لزيارة خالي،
اشتفت إليها وإلى العم مالفي وجوساي، لقد أطالوا المدة هاته المرة دون زيارتنا؟

رددت إيمي: نسيت أن أخبرك بأنهم غادروا قريتهم واشتروا منزلا جديدا في قرية أخرى، لا بد أنهم يرتبون في أمور المنزل الجديد وسيأتون لزيارتنا عما قريب إن شاء الله. الآن أذهبي وأطفئي الشموع ونامي.

قالت إيستارا: حاضرة، لكن لدى سؤال يا أمي وهو: لماذا لا تطفئين الشموع في غرفتك إلا بعد حوالي ساعة من ذهابي للنوم، لاحظت هذا مرارا؟

قالت إيمي: إيستارا، إيستارا، لا تكوني فتاة مزعجة، قلت أذهبني، أطفئي الشموع ونامي، فافعلي ما أمرتني بفعله، هيأ يا ابنتي.

قالت إيستارا: حسنا، لن أقبحلك يا حلوتي !!

ابتسمت إيمي وقالت: حسنا، سأغضبك يا بسمتي!

الفصل الثاني: صوجان، وكتابين

"معنى الحياة هو أن تجد هديتك، الغرض من الحياة هو التخلّي عنها." "

بابلو بيكاسو

أجريت الامتحانات النهائية، و كان التصحيح مقررا في الفترة الصباحية ليوم الأحد، وكانت القلوب متباينة بين الشعور بالخوف، والفرح، والسيطرة على المشاعر المرتبكة، حضر الجميع لكن اثنان كانتا لم تحضرا بعد، هنئها فقط، قبل أن تدخل ريتومي قائلة: آسفة على التأخير، إيستارا لن تأتي، لأنها تشعر بالإعياء الذي ينتابها عند التصحيح.

قالت إيمي: تلك الفتاة، يوما ما سأبرحها ضربا، لم تحضر إلى أي تصحيح طوال سنوات دراستها، ليقاطعها غايد قائلًا: دعيها تبقى في المنزل طالما أنها لا تقوى على الحضور يوم التصحيح، وتخاف من الفشل.

هنا قاطعته مينال قائلة: ما هذا الكلام السخيف الذي تتفوه به؟ لا تقوى!... لا، ليباركها الله، إنها دائماً تتتفوق ولم يتتفوق عليها أحد، وقالت لإيمي: نسيت إخبارك أنها حضرت عندي تصحيحاً، لكن هذا كان منذ سنوات، لا بأس، دعونا نبدأ التصحيح.

انتهى التصحيح بنجاح الجميع وأُخِير الأطفال أن هناك مسابقة ستجرى فيما بينهم، والفائز سينال جائزة، فرح الجميع، أما ريتومي فاتجهت صوب منزل إيستارا مباشرة لتجدها تقطف في الزهور، فقالت: كنت تشعرين بالإعياء، لماذا خرجمت؟

- لذلك أنا أقطف الزهور وأشتم رائحتها، لأستريح، ماذا دهاك يا ريتومي؟ قالـت ريتومي: لا بأس، لكن احزري من تفوقـت هذه المرة؟

ابتسمـت إيستارا ابتسامتها الساحرة وقالـت: أنت لولا إيستارا جايـكـويـ، لا تخـجلـيـ!

- يا لكـ منـ مـغـرـورةـ...ـ لكنـ ماـذـاـ أـفـعـلـ معـكـ؟ـ أـنـتـ صـدـيقـيـ،ـ رـجـاءـ لاـ تـقـولـيـ أـنـكـ لـمـ

تحضرى هذه المرة لأنك كنت تعلمين أنك ستتفوقين، فهذه الجملة الوقحة لا أساس لها من الصحة فالغيب لا يعلمه إلا الله.

- معاذ الله، أنا إنما أقول لك تلك الجملة لأني أعلم أن الله لن يخيني، خاصة أني ذكية، هذا كل شيء!

- اصمتى، لا جدوى من الحديث معك. ابتسمت إيسستارا وقالت: اذهبى إلى منزل وعودى لكي نلعب يا صديقتي.

مرّ اليوم ولم تتكلم إيمى مع إيسستارا بشأن عدم ذهابها إلى المدرسة، ولنقل أنها تغاضت عن الموضوع لا غير.

مرّت ليلة ذلك اليوم، وفي الغد التقت إيسستارا مع ريتومى وقالت: تبقى لنا شهر فقط على انتهاء الدراسة، ثم أردفت: عجيب، غريب، بعد الامتحانات النهائية والنجاح ندرس شهرا إضافيا، لكن هذا أمر رائع، فنحن نستفيد حقا من دروس ومواعظ عمى غايد، ودروس أمى، كذلك نشعر بالتشويق من أسطير عمي مينال.

ولما كان اليوم الأخير للدراسة اجتمت كل من إيسستارا وصديقتها ريتومى إلى المدرسة وكذلك الأطفال الآخرون. عند الوصول قالت إيسستارا لريتومى: هذه آخر الحصص لنا هذه السنة، وهذا اليوم هو آخر يوم للدراسة وسيخرج الجميع بعيون باكية لأن الدراسة ستتوقف لشهرين كاملين.

قالت ريتومى: سأتحسر على القصص والأسطير التي تحكىها لنا عمتكم مينال، حقا إنها معلمة رائعة جدا.

دخلت الفتاتان وكان جميع الأطفال جالسين فوق الحصائر، إما متربعين، أو يضمون الركب إلى مستوى الصدر. لحظات قليلة ودخلت المعلمة الرائعة. كانت بحية الطلعة، قصيرة نسبيا، تملك ابتسامة بشوшаة وصوتا رقيقا جدا.

ما إن دخلت حتى قالت: السلام على كتابي الصغار، السلام على صيصاني الجميلة، إنكم تشبهون الصيصان عندما تمضي عليها ثلاثة أيام من فقس البيض غير أنها تكون صفراء جميلة، يختلطها أحياناً القليل من السوداء أو تكون سوداء، إلا أن صيصاني ذات ألوان زاهية، وما إن أخذت نفسها عميقاً حتى قال كونايشي ابن غايد: عمتي... أقصد يا معلمة، الصيصان تنمو لتصبح دجاجاً والدجاج حيوان، فماذا تقصدين؟

- آه منك يا ابن أخي، ألا تفهم أنني قلت لكم ذلك بدافع حي لكم، وبالنسبة إليك، إن فهمتها كذلك فلا أمانع، أتمنى أن تصبح ديكًا، على الأقل ستوقظنا في الصباح الباكر، عوضاً عن كلامك هذا.

قالت: الآن اسمعني أيتها الصيصان الجميلة. اليوم سأحكى لكم عن الطائر ذو الثلاثة رؤوس، هذا الطائر الأسطوري الذي تجسست أسطورته في صفحة الزمن، والزمن هنا يعني الزمن الغابر والقديم جداً، طار هذا الطائر وحلق فوق قريتنا الجميلة الوديعة، لكن صوصتي إيستاراً أجمل بما لا أستطيع تقديره، ما يهم هو أنه حلق هنا وهو ينظر بعيونه الستة فجأة اتجه جنوباً تاركاً قريتنا تعيش بسلام وأمان واطمئنان.

قالت إيستاراً لريتومي بصوت منخفض يكاد يكون همساً: ألا تظنين أن عمتي تؤلف كل هذه الأساطير الخرافية؟ أظن أنها حكواتية كبيرة، خاصة أنها تعرف كيف تفعل هذا، وأجمل الحصص هي حصتها، خاصة أنّ الطريقة التي تروي بها القصص، تجعلنا نشعر وكأن خرافتها حقيقة، كذلك هي تحكي بإحساس مرهف.

انتبهت مينال إلى أن إيستاراً وريتومي تتحدثان فقالت: صوصان جمیلان يتھامسان، على ماذا تتھامسان، تكلماً؟

ردت ريتومي: لا شيء مهم ونحن آسفتان. قالت مينال: حسناً، والآن اصمتوا ولا تصدروا أي صوت لأنني سأحكى لكم أسطورة الأساطير وتدعى أسطورة نوجاين أورفي و

لونفيرو كيمراي، أجل، إنه لونفيرو كيمراي أحد أعظم المجانين على الإطلاق!
في هذه اللحظة قالت إيستارا: تقصد़ين أَنَّهُ أحدُ أعظمِ العبارَةِ على الإطلاق؟

قالت مينال: للأسف يا ابنتي...أقصد يا نيماسولة لونفيرو الصغيرة، أنا أعني ما أقول، أحدُ أعظمِ المجانين على الإطلاق لأن لا أحد استوعب عقريته، يُشار إليه بهذا المصطلح، إذ أن عقريته ليس لها تفسير، وبعد سنين من وفاته، لا زالت عقريته دون تصنيف، وفي قاموس العبرية هو أَجْنَ العبارَةِ دون منازع.

لم يفهم الآخرون ما قالته مينال على وجه التحديد، لكن ريتومي همست لإيستارا
قائلةً: ماذا جرى لك، أين عقريتك؟

قالت إيستارا بحماس: احترسِي من كلامك حتى لا يمحيك لونفيرو من القصّة!
تابعت مينال تقول: حَكَاهَا جَدِيُّ الْأَكْبَرِ، وَعِنْدَمَا أَقُولُ لَكُمْ جَدِيُّ الْأَكْبَرِ فَهَذَا
يعني أَكْبَرُ الْأَجْدَادِ، وَأَكْبَرُ الْأَجْدَادِ... وَبَيْنَمَا كَانَتْ مِينَالْ تُطْنِبُ وَتُطْنِبُ فِي الْكَلَامِ حَتَّى
هَمَسَتْ رِيتُوْمِي فِي أَذْنِ إِيْسْتَارَا قائلةً: أَنَا جُدُّ مُتَشَوْقَةٍ لِسَمَاعِ مَا سَتْحِكِيهُ لَنَا، لِتَسْمَعَ
رِيتُوْمِي: أَصْمَتِي يَا صَوْصَة، أَصْمَتِي، سَأَحْكِي لَكُمْ أَسْطُورَةَ لَنْ تَنْسُوهَا، سَتَتَذَكَّرُونِي مَا إِنْ
تَذَكَّرُوهَا، وَسَتَتَذَكَّرُونِي مَا إِنْ تَذَكَّرُونِي.

كان الأطفال خاسعين معها، فجأة دخلت إيمي وقالت: هاي مينال، إنه اليوم
الأخير للدراسة، الكل خرج وأنت لا تزالين هنا مع أسطوريك؟

ردّت مينال بحيرة تملأ تعابير وجهها: لكننا لم نسمع صوت الصيصان ي يكون فهم عند
العقل يخرجون بعيون دامعة وقلوب واجفة وأنين وبكاء يكاد يُنْكِي الجمام لأن الدراسة
ستتوقف مدة شهرين؟ حقا يحبون الدروس التي نقدمها لهم، هذا لأننا لا نضيع وقتهم بل
نشعل خيالهم، اجلس أيها الصوص الكبير لتسمع.

قالت إيمي بتعجب: حقا معلمة مجنونة، هيا دعيمهم يذهبوا وأكملي قصصك التاريخية

وأساطيرك وخرافاتك العام القادم إن شاء الله.

قالت مينال: كما تشاء أيها الصوص الكبير، والتفتت مجدداً إلى الصغار قائلة: إذن، في العام القادم إن شاء الله يا صيصاني الجميلة سأحكى لكم أسطورة نوجاين أورفي ولونفiero كيمراي التي لا نعلم عنها سوى القليل.

هنا تعالى صوت الأطفال وقالوا بصوت واحد: لا، لا، احكىها لنا الآن فقد تمويت
ولن نعرفها، وقد نموت ولن نعرفها.

ردت مينال: حينها لن يكون خطأً أي مِنْا يا صغارِي الصغار، فليس خطئي، وليس خطأكم، إنه أمر القدر، الآن تمنوا لي حياة مديدة وعطلة سعيدة!

قالت إيمى: أتصدقين أن وجود لونفiro كان حقيقة؟. اقتربت مينال من إيمى ثم همست: طبعا، أخذ ما كان يجب أن يأخذه لطبيته فقط، يقولون أنه ترك قاتله يقتله، مات دون الثلاثين، ما يحيرني هو الإرث الذي خلفه وراءه، هذا ما أجد تصديقه جنونا بحد ذاته، رغم أن لونفiro كان مجذونا بطريقة ما وعقبريا بطريقة تشبه طريقة جنونه. دعينا ننسى الموضوع الآن، الصغار فضوليون وأنا عنيدة جدا.

نظرت مينال إلى الأطفال وقالت: لا تشغلو رؤوسكم بالتفكير يا صغار، كلنا نريد رؤية لونفiro رغم أن ما نعرفه عنه ضئيل جدا، وشعره طويلا جدا، ثم التفتت إلى إيمى وقالت: لا بد أنك تخيلت صورته يا إيمى؟

همست إيمي: ها، عندما روى أخوك غايد قصة موت لونفiro نمت وأنا أراه في أحلامي خاصة أن غايد يروي القصص بطريقة تشبه طريقتك.

قالت مينال: أظن أن كل شيء محض خرافات، وأن لونفيرو كان مصاباً بجنون العظمة، كيف يعقل أن يتلك إرثاً عظيماً وهو مات دون الثلاثين؟

همست إيمى لمنال قائلة: سمعت أنه كان عاشقاً، لكن من نوع آخر، وأن زوجته

نيمايسول كانت معه حتى آخر الأنفاس، لم يلتقيا إلا نادراً جداً خاصةً أنه يفضل العزلة! ردت مينال بحماس: أتعتقدون أن نيماسول عاقلة، لكنها على الأقل عرفت كيف تسجن طائرها الشريد حتى جعلها ترى الوجه البديع والعنيد لمحبوبته.

فجأةً قالت: لقد قرأت أشعاره ولم أعرف تلك التي تناسب عبر بحار أشواقه وتنسل من لمسات أفكاره، يا له من مجانون، يجعل أحاسيس المرء الدافئة تتراقص، يكاد يصيّبني بالجنون، لنذهب.

هنا قامت ريتومي من مكانها وقامت بالتصفيق لمينال دون أن تشعر!! نظرت إلى الآخرين فرأتهم مندهشين من ردة فعلها، قالت: آسفة، لكن المعلمة مينال تستحق التصفيق، على الأقل في نهاية السنة وليس على إيجادها عذراً لعقبريه لونفiro عندما قالت أنه كان مصاباً بجنون العظمة.

قالت إيمي مخاطبة مينال: لا شك أنك تعلمين كل التفاصيل الخاصة بتلك الأسطورة المعقدة جداً؟

همست مينال في أذن إيمي وقالت: للأسف، ما أعلم سطحي جداً. خرج الأطفال يمشون ثلاثة أو أربعة أربعة، ثم خرجت مينال مع إيمي، أما إيستارا فخرجت مع ريتومي.

قالت ريتومي: لقد تركتنا متشوقين، أطلبي من أمك أن تطلب منها أن تحكيها لها، بذلك تحكيها لنا. أضافت: إنها تعلم الكثير عن التاريخ القديم، لكنني متشوقة لأعلم هذه الأسطورة، أمم... إنها عنيدة، لن تحكيها حتى ولو أحيثت عليها.

قالت إيستارا: دعك منها، في كثير من الأحيان يشوقوننا، وفي الأخير تكون القصة بسيطة وجذّ سخيفة، تماماً مثل أن أقول لك: سأحكي لك أسطورة النار والخراف، بعدها الحال هو أن النار كانت جائعة فطهنت الخراف وأكلتها!

فجأة توقفت قائلة: أحياناً تكسر القواعد كلها حتى أشعر أن الضحك في وجهها هو الحل الوحيد والطرد من حصتها هو الحل الأمثل، لكن بعض النظر عن أنها عمتى، فهي لا تطرد، هي طريفة جداً.

قالت ريتومي: ذكرني بأسطورة الطائر ذي الثلاث رؤوس؟. فانفجرت إيستارا ضاحكة ثم قالت: طائر بثلاثة رؤوس مجرد أسطورة سخيفة لأبعد حد، لأنه حينها لن يعلم إلى أين يذهب، في الاتجاه المستقيم أم في الجهة اليمنى أم الجهة اليسرى، لذلك هناك حلان، إما أن يبقى في مكانه، أو يذهب الطائر في اتجاه الرأس الأصغر.

قالت ريتومي: الأكبر قصدك؟. لتقول إيستارا: لم تسمعي، الأصغر، إذ أن من لديه رأس كبير يجد صعوبة في التفكير مثلك أنت.

قالت ريتومي: مهلاً... رأسي ليس كبيراً، اسحبي كلامك.

قالت إيستارا: لذلك حافظي على أناقته!

لحظات وتحمّلت في مكانها قائلة: عانقيني يا ريتومي بشدة، لقد أصبحت عاطفية أكثر في هذه اللحظات.

عانقت ريتومي صديقتها بشدة ثم تابعتا المشي. قالت ريتومي: ذكرني باليوم الذي وزعت فيه نقاطنا وقالت مينال والبسمة تشع في محياتها وعيونها: المتفوقة بأفرق كبيرة وليس بفارق كبير هي إيستارا جايكيوي، فأمسكت بالورقة دون أن تبتسمي وسألتكِ لم لم تفرحي فأجبتها لا لأنني كنت أعلم، أتعلمين أنك كنت وقحة، تصريفي بتهذيب أكبر، مثلـي تماماً.

- عندما عجزت اعتبرها وقاحة، والحقيقة أنها حقيقة، وليس لأن ما أعلمه أكثر مما تعلmine، بل لأنني أعلم أن ما أجده أقل مما تجهلينه.

قالت ريتومي: أنت فيلسوفة!

لحظات وقالت ريتومي: إيستارا، أتعلمين أننا سنذهب إلى القرية التي يقطن بها عمي سي Yoshi لنقيم هناك، لذلك سنضطر للافراق عن بعضنا.

انزعجت إيستارا لكنها أخفت انزعاجها وقالت: حسنا، لكنك ستبقين وحدك هناك دون أصدقاء، فابقى هنا معنا ودعني والديك يذهبان، ما رأيك؟

- لا، يجب أن أذهب، هناك صوجان، وأخبرني أبي أنني أنا الوحيدة التي يمكنها استخراجها، وجواب السؤال - لماذا أنا بالضبط؟ - لا أعلم، ولم أنشأ أن أسأل والدي.

قالت إيستارا: قبل أن أنسى، مع من ستكونين هناك؟

- هناك ابنة عمي مairyتي، إنها تشبهك نوعاً ما، لكنني أتمنى أن تكون قد تغيرت، تكون مختلفة، لكنها تدافع عن نفسها كأنها لم تخطأ. حكى لها عنك، وهي الآن في العشرين من العمر، أتمنى أن تكون قد نضجت أخيراً.

لحظات فقط قبل أن تقول ريتومي: أما الرحيل فقد تقرر في الغد إن شاء الله.

- يا مراحك السخيف؟ أليس لديك شيء آخر سوى هذا الكلام التافه؟

- إنها الحقيقة يا إيستارا، تعلمين أنني لا أمنزح في مثل هذه الأشياء، وخصوصاً معك.

- أفهم من كلامك أنك لا تختفين لصداقتنا، ستذهبين وتتركين القرية، وكأن شيئاً لم يكن، حسناً اذهبي ولا تعودي، سيكون العيش ممتعاً دونك.

- إيستارا تفهّمي، فقد وعد أبي أحد أصدقائه أنه سيترك له هذا المنزل، صديقه هذا فقير وليس له منزل و كان يستأجر، ولديه زوجة وثلاثة أطفال، لذلك لا يمكن لأبي أن ينكث وعده خاصة أنّ منزل عمي واسع جداً.

ما إن وصلت ريتومي إلى منزلاً حتى تركتها إيستارا قائلة: حسناً، وداعاً، فكما ترين، على متابعة المشي حتى أصل إلى منزلي.

قالت ريتومي: ماذا جرى لك يا إيستارا؟ هل الوداع يكون هكذا، خاصة أنني

أخبرتك بأننا سرحد عن هاته القرية؟

رفعت إيستارا بصرها وبابتسامة ساحرة قالت: أتتم راحلون إلى قرية أخرى فماذا
سأفعل غير توديعك، رافتكم السلامة، فرحت؟

تابعت إيستارا سيرها نحو المنزل وهي ناقمة على صديقتها وما دخلت المنزل وجدت
أمها إيمي قد وصلت لتوها فقبلتها قائلة: أمي، أنا ذاهبة إلى غرفتي كي أنام، أرجوك لا
توقعظيني، ولم تكن من عادة إيستارا النوم بعد الظهيرة إلا نادرا.

- لقد حللت العطلة يا إيستارا وأنت تقولين أنك ستذهبين للنوم، هل هناك من
خطب ما يا ابني؟ قولي لحبيبك، ماذا جرى لك.

- لا شيء يا أمي، أشعر باني متعبة لا غير، ثم أردفت قائلة: تذكرت يا أمي، إذا
أنت ريتومي فأخبريها أنني نائمة.

- حسنا يا ابني، لكن على الأقل كلي شيئاً بعدها نامي. ردت إيستارا: شكراء، لا
داعي يا أمي فلست جائعة، أريد فقط أن أنام.

ذهبت إيستارا إلى غرفتها، نزعت المحفظة الشبه فارغة ثم وضعتها داخل الخزانة، ثم
خلدت للنوم مباشرة، وهذا الذي لم تتوقعه إيمي البطة، فقد ذهبت لتفقدتها و وجدتها
بالفعل غارقة في النوم.

بعد حوالي ساعتين أتت ريتومي وفتحت إيمي لها الباب. قبلتها ريتومي وقالت إيمي:
تفضلي يا ريتو، سأنادي على إيستارا فقد تركتها نائمة منذ عودتها من الدوام معك.
أصيّت ريتومي بالدهشة وقالت: ماذا.. ماذا قلت يا حالة؟ إيستارا تنام في هذا
الوقت، لا أكاد أصدق.

- حتى أنا لم أكن لأصدق لو لم أتفقّدها، كانت غارقة في نوم عميق وأخبرتني أنها
متعبة لذلك أرادت أن تنام، لكن انتظري، سأحاول إيقاظها.

ذهبت إيمى لتنادي على إيستارا التي كانت لا تزال نائمة، فحاولت إيقاظها، لكن دون جدوى، لتقول: هيا انضي يا إيستارا، لقد أتت ريتومى وهى في انتظارك.

تقلبت إيستارا على جنبها الآخر وأجابت أمها إيمى بنبرة صوت ناعمة: قولي لها بأني نائمة يا أمي، اتركيني أكمل نومي رجاء.

عادت إيمى إلى ريتومى وقالت: اذهبى إليها يا ابنتى وحاولي معها فقد وجدتها نائمة ولم ترد أن تنھض، حاولي معها، ربما استطعت أن تجعلها تستيقظ.

قالت ريتومى: حسنا يا خالة.

اتجهت ريتومى نحو غرفة إيستارا، فتحت الباب ببطء ثم تقدمت نحو إيستارا التي كانت لا تزال نائمة وهمست في أذنها قائلة: استيقظي يا إيستارا، وهيا بنا لنلعب، فنحن لن نذهب إلى أية قرية.

قامت إيستارا من فراشها وأخذت تضرب ريتومى بالوسادة وهي تقول: يا لك من مخادعة...

ردت ريتومى: أردت فقط أن أعرف ماذا سيحدث لك ما إن أخبرك، ولم أكن أعلم أنك ستتأثرين بشدة لدرجة أنك ستتامين مباشرة، هيا دعينا نخرج ولنلعب فكل الأطفال يلعبون ويمرحون ويسألون عنك... تابعت ريتومى قائلة: آه منك يا طائري البديع، أنت حقاً عاطفي بزيادة!

- ها، ولذلك لا تمزقيني مجدداً، سنذهب ولنلعب، لكن علينا أن نأكل شيئاً فأنا جائعة، وصلت ونمباً دون أن تدخل لقمة واحدة إلى جوفي.

رأى إيمى ابنتها مع ريتومى، فاحترارت، وقالت: أحسنت يا ريتومى، فقد استطعت أن توقظي تلك العنيدة، رغم محاولاتي إلا أنها أصررت على النوم.

قالت إيستارا بنبرة صوت ودودة: هل لنا يا ضياء قلبي بشيء نأكله فأنا جد جائعة،

وريتومي ستأكل ما إن تراني باشرت الأكل.

- كنت أعلم، تفضلاً معي إلى المطبخ، بعدها يمكنكم الذهاب للعب مع الأطفال، والاستمتاع بوقتكم. جلست الاثنين حول مائدة المطبخ وقالت إيمي: هيا باشرنا الأكل، وهذا بعد أن قامت بوضع طبقين من الأرز بالدجاج فوق المائدة، لكن ريتومي اعتذرنا عن الأكل بحجة أنها قد أكلت في المنزل قبل أن تأتي.

هنا نظرت إيستارا إليها، رفعت حاجبها وقالت: لك خياران إما أن تأكلني أو أذهب للنوم من جديد، تعلمين أن باستطاعتي النوم في أية لحظة.

- اهدئي الآن، سأكل معك فأنا اعلم أنك ستفعلين كل ما يدور في رأسك دون أن تبالي. وهكذا تناولتا قليلاً من الطعام وبعدها خرجتا للعب، كانقضاء الوقت كله في اللعب ظنّ ريتومي، أما إيستارا فكانت تريد الذهاب والمشي بمحاذة السياج الحديدي للغابة لا غير.

بعد اللعب مع باقي الأطفال أقنعت إيستارا ريتومي بأن تمشيا بمحاذة السياج، تبادلتا أطراف الحديث في أحضان الطبيعة البدية والمناظر الخلابة، ثم عادتا قبيل الغروب إلى المنزل في انتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة.

بعد مضي حوالي عشرين يوماً وبينما هما عائدتان من نزهتهما كالعادة، حتى قالت ريتومي: إيستارا، في العد إن شاء الله سنرحل.

- كفاك من هذا المزاح، رأيت ماذا فعلت في المرة السابقة ما إن تفوهت بهذا الكلام وهذا أنت تعيدين نفس الكلام على مسامعي، ألا يمكنك التعلم من الأخطاء؟

- نحن ذاهبون فعلاً، وعندما قلت لك في المرة السابقة أننا لن نذهب إلى أية قرية، كان فقط لكي نتمكن من فضاء بعض الوقت براحة واطمئنان ولمعرفة رد فعلك، وهذا قد انقضت المدة سريعاً، لكن على الأقل تسلينا، ضحكنا، قضينا وقتاً رائعاً.

- اصمتني، لقد خدعتني للمرة الثانية.

عانت ريتومي إيستارا وقالت: ما بك يا من ليس لي سواك، قلت أنا سأرحل لكن لم أقل لك أنا لن أأتي لزيارتكم ولم أقل أنا لن نلتقي، هيا فكري بإيجابية يا إيستارا وتأكدني أنني لن أخذ لي صديقة أحبها كحبي لك.

ابتسمت إيستارا ابتسامتها التي تتملك بها أي قلب وقالت: هل هذه الخدعة الثالثة أم ماذ؟ حسناً ارحلوا، لكن إياك ونساني.

أردفت: الحمد لله أن هناك ابنة خالتي جوساي، أتمنى أن يأتوا لزيارة عما قريب إن شاء الله.

- لم أكن أعلم أن لديك حالة ولديها ابنة، لم لم تخبريني من قبل؟ لم لم ألتقي بها بما أنها نقضي معظم الوقت معا؟

- ريتومي، فكري، لم يتافق الزمن وحسب، على أية حال، أتمنى أن تلتقي بها يوماً ما، إنها في مثل عمرنا، لكنها فتاة عجيبة.

سارت الفتاتان بمحاذة بعضهما البعض، حتى انتبهت ريتومي إلى أنها قد أصبحت قريبة جداً من منزلاً، فقالت: إيستارا، ألن تذهب إلى منزلك أم تريدين أن توصليني؟

- لا شيء من هذا القبيل، فلدي خطة لقضاء وقت أكثر مع بعضنا.

وصلت إيستارا مع ريتومي إلى منزلاً، فطرقت ريتومي الباب ليفتح والدها جورفين الذي ما إن رأى إيستارا حتى قال: لم أكن أعلم أن لدينا مفاجأة، كيف حالك يا إيستارا وكيف حال إيمى؟

أثناء كلامهم سمعت مانفيت الكلام فخرجت وقالت: مستحيل، الفتاة التي لو كان لها توأم حقيقي ل كانت هي الأجمل، هي هنا!

قالت مانفيت مرة أخرى: إيستارا هنا، هيا ادخلوا، لماذا أنتم واقفون عند الباب؟.

قالت إيستارا: لا داعي يا خالة، فأنا لم أخبر أمي أني آتية، وأتيت فقط لأطلب منكما أن تدعوا ريتومي لتأتي إلى منزلي اليوم بما أنكم راحلون في الغد إن شاء الله للإقامة عند أقاربكم. بانت علامات الدهشة على وجه جورفين، لحظات قليلة ثم سأله: من قال لك يا إيستارا بأننا راحلون؟

نظرت إيستارا إلى ريتومي وأشارت برأسها لكي تتكلم، قالت ريتومي: لا تنظري إلى هكذا وكأنني كذبت عليك فنحن راحلون حقا.

نظرت إلى أبيها قائلة: سمعتك منذ أيام وسمعتك البارحة كذلك عندما كنت تقول لأمي أنها سترحل تاركين منزلنا هذا لأحد أصدقائك الذي لديه زوجة وثلاثة أطفال، وليس لديه منزل، إنما يستأجر.

لم يتمالك جورفين نفسه وسرعان ما بدأ بالضحك وكذلك أمها. لم يستطعوا التوقف عن الضحك لدرجة أن إيستارا بدأت بالضحك هي الأخرى، وشعرت ريتومي بالإحراج. قال جورفين بعدما توقف عن الضحك: سيكون العشاء عندنا هذه الليلة، وستبيتين هنا يا إيستارا، ستد شب مانفيت لإحضار إيمي، بهذا لن تقلق عليك، وتقضين وقتاً أطول مع ريتو، أطول بكثير، لأننا لن نرحل، وسنذهب في زيارات عادية بإذن الله.

ما إن أنهى جورفين كلامه حتى نظر إلى ابنته وبدأ بالضحك من جديد. قال: لا تسألاني عن شيء، فيما بعد سأوضح كل شيء، ثم ذهبت مانفيت لدعوة إيمي للعشاء. كانت إيمي منهمكة في الاعتناء بالحيوانات وما إن رأتها مانفيت حتى قالت: دائما على عادتك يا إيمي، لا تفكرين تعتنين بحيواناتك، فنظرت إليها إيمي وقالت: مرحبا يا مانفيت، كيف حالك؟

- بخير، أرى أنك أنت من ليست بخيرة، خاصة مع كل هذا التعب مع الخراف، الأحصنة والأبقار، دون نسيان الدجاجات والأرانب.

ضحكـت إيمـي ثم قـالت: معـك حقـ، لكن صـدقـينـي، سـتنـسـينـ كل التـعب معـهم خـصـوصـا تـلـك الدـجاجـات الطـرـيفـة التي لا تـنـفـلـك تـبـقـى بـقـرـبـي في كل لـحـظـة. قـامـت مـانـفـيـت بـمسـاعـدـتها وأـخـبـرـتها أنـ رـيـتوـمـي وـإـيـسـتـارـا في المـنـزـل وـأـنـ العـشـاء سـيـكـونـ عندـها، فـنظـرـت إـيمـي إـلـيـها وـقـالت: لكنـ هـنـاك منـاسـبـة ماـ؟

- لا تـوـجـدـ أـيـة منـاسـبـة، لكنـ إـيـسـتـارـا أـتـتـ إـلـى المـنـزـل وـأـرـادـتـ منـ رـيـتوـمـيـ أنـ تـبـيـتـ معـهـاـ فيـ مـنـزـلـكـمـ فـطـلـبـ جـوـرـفـينـ أنـ آـتـيـ لـأـعـزـمـكـ عـلـى العـشـاءـ عـنـدـنـاـ هـاـتـهـ اللـيـلـةـ، بـذـلـكـ تـمـكـنـ الـفـتـاتـانـ مـنـ السـهـرـ سـوـيـاـ. ماـ إـنـ أـتـمـتـ مـانـفـيـتـ كـلـامـهـاـ حتـىـ قـالـتـ إـيمـيـ: لكنـ كـيـفـ خـطـرـتـ لـإـيـسـتـارـاـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ، فـهـمـاـ دـائـمـاـ مـعـاـ، لاـ تـفـرـقـانـ عـنـ بـعـضـهـمـاـ؟

ردـتـ مـانـفـيـتـ: ظـنـتـ أـنـاـ رـاحـلـونـ إـلـى قـرـيـةـ أـخـرىـ، لـذـلـكـ أـرـادـتـ اـغـتـنـامـ الـوقـتـ الـمـتـبـقـيـ لـتـقـضـيـهـ مـعـ رـيـتوـمـيـ قـبـلـ أـنـ نـرـحلـ.

- أـصـحـيـحـ أـنـكـ سـتـرـحلـونـ مـنـ هـنـاـ مـانـفـيـتـ؟

- أـلـفـ لـاـ يـاـ عـزـيزـيـ. لـنـ نـرـحلـ إـلـىـ أـيـ مـكـانـ، كـانـ هـنـاكـ سـوـءـ فـهـمـ مـنـ رـيـتوـمـيـ، فـظـنـتـ أـنـاـ سـنـرـحلـ إـلـىـ قـرـيـةـ أـخـرىـ، فـأـخـبـرـتـ إـيـسـتـارـاـ الـتـيـ ظـنـتـ هـيـ الـأـخـرىـ أـنـاـ سـنـرـحلـ حـقـاـ، وـلـكـيـ لـاـ تـطـرـحـيـ الـمـزـيدـ مـنـ الـأـسـئـلـةـ سـأـشـرـحـ كـلـ شـيـءـ فـيـماـ بـعـدـ، دـعـيـنـاـ الـآنـ نـذـهـبـ، لـأـنـكـ سـتـسـاعـدـيـنـيـ فـيـ إـعـدـادـ الـعـشـاءـ، أـظـنـ أـنـاـ أـدـخـلـنـاـ كـلـ الـحـيـوانـاتـ.

- أـجـلـ، أـدـخـلـنـاهـمـ كـلـهـمـ، وـلـمـ يـقـ إـلـاـ أـنـ أـغـلـقـ عـلـيـهـمـ ثـمـ نـذـهـبـ.

ذـهـبـتـ إـيمـيـ مـعـ مـانـفـيـتـ وـمـاـ إـنـ دـخـلـتـاـ حـتـىـ اـرـتـمـتـ رـيـتوـمـيـ فـيـ أـحـضـانـ إـيمـيـ مـرـجـبـةـ بـهـاـ وـقـالـتـ: شـكـراـ لـكـ يـاـ خـالـةـ لـأـنـكـ قـبـلـتـ الدـعـوـةـ.

قـبـلـ أـنـ تـقـولـ إـيمـيـ أـيـ شـيـءـ قـالـ جـوـرـفـينـ: وـهـلـ لـدـيـهـاـ خـيـارـ آـخـرـ يـاـ اـبـنـيـ؟

قـالـتـ إـيمـيـ: مـرـحـباـ جـوـرـفـينـ، كـيـفـ حـالـكـ؟

- بـخـيرـ يـاـ إـيمـيـ، شـكـراـ لـقـبـولـكـ الدـعـوـةـ وـأـتـمـيـ أـنـ لـاـ نـكـونـ قـدـ أـزـعـجـنـاـكـ. كـانـتـ إـيـسـتـارـاـ

قرب ريتومي فقالت: عن أي إزعاج تتحدث يا عم جورفين، هذا لطف منك؟

قال جورفين: حسنا، أنتما الآن اذهبوا إلى الغرفة واستمتعوا بوقتكم ريثما أحضر مانفيت وإيمي العشاء، أما أنا فسأذهب وأستريح قليلا.

ذهب جورفين إلى إحدى الغرف ليستريح، وذهبت مانفيت وإيمي إلى المطبخ لإعداد العشاء، أما الفتاتان فذهبتا إلى الغرفة التي كانتا فيها لتوaciala اللعب أو تتشاجران بالوسائل. لحظات وذهبتا إلى جورفين. قالت ريتومي: أبي، كدت أنسى تماما، لماذا قلت لأمي أننا سنرحل، وعندما أخبرتك بدأتأت بالضحك؟

- تذكرت يا ابنتي، لكن سرعان ما بدأ بالضحك. قال: حسنا، سأأتي بعد لحظات لأوضح لكم اللبس الذي حصل.

ذهب جورفين إلى غرفة النوم وأحضر كتابا ذو سمك صغير فأعطاه لريتومي قائلاً: افتحيه على الصفحة المغة واقرئي لنا.

قلّبت ريتومي الصفحات لتصل إلى الصفحة المرجوة، لحظات وبدأت تقرأ:

"حسنا، اسمعني، لا بد أن نرحل من هذا المكان ونذهب إلى قرية أخرى، سنترك هذا المنزل لأحد أصدقائي فلديه زوجة وثلاثة أطفال وبذلك ننجّبه عبء الإيجار..."
و قبل أن تكمل ريتومي قال والدها: هنا أغلقت الكتاب وخلدنا للنوم، هل فهمت لماذا
كنا نضحك؟

ابتسمت إيسستارا ثم همست في أذن ريتومي: يا لغبائك، ظننت أنك ذكية!

لحظات وقالت إيسستارا: لكن ألم تكوني في غرفتك يا ريتوك؟

أجبت ريتومي أنها كانت بصدده وأن تسأل أمها سؤالا يتعلّق بالدراسة، وما إن سمعت ذلك الكلام حتى عادت إلى غرفتها دون أن تسأل.

قالت إيسستارا مخاطبة ريتومي: لكن لم قلت لي أنكم راحلون في اليوم الأخير للدراسة،

وأعدت لي نفس الكلام بعد حوالي عشرين يوما، بصرامة لست أفهم؟

- أحرى بك أن تسألني أبي لماذا قرأ نفس الفقرة بعد عشرين يوما، أما الإجابة فكانت بسيطة وقال جورفين: لم أعد قراءة الفقرة نفسها، كل ما هنالك أنه يوجد كتاب ثانٍ به فقرة تشبه هذه، هناك اختلاف طفيف، لكن جوهر الفقرتين نفسه.

قالت ريتومي: ما لا أفهمه الآن هو أي توافق هذا، في المرة الأولى سمعت تلك الفقرة، وفي المرة الثانية سمعت فقرة تشبهها، أليس عجيا؟

قالت إيستارا: ليس عجيا، إنه القدر، لكن لماذا لم تحاولي الاستفسار من الحالة مانفية أو العم جورفين؟

قالت ريتومي: القرار كان قرار والدي ويجب أن أحترمه. قالت إيستارا: تبالغين كثيرا! فجأة قالت إيستارا: مهلا، كنت أخبرتني أنكم راحلون للإقامة عند عمك ولأجل أن تحصلني على صولجان، والفترتان تتحدثان عن الذهاب إلى قرية غير محددة؟

- كان أبي قد أخبرني قبل حوالي شهرين أنها ستصور عمي لأجل الحصول على صولجان، وقبل أن يتضح لي اللبس أخيرا، رجحت أن القرية التي سمعتها على لسان أبي هي نفس القرية التي يقطن بها عمي.

قالت إيستارا: عمّاه، هلاً سررت لنا القصة التي يرويها كل من الكتابين باختصار؟ قال جورفين: أحد الكتابين يحكي عن قصة تدعى قصة شلال الذهب. والآخر، يحكي عن قصة تدعى قصة الدرب السقيمة، الأول يحكي عن شلال وأحد القراء يقولون أن الكثير من الغموض يلفها، حتى أنهم يقولون أن القصة المتداولة مزيفة، هذا فيما يخصّ قصة شلال الذهب، أما الكتاب الثاني فيتحدث عن درب لها علاقة بجزء صوف الأغنام، ورجل فقير كذلك.

تابع جورفين يقول: القصتان بسيستان جدا، والفضول الحقيقي كامن في أن الكتاب

الأصلي للدرب السقية لا يملكه سواي، والكتب الأخرى نسخ، أما الكتاب الأصلي الذي يحمل عنوان شلال الذهب فلا يزال مفقودا حتى الآن، وجل ما يُعرف عنه هو أن القصة المتداولة حول محتوى النسخ الموجودة فهي قصة مزيفة.

اندهشت إيستارا وقالت: حقا؟

أجاب جورفين: أجل يا ابنتي، لا أحد يملك كتاب الدرب السقية سواي، أما الكتاب المعنون بقصة شلال الذهب فهو مفقود.

نظرت ريتومي إلى الكتاب وقالت: لا شيء مميز فيه!

قال جورفين: الكتاب الذي بين يديك ليس الكتاب الأصلي للدرب السقية، إنما هو نسخة لا غير.

قالت ريتومي: حسنا، بالنسبة لكل من الكتابين، ما الفرق بين نسخة وكتاب أصلي ما دام كلاهما يرويان نفس القصة؟

أخرج جورفين نفسها عميقا ثم قال: للأسف، لا أحد يعلم!

قالت إيستارا: لا تختلف يا عم جورفين كثيرا عن عمتي مينال، ثم التفتت إلى ريتومي قائلة: قبل أن أنسى، ما اسم القرية التي يقطن بها عمرك يا ريتو؟

أجابت ريتومي قائلة: اسمها آيراغسيكوناس.

ما إن نطقت ريتومي باسم القرية حتى قالت إيستارا: ما هذا الاسم البشع؟. قالت: كوكوسيكولاس! فانفجر جورفين ضاحكا.

قال: بسيطة يا إيستارا، آيراغسيكوناس، قوليها بروية، وهنا استرجعت إيستارا الشعور بالغرور وقالت: هه، اسم بسيط جدا، إنها تدعى آيرا كوريلاس!

ضحك جورفين وقال: حسنا، هناك شيء عليك معرفته يا ريتو وهو أننا سنذهب بعد أيام قليلة لزيارة عمرك إن شاء الله، وربما نمكث هناك أكثر من شهرین.

نظر إلى إيستارا قائلًا: قلت سذهب ولم أقل أننا سنرحل يا إيستارا، لذلك لن تضطري لتحمل غياب ريتومي سوى عدة أشهر على الأكثـر، وكذلك بالنسبة لريتومي.

قالت إيستارا: شكرـا لك يا عمـاه. بعد العشاء، أمضـت إيستارا الليل مع ريتومي وهي تحـاول نطق اسم القرية حتى نجـحت وقالـت في الأخير: الجميع يعلم أن العـباقرة يـعـجزـون عند أبـسط وـأـتـفـه الأـشـيـاء!

ولـأن الأـيـام تـنـقـضـي بـسـرـعـة، ذـهـب جـورـفـين وـعـائـلـتـه إـلـى القرـيـة الـتي يـقطـنـ بها أـخـوه بـعـد أن وـدـعـوا سـكـانـ قـرـيـة هـاسـمـايـ، وـفـي لـيـلـة الـيـوـم الـذـي ذـهـبـوا فـيـهـ كـانـتـ إـيـسـتـارـا جـالـسـة مـعـ أـمـهـا بـعـدـ العـشـاءـ لـاـرـتـشـافـ الشـايـ كـالـعـادـةـ.

استـفـتحـتـ إـيـيـ الكـلامـ قـائـلـةـ: هلـ تـعـلـمـينـ يـاـ اـبـنـتـيـ أـنـ لـكـلـ إـنـسـانـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ أـمـنـيـاتـ يـرـيدـ تـحـقـيقـهاـ بـشـدـةـ دونـ شـيـءـ سـواـهـاـ مـهـمـاـ كـانـ جـيـلاـ؟

- أـجلـ، أـعـلـمـ يـاـ أـمـيـ، لـكـنـ حـتـىـ الـأـغـبـيـاءـ لـدـيـهـمـ أـمـنـيـاتـ، فـكـيفـ نـفـرـقـ بـيـنـ مـنـ هـوـ غـيـ وـمـنـ هـوـ لـيـسـ بـغـيـ، فـأـظـنـ أـنـ أـمـنـيـاتـ غـيـةـ؟

- لـاـ تـقـولـيـ أـغـبـيـاءـ، فـالـذـيـ نـظـنـهـ غـبـاءـ، لـاـ يـعـدـوـ كـوـنـهـ تـعـالـيـاـ مـنـاـ عـلـىـ الـقـدـرـاتـ المـتـوـاضـعـةـ لـلـآـخـرـينـ، وـالـآنـ مـاـ هـيـ أـمـنـيـاتـ اـبـنـتـيـ الـغـالـيـةـ الـتـيـ تـرـيدـ تـحـقـيقـهاـ؟

- قـبـلـ أـجـيـيـكـ عـنـ أـمـنـيـاتـ، يـجـبـ أـنـ تـقـتـنـيـ أـنـ الـأـغـبـيـاءـ مـوـجـودـونـ، سـوـاءـ رـضـيـتـ أـمـ لـمـ تـرـضـيـ، الـأـغـبـيـاءـ مـوـجـودـونـ، فـكـمـاـ يـوـجـدـ الـأـذـكـيـاءـ، يـوـجـدـ الـأـغـبـيـاءـ.

عـانـقـتـ إـيـيـ اـبـنـتـهاـ ثـمـ قـالـتـ: حـسـنـاـ، مـعـكـ حـقـ، لـكـنـ بـالـحـدـيـثـ عـنـ الـأـمـنـيـاتـ، هـلـ مـنـ أـشـيـاءـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ أـحـقـقـهاـ لـكـ قـبـلـ أـنـ أـمـوـتـ، تـكـلـمـيـ وـلـاـ تـشـعـرـيـ بـالـخـجلـ.

- مـاـذـاـ أـقـولـ يـاـ أـمـيـ؟ـ أـمـنـيـاتـ، مـنـهـاـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـتـحـقـقـ وـمـنـهـاـ الـتـيـ يـسـتـحـيلـ تـحـقـقـهاـ، وـسـأـبـدـأـ بـالـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـتـحـقـقـ وـهـيـ جـدـ بـسـيـطـةـ لـأـنـيـ أـتـمـنـيـ أـنـ أـجـعـلـ الـذـيـ يـقـرـبـ مـنـ الـمـوـتـ يـعـودـ إـلـىـ الـحـيـاةـ، وـلـاـ شـكـ أـنـ هـذـاـ مـاـ يـرـيدـهـ الـجـمـيعـ يـاـ أـمـيـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

- معك حق يا ابنتي، فما من شيء في هذه الحياة أسمى من تقديم المساعدة لمن يحتاجها ولا شك أن من يقترب من الموت يريد يدا تساعدة على العودة لهذه الحياة إن كان القدر موافقا لتلك الرغبة، الآن ما هي أمنياتك المستحيلة؟

- أمنياتي المستحيلة لا تخطر على بال يا أمي، سأخبرك ببعضها منها. أتمنى أن أتمكن من الترخلق فوق قوس المطر، أريد مرافقة الطيور المهاجرة، وأتمنى أن أمسك أول ورقة تسقط في فصل الخريف، لأضعها في غرفتي بعدما أكتب عليها الناجية من الوقوع على أديم الأرض، انتظار أول وردة تتفتح في الرياح لأغلقها وأقول: تابعي نومك يا صغيرة، فلا يزال الوقت مبكرا، أنا أعلم أنك تريدين مواصلة نومك.

بدأت إيمي بالضحك وقالت: فتاة مجنونة، تابعي كلامك. قالت: أريد أن أُسقي وردة بدموع الألم وأُسقي وردة أخرى بدموع الفرح، هل سيكون لهما نفس الشذا الفواح؟ أتمنى معرفة الإجابة لا غير. أتمنى أن أعرف ما إذا كانت الزهور تعطس إذا حطت عليها حشرة مؤذية، لدى الكثير من الأسئلة، قد تظنين أنها أسئلة غبية، لكن ماذا سأفعل، هذه أمنياتي ولا تزال هناك أمنيات كثيرة جدا لا تنتهي، لكن صارت لديك فكرة عنها.

بقيت إيمي صامتة حتى قالت لها إيسستارا: تكلمي يا أمي، ماذا هناك؟
ابتسمت إيمي ثم عانقت إيسستارا بشدة قائلة: أدهشتني بأمنياتك يا ابنتي، وفي نفس الوقت ذكرتني بوالدك عندما أفصحت لي عن أمنياتك.

- أرجوك يا أمي، دون أن تجدي عذرًا، هلا حكيت لي عن أبي؟ أخبرتني أنه اختفى ولم يُعثر له على أثر بعد ذلك، هلا حكيت لي رجاء؟

أخذت إيمي نفسها ثم قالت: في أحد الأيام حدث معنا مشكل كما يحدث لجميع الأزواج ولم نستطع التوصل إلى حل وسط، فخرج من القصر غاضبا ولم يعد، بحثنا عنه طويلا دون أن نجد له أثرا للأسف، لذلك نعتقد أنه توفي، فقد مرّ زمن طويل على غيابه.

- حسنا، لن أسأل مرة أخرى، لكن عن أي قصر تتكلمين؟

- قصر جدك كيجاير، وأرجو أن لا تسأليني لم هو ليس معنا الآن. قالت إيسستارا:
لا، لن أسألك، بديهي أنه كان قاسيا جدا.

- لا يا ابنتي، لم يكن جدك قاسيا أبدا، بل كان حنونا جدا، كان يخاف علينا،
ويغطف علينا، لكنني لست أعلم لماذا لا نتنازل ولو قليلا في المشاكل بينما ونظن دوما أنها
على حق، وأن الغير هو المخطئ.

- شوّقتنى أكثر حتى أعرف ما الذي جرى بين جدتي ياريكا وجدي كيجاير فصرنا
بعيدين جدا، هلا حكيت لي أكثر يا أمي، أرجوك.

قامت إيمي من مكانها وقالت: حصلت على جواب دون أن تسألي، لكن لا بأس،
أما الآن، فالوقت أصبح متاخرا ويجب عليك الذهاب للنوم؟
لكن إيسستارا كانت عنيدة، وقالت: لكن قولي لي ما الذي جرى يا أمي بينهما وبعدها
سأذهب لأنام، لا تتركيوني متشوقة.

- لا، لا يا إيسستارا، اذهب إلى الفراش، وستعلمين ماذا حصل في الوقت المناسب إن
شاء الله، أنت لا تزالين صغيرة، والآن قبليني وادهبي لكي تنامي.
قالت إيسستارا: سأذهب وأنام لأنني فتاة مطيبة، وأنت تعلمين هذا.

الفصل الثالث: الزيارة المتوقعة

"اغرس زهرة على الأرض و سوف تحرّك أبعد نجم ."

بول ديراك

نامت إيستارا وبعد حوالي ساعة من نومها نامت إيمي، ومضت ساعات الليل سريعا. أشرقت الشمس وكانت إيستارا جالسة في الحديقة تداعب الأزهار وعلامات السرور تكاد تكون غائبة عن محياتها البديع، فهي لم تعتد العيش بعيداً عن صديقتها ريتومي. فجأة ضربت على جبينها براحة يدها قائلة: مررت كل تلك الأيام ونسيت أن أرى تلك القصيدة التي كتبتها لريتومي، أين كان تفكيري؟ لكن لا بأس.

لم تنشأ إيستارا الذهاب واللعب مع الآخرين وصديقتها المفضلة ليست معها، فبقيت في الحديقة تقطف زهرة من هنا وهناك قبل أن تغير رأيها وقطفت زهوراً كثيرة ثم أحضرت خيطاً رقيناً وجعلت تصنع عقداً من الورود لتهديه إلى أمها.

كانت إيمي في المطبخ تحضر الغداء، قبل أن تراودها فكرة النظر إلى ما تفعله ابنتها في الحديقة، خصوصاً بعد أن ذهبت صديقتها، فأطلت من نافذة المطبخ لترى ابنتها تدخل البراعم في الخيط وهي تقول: سأهدي هذا العقد الجميل لأمي، لا بد أنها ستفرح كثيراً، ثم أمسكته بكلتا يديها وأخذت تنظر إليه. قالت: ستفرح كثيراً.

كانت إيستارا تتكلم مع نفسها أما إيمي فقد علت وجهها ابتسامة عريضة. قالت: ليباركك الله يا ابنتي. ثم عادت لتكميل طهو الطعام ومشاعرها تتراقص فوق صفحات قلبها بسماع تلك الكلمات التي كانت تجري بين شفاه ابنتها لتدغدغ أحاسيسها، بقيت تنتظر فقط متى تُحضر إيستارا العقد، وليس الوقت الذي يكون فيه الطعام قد نضج.

ما إن انتهت إيستارا من إدخال البراعم في الخيط حتى حانت المرحلة الأخيرة وهي أن

تعقد طفيفه. فجأة سمعت صوت فتاة تقول: ألن تأتي لمعانقتي؟

رفعت إيستارا بصرها لأنها لم تُصدق ما سمعته، وما إن وقع بصرها على المتكلمة حتى طارت مشاعرها فرحاً وابتهاجاً، فقد كانت المتكلمة هي ابنة خالتها جوساي، ومعها أمها كوريسيي ووالدها الذي يدعى مالفي.

كانت جوساي في عمر إيستارا تقريباً، ذات بشرة بيضاء، مشرقة الطلعاء، ورثت طول القامة من والدها، أما أمها كوريسيي فكانت امرأة بحية المنظر ذات بشرة بيضاء، ولم تكن تشبه أختها إيمي كثيراً، أما مالفي فما إن تقع عيناك عليه حتى تدرك أن طول جوساي لم يكن إلا بسبب طوله، فقد كان طوبل القامة معتدل الجسم ذا بشرة سمراء، وشعر أسود، ومن المستحيل أن تنظر إلى حمایاه دون أن تبدأ بالابتسام فقد كانت أساريره البشوشة تدفع أي شخص للابتسام.

ما إن همت إيستارا بالركض حتى سقطت على الأرض، لكنها سرعان ما قامت لتبدأ بالركض نحوهم من جديد وهي تنادي بصوتها العذب الصاخب: أمي... أمي... تعالى لترى من أتى يزورنا، تاركة العقد الذي كانت تصنعه من يديها دون أن تشعر.

جئت كوريسيي على إحدى ركبتيها ثم شرعت ذراعيها لتعانق ابنة أختها بحرارة. لحظات وقالت إيستارا: لكن أين جدتي، يستحيل أنها لم تأتِ معكم؟

ابتسمت كوريسيي قائلة: لا شيء من هذا يا ابنتي، لقد أتت معنا، لكنك تعلمين أن العجائز يفضلن الجلوس وسط الطبيعة الخلابة ويتأملن المناظر هنا وهناك، وكذلك يتبعن من المسير، ثم استدارت إلى جهة الدرب الذي سلكوه وأشارت إلى أمها ياريكا قائلة: ها هي جدتك يا إيستارا، ألن تذهبي لتلقي عليها التحية وتقبلها؟. لكن إيستارا كانت قد ذهبت قبل أن تكمل خالتها الكلام.

قبلت إيستارا جدتها ياريكا، واتجهتا نحو البيت، وكانت ياريكا عجوزاً، لكنها لم تكن

تحتاج إلى عكاز.

أما إيمى التي كانت في المطبخ، فما إن سمعت إيستارا تنادي عليها قائلة "أمي تعالي لترى من أتى لزيارتـنا"، حتى أطلت من النافذة ورأت ابنته تسقط العقد من يديها وهي تتجه نحو الضيوف لترحب بهم فقالت إيمى في نفسها: يا لها من فتاة، نسيت أمر العقد تماماً، ثم أتبعت: لكن الأهم هو أنها لم تنسني ونادتني.

خرجت للترحيب بهم، لتصل إيستارا أخيراً مع جدتها ياريكا وهما تمسكان يدا بعضهما البعض. قالت ياريكا لإيمى التي أقبلت تسلم عليها وتعانقها: قولي لي يا ابنتـي، ألا تتعب هذه المشاكسة من الركض والجري هنا وهناك؟

ابتسمت إيمى قائلة: إنـهم الصغار يا أمـي، إذا لم يركضوا و يمرحوا فـمـاذا لـديـهم لـيفـعلـوا!! صحيح أنها في السادـسة عـشر لـكتـها لا تزال صـغـيرة جداً في عـيونـي تمامـاً كـما كـانت عندما أـتـيتـ بها إـلـىـ هـذـهـ الحـيـاةـ.

قالـتـ يـاريـكاـ مـخـاطـبةـ حـفـيدـتهاـ: حـسـنـاـ، اـرـكـضـيـ كـالـجـنـونـةـ، لـكـ حـاذـرـيـ أـنـ تـسـقـطـيـ، فـإـنـ لـوـنـفـيرـوـ لـنـ يـسـاحـنـاـ إـنـ حـدـثـ لـكـ مـكـروـهـ!!

جلس الجميع في غرفة الاستقبال الواسعة، إلا كوريسـيـ التي لم تستطع الجلوس وتركـتـ إـيمـىـ تحـضرـ الغـداءـ لـوحـدهـاـ. ذـهـبـتـ لـتسـاعـدـهاـ، وـتـفـاجـأـتـ عـنـدـمـاـ لمـ تـجـدـهاـ بـالمـطـبـخـ، لـحظـاتـ فقطـ قـبـلـ أنـ تـنـضـمـ إـيمـىـ إـلـيـهاـ قـائـلةـ: آـسـفـةـ يـاـ كـورـيـسـيـ.

أما كوريسـيـ فـقـالـتـ: خـلـتـ أـنـكـ بـالمـطـبـخـ فـأـيـنـ كـنـتـ يـاـ ذـكـيـةـ؟ـ. ردـتـ إـيمـىـ: لـاـ يـهـمـ هـذـاـ الآـنـ، المـهـمـ هـوـ أـنـ الطـعـامـ سـيـنـضـجـ قـرـيبـاـ.

هـذـاـ وـبـعـدـ الـانتـهـاءـ مـنـ تـنـاـولـ الـغـداءـ اـتـجـهـ الجـمـيعـ لـأـخـذـ الـقـيلـولةـ. قـبـلـ العـصـرـ بـقـلـيلـ كانـ الجـمـيعـ مـسـتـيقـظـينـ وـقـدـ اـسـتـعـادـوـ نـشـاطـهـمـ، وـلـمـ يـطـلـ الـوقـتـ كـثـيرـاـ حـتـىـ غـابـتـ الشـمـسـ مـنـ حـيـاـ السـمـاءـ وـأـسـدـلـ الـلـيـلـ ستـارـهـ الـأـسـودـ الـعـجـيبـ، مـتـرـبـعاـ عـلـىـ الـأـرـجـاءـ وـبـدـأـ يـتـبـادـلـ أـطـرافـ

الحاديـث مع النجـوم والقـمر.

كـانـت جـوسـاي وـإـسـتـارـا تـبـادـلـانـ الحـادـيـثـ معـ مـالـفـيـ،ـ وـالـجـدـةـ يـارـيـكاـ تـسـمـعـ وـتـرـسـمـ اـبـتسـامـةـ عـرـيـضـةـ،ـ أـمـاـ الـأـخـتـانـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـماـ بـدـ منـ إـعـدـادـ عـشـاءـ شـهـيـ.

تحـتـ ضـوءـ الشـمـوـعـ أـنـهـواـ العـشـاءـ فيـ هـدـوـءـ،ـ بـعـدـهاـ اـتـهـمـواـ مـباـشـرـةـ إـلـىـ الغـرـفـةـ الرـئـيـسـيـةـ لـتـبـادـلـ أـطـرـافـ الـحـادـيـثـ وـارـتـشـافـ الشـايـ.

قالـتـ إـسـتـارـاـ:ـ الـحـمـدـ لـلـهـ أـنـكـمـ أـتـيـتمـ،ـ وـأـرـجـوـ أـنـ تـطـيلـ الـبـقـاءـ لـكـيـ أـتـمـكـنـ مـنـ قـضـاءـ الـكـثـيرـ مـنـ الـوقـتـ مـعـ جـوسـايـ.

قالـ مـالـفـيـ:ـ لـلـأـسـفـ يـاـ اـبـنـيـ،ـ أـنـاـ وـخـالـتـكـ لـنـ نـطـيلـ الـبـقـاءـ هـنـاـ،ـ وـعـلـيـنـاـ الـعـودـةـ فيـ الـغـدـ إنـ شـاءـ اللـهـ لـبـيـتـنـاـ الـجـدـيـدـ،ـ فـلـاـ بـدـ مـنـ الـعـودـةـ يـاـ اـبـنـيـ.

قالـتـ إـيمـيـ:ـ لـمـاـذـاـ يـاـ مـالـفـيـ،ـ فـجـوسـايـ فـيـ عـطـلـةـ،ـ أـهـنـاكـ مـنـ خـطـبـ ماـ؟ـ

-ـ لـيـسـ بـالـأـمـرـ الجـلـلـ،ـ لـكـنـ كـمـاـ تـعـلـمـينـ فـإـنـ الـمـرـضـ الـجـلـدـيـ الـذـيـ أـصـابـ يـدـيـ تـفـاقـمـ كـثـيـراـ وـصـرـتـ أـجـرـحـ يـدـيـ إـذـاـ قـمـتـ بـالـحـلـكـ لـاـ سـيـماـ لـيـلاـ،ـ وـقـدـ سـمـعـتـ عـنـ حـكـيـمـ فيـ إـحدـىـ الـقـرـىـ الـمـجاـوـرـةـ يـدـعـىـ جـايـريـ وـايـرـ،ـ تـرـدـ حـولـهـ الـكـلـامـ أـنـهـ بـارـعـ،ـ فـأـرـدـتـ قـصـدـهـ.

-ـ أـتـمـيـ لـكـ الشـفـاءـ الـعـاجـلـ إنـ شـاءـ اللـهـ،ـ وـأـتـمـيـ أـنـ تـذـهـبـاـ دـوـنـ أـنـ تـصـادـفـكـمـ أـيـةـ مـشـاـكـلـ وـتـعـودـاـ بـسـلامـ.

قالـتـ إـسـتـارـاـ:ـ أـخـبـرـتـنـيـ أـمـيـ أـنـكـمـ اـشـتـرـيـتمـ مـنـزـلاـ جـديـداـ،ـ وـكـنـتـ أـرـيدـ أـنـ أـسـأـلـكـ سـؤـالـاـ،ـ لـكـنـ تـرـاجـعـتـ،ـ فـهـوـ يـدـوـ غـيـرـ مـهـمـ.

قالـ مـالـفـيـ:ـ أـتـمـيـ أـنـ لـاـ تـنـدـمـيـ عـلـىـ عـدـمـ طـرـحـ سـؤـالـكـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ هـكـذاـ،ـ وـفـيـ الصـبـاحـ الـبـاـكـرـ،ـ وـبـعـدـ تـنـاـولـ فـطـورـ الصـبـاحـ،ـ غـادـرـ مـالـفـيـ وـكـوـرـيـسـيـ،ـ وـوـدـعـتـهـمـ يـارـيـكاـ وـإـيمـيـ قـائـلـتـانـ:ـ فـيـ حـفـظـ اللـهـ تـعـالـىـ.

الفصل الرابع: الببر الأبيض والوردة البرتقالية

" سيكون ممكنا عدم تحويل الظلام إلى نور، و السكون إلى حركة دون عاطفة. "

كارل غوستاف يونغ

بعد أن عاد والدا جوساي إلى المنزل وهذا لأخذ ما يلزمهم في رحلتهم، قالت إيستارا لأنها أنها ستدهب مع جوساي في نزهة حتى تريها روعة الأجواء، فلم تمانع أمها بشرط ألا تبتعدا كثيراً وعدم التفكير في دخول الغابة أو حتى الاقتراب منها، فوافقت إيستارا وذهبت مع جوساي إلى حديقة المنزل لتقبلاً جدتها التي كانت جالسة على الكرسي المدولب، وهي تعزل في بعض الشياب.

قبلتها وقالتا: إلى اللقاء يا جدتي.

ردت ياريكا: رافقتكما السلام يا ابنتاي، إياكمما أن تطيلاً الغياب.

انطلقت إيستارا وجوساي تبادلان أطراف الحديث وتستمتعان بقطف الأزهار ومطاردة الفراشات وفي جو الحديث الممتع نسيتاً أنها قد سارت طويلاً وفجأة وجدتا نفسيهما أمام سياج الغابة ففرحت إيستارا فرحة عارمة أما جوساي فقالت: علينا العودة يا إيستارا، فقد ابتعدنا كثيراً. نظرت إيستارا إلى جوساي وهي تبتسم ابتسامة لا توحى بأي رغبة في العودة وقالت: لا زلت أنا أمام السياج، لا داعي للخوف، سنشهي بمحاذاته فقط؟

سارت بمحاذاة السياج، فجأة لحت إيستارا منفذًا في السياج، فأسرعت نحوه تجري وبعاتها جوساي قائلة: انتظريني، فهي لم تكن تعلم بما لحته عيون إيستارا، أما هذه الأخيرة فكانت تقول في سرها: الآن يا إيستارا تبدأ الحياة الحقيقية.

توقفت إيستارا، وما إن وصلت جوساي ورأت المنفذ في السياج حتى بدأت خطواتها

تتراجع إلى الخلف وهي تقول: ماذا يا إيستارا؟ ماذا تتظرين؟ نحن على مشارف الغابة، ننعد أدراجنا فأنا جد خائفة.

قالت إيستارا: الغابة تخيفنا والوحوش تريدها والفضول يسوقنا فماذا سنفعل؟. أضافت: بالنسبة لأمي، إذا عرفت أني دخلت الغابة فهناك احتمالان وهما: إن حاولت الهروب من أمامها فسأكون عرضة لعقابها، أما إن حاولت الهروب من ورائها فسأكون عرضة لدعائهما.

لحظات وقالت: ما كلّ هذا الخوف يا جوساي، قد أتجرا وأقول أnek جبانة. لم ندخل إلى الغابة بعد، وتراودني أفكار دخولها الآن فقط، وأنت ترتعشين خوفا، حافظي على توازنك قليلا.

- إيستارا، انسى تماما أمر الدخول فقد قلنا خالي أننا لن ندخل أبدا إلى الغابة، وهذا يعني أننا لن ندخلها، لذلك هيا ننعد أدراجنا.

- كوني ذكية يا جوساي؟ قلنا لن نقترب لكننا لم نقطع لها وعدا بعدم الاقتراب، ثانيا، عند قولنا أننا لن ندخلها كان المقصود أننا لا نستطيع تسلق السياج، أما الآن فقد وجدنا مدخلا سهلا، وقالت في سرها: أمي سأخرج قليلا عن طاعتك، سامحيني رجاء، إنها اللحظات الرائعة للحياة.

قالت جوساي: لا تحاولي التذاكي، قلنا أننا لن ندخل وهذا يعني أننا لن ندخل وانتهى الأمر، ننعد أدراجنا دون أن نجادلي.

- جوساي، أنت تحترمين نفسك من لحظات الحياة الرائعة، أليست لديك روح المغامرة، الكبار يقولون لا تفعلوا ذلك لأنهم يعلمون أننا سنفعله، وليس تحذيرا لنا، فالواجب أن يقنعونا، وأمي لم تقنعنا بأن هناك حيوانات مفترسة بهذه الغابة، لذلك فالدخول ليس محظوظا.

- بلى، هناك خطر، ماذا لو دخلنا ووجدنا حيوانا مفترسا، ماذا سنفعل حينها؟
سنصبح طعاما له ولن يستطيع أي شخص إنقاذنا.

أمسكت جوساي بيد إيستارا قائلة: ستعودين معى إلى المنزل الآن شئت أم أبيت،
لكن سرعان ما أفلتت إيستارا يدها وعادت إلى المنفذ ثم أسرعت بالدخول.

قالت جوساي: حسنا، هل يمكنك أن تمنعيني الآن؟

- كما تشاهين، سأعود إلى المنزل، وأخبر خالي ولن أكون مسؤولة عن أي شيء قد
يحدث لك فأنت فتاة متهورة.

هممت جوساي بالعودة إلى المنزل لإخبار خالتها بما فعلته إيستارا، أما هذه الأخيرة فقد
دخلت إلى الغابة التي تُهُيَّت عن دخولها.

كانت الغابة خفية وموحشة، أشجارها غاية في الارتفاع وكل الطرق فيها متعرجة
فكانت إيستارا تمشي وتضع علامة على كل شجرة تمر عليها بإحدى الأحجار التي
التققطتها، حتى لا تتباهي في أدغال الغابة. ثم التقطت بضعة أحجار صغيرة وبدأت ترمي بها
عشوائيا عندما توغلت في تلك الغابة، وبعد أن رمت آخر حصاة قالت: الحمد لله على
حفظه، لو خطوت بضعة خطوات أخرى لكان انتهى أمري. بعد مدة قصيرة قررت
العودة للحق بابنة خالتها.

عادت إيستارا وهي تركض بأقصى سرعة كي تلحق بابنة خالتها وتأسر قلبها
بأوصاف الغابة، وقبل هذا لكي لا تخسر جوساي خالتها إيماني بما فعلته.

لحسن حظها فإنها لحقت بجوساي قبل أن تصل هذه الأخيرة إلى المنزل، وما إن رأتها
حتى بدأت تنادي بأعلى صوتها: انتظري يا جوساي، انتظري أنا قادمة.

استدارت جوساي ورأت إيستارا تلهث من شدة التعب فاتجهت نحوها مباشرة
لتطمئن على حالها وترى إن كانت على أحسن ما يرام. قالت: ماذا جرى لك؟ هل أنت

بخير؟ أخبريني، هل حدث لك أي مكروه؟

- اصمت قليلا رجاء ودعيني التقط أنفاسي ولو للحظة، فكل ما جرى لي هو بسببك يا جوساي.

- بسبيبي، يا لك من ناكرة للجميل؟ الذنب ذنبي أني جئت مسرعة نحوك كي أطمئن على حالك بعد كل الذي فعلته وذاك العناد الذي أبديته.

نظرت إستارا إليها وكانت عينها تأسر الناظر إليهما فيسامحها وينسى كل شيء حتى وإن كانت هي المخطئة.

قالت بصوت رقيق: هل غضبت يا جوساي؟ كنت أمنحك ليبس إلا.

- حسنا، لنعد إلى المنزل فلدي أشياء كثيرة أقولها خالتي بشأنك كي تتعلم أن تسمع كلام من هم أكبر منك ولا تحاولي التذاكي.

- أنت ابنة خالي ويستحيل أن تفعلي هذا بي، أرجوك لا تخبري أمي، فأنا أعلم أنها ستضربي وإن أشفقت فستشفق إن قالت جدتي: دعيها يا إيمى هي لن تفعل هذا مجددا، لذلك لا تخبريها أي شيء، اتفقنا.

- لم نتفق بعد، أنا سأخبرها ولن تنطلي كلماتك علي، حاوي بطريقة أخرى.

- رائع، قلت أنها لم نتفق بعد، يعني أنه من الممكن أن نتفق، قلت حاوي بطريقة أخرى، يعني أنه توجد طريقة لأقناعك بالصمت.

بعد محاولات مضنية من إستارا لإقناع جوساي بعدم الكلام لم تفلح البتة، وبقيت جوساي متمسكة بقرار إخبار خالتها إيمى بما فعلته إستارا.

قالت: أنا إنما سأخبرها من أجل سلامتك فقط فلا تقومي بالدخول مجددا إلى الغابة الموحشة.

قالت إستارا: يا عيني، من أجل سلامتي، الآن ضفت ذرعا، حاولت معك بكل

الطرق لكن لدي طريقة أخرى ستجعلك تصمتين رغمما عنك بل تتوسلين، وهنا ابتسمت جوساي ابتسامة عريضة أبانت عن جمالها وقالت: تحاولين إخافتني بكلامك؟ كلامك هذا يدفعني للضحك.

اقربت إيستارا منها، ثم جعلت تدغدغها ولم تفلتها ولو للحظة، حتى بدأت جوساي تضحك وتقول: لن أخبرها، اتركيني أرجوك.

قالت إيستارا: لن تخدعني، يجب أن تقولي لن أخبر خالي ولن أخبر جدي، سأتركك إن وعدتني بأنك لن تنطقي بحرف واحد.

- حسنا، موافقة، أعدك أني لن أقول لهم شيئا. تركتها إيستارا وهي تضحك وتقول: أرأيت كم كانت طرفي رائعة لجعلك تلتزمين الصمت يا ذكية؟

ردت جوساي: نجحت هذه المرة لكن لن تنجحي في المرة القادمة. قالت إيستارا: سترين أني سأدخلك إلى الغابة في الغد إن شاء الله، اصبري قليلا فقط.

عادت الفتاتان إلى المنزل، وما إن رأتا جدهما تتمشى في أرجاء الحديقة، حتى أسرعنا نحوها فقبلتاها، وقالت إيستارا: اشتقتنا إليك كثيرا يا جدي.

- كذلك اشتقت لحفيدي، لكنكم أطلتما الغياب رغم أني طلبت منكم الإسراع بالعودة، لماذا تأخرتانا ولم تلقيا بالا لكلامي؟

قالت إيستارا: لا يا جدي، لم نظر الغياب وتأخرنا قليلا، قليلا فقط. لحظات ونظرت جوساي إلى إيستارا وكأنها تتوعدها.

قالت ياريكا: هيا، تعالى معي لتناول الغداء فقد اضطررت لانتظاركم إلى حين عودتكم، فرددت الفتاتان بصوت واحد: شكرا يا جدي، أنت لطيفة.

دخلت الفتاتان مع جدهما وبدأت إيستارا تنادي: أمي، أين أنت يا أمي؟ ها قد عدنا. ثم التفتت إلى جدها قائلة: جدي، أين أمي؟

- لا بد أنها تعني بالأحصنة، تعلمين، في العطلة لا شيء يملأ وقتها ويشعرها بالملتهة كالاعتناء بحيواناتها الأليفة.

ما إن تناولوا طعام الغداء، حتى دخلت إيمي وقالت لأمها ياريكا: أخيراً، متى عادت المشاكسنستان يا أمي؟

ابتسمت ياريكا قائلة: منذ وقت طويل!. نظرت إلى إيستارا وجوساي قائلة: أليس كذلك يا حفيدتي أم أنا مخطئة؟

أخفضت الاثنين رأسهما، وقالت إيمي: كنت أعلم أنكما مشاكسنستان، لا بأس هذه المرة.

جلست إيمي وأمها في غرفة الاستقبال تتبادلان أطراف الحديث، أما الفتاتان فقد جلستا لتعبان في حديقة المنزل حتى غربت الشمس فدخلتا إلى المنزل وبذلت إيمي وياريكا بإعداد العشاء، بعد أن أنهى الجميع عشاءه قالت إيمي: إيستارا، جوساي، اذهبا إلى الغرفة وناما فقد تعبتما كثيرا.

قالت إيستارا: أرجوك يا أمي، حبذا لو سهرنا الليلة، أليس كذلك يا جدتي؟ فقالت ياريكا: أجل، معها حق يا إيمي، هن الآن في عطلة، هيا اذهبن وأنرن الغرفة ريشما آتي مع فناجين الشاي والحلويات.

بعد تبادل أطراف حديث مل قالت إيستارا في سرها: يجب أن أفضي لمسة أكثر جدية.

قالت: جدتي، أريد أن أسألك سؤالاً يراود فكري، لم أجده له جواباً إلى الآن، وأرجو أن تجبي عليه.

- ما هذا السؤال الذي يزعج حفيدتي ولا يفارق ذهنها؟
- أريد أن أعلم لماذا جرى بينك وبين جدي كيجابير حتى انفصلتما عن بعضكم،

هذا فقط، لم أجده أهي جواب وسائل أمي، لكن جل ما أخبرتني به هو أن هذا الوقت ليس الوقت المناسب لكي أعرف.

وضعت إيمى فنجان الشاي وصرخت في وجه إيستارا قائلة: كم مرة علي أن أقول لك لا تطري هذا السؤال وأنك ستعرفين في الوقت المناسب، لكنك دائماً عنيدة، لا تسمعين الكلام، هيا اذهب إلى غرفتك ونامي، فتاة مزعجة.

بنبرة صوت تكسر القلب قالت إيستارا: أرجوك، لا تصرخي يا أمي، جل ما فعلته هو محاولة استحضار الوقت المناسب. إن أزعجك الأمر، فسأذهب إلى غرفتي، لكن بعد أن تقولي بود: ساختك يا دميتي البديعة، ولا تنسى أنني نيماسولة لونفiro الصغيرة! أما ياريكا فقالت لإيمى: لا عليك يا إيمى، دعيها تسأل فهي لا زالت صغيرة ولا يجدر بك الصراخ في وجهها هكذا ومن حقها أن تعرف شيئاً قليلاً.

هدأت إيمى وقالت: حسناً لك ذلك يا أمي.

قالت جوساي: أنا كذلك كلي آذان صاغية، حتى أمي كانت تطلب أن لا أسأها هذا السؤال.

قالت إيمى: حتى أنت يا جوساي، ما كل هذا الفضول؟ اسمعن القصة.

قالت ياريكا: لا يا إيمى، سترفان القليل فقط، فهما صغيرتان ويستحيل أن تفهمما.

قالت جوساي: حسناً، أنا سأذهب للنوم، في العد إن شاء الله أخبريني يا إيستارا من كان المخطأ فقد استسلمت للناس، لكن إيستارا كانت قد نامت في حضن جدتها ولم تتبه أية واحدة إلى أنها نامت.

ابتسمت وسارت جوساي باتجاه الغرفة، أما إيستارا فقد كانت تحملها الجدة ياريكا بين ذراعيها. برفق، وضعت ياريكا إيستارا في فراشها، ثم غطت إيمى الفتاتين وأطفأت إيمى كل الشموع.

خرجت إيمى وياريكا من الغرفة، وأغلقتا الباب، وقالت ياريكا: أرجو أن تعود الأجراء إلى صفائها عما قريب.

قالت إيمى: أتمنى هذا من كل قلبي يا أمى، ثم نام الجميع في سكينة وهدوء. استيقظ الكل فجرا دون أن يؤثر عليهم السهر، وقالت إيستارا في نفسها: متى ستشرقين أيتها الشمس البديعة؟ أنشد الذهب للغابة بشدة. كان الجميع نشطين، لكن بعد تناول فطور الصباح عادت جوساي لتوواصل النوم.

أشرقت الشمس وابحثت إيستارا لعرفتها حتى توقظ جوساي، أخذت ترجمها يميناً وشمالاً حتى تستيقظ فقامت جوساي وهي في قمة الغضب ودفعت إيستارا إلى فراشها قائلة: توقفي الآن عن إزعاجي رجاء، فتاة مزعجة.

- أنت مخيفة؟ أتعلمين أن تعابر وجهك تبدو رائعة إن كنت غاضبة؟ حتى إنها تدفعني للضحك بدل الخوف، لكن لا بأس، سأدعك تナامين فلدينا اليوم رحلة جميلة وطويلة لتناول البندق.

هنا قامت جوساي قائلة: أحقا ما تقولين؟ أين وجدته؟ لنذهب الآن!!

- كنت أعلم أن البندق نقطة ضعفك، فمنذ الصغر وأنت مولعة بالبندق، توجد أشجار بندق في الغابة التي دخلتها البارحة.

- أنت تكذبين؟ تقولين هذا فقط لكي آتي معك، لكن انسي هذا الأمر فلن نذهب أبداً إلى هناك وإن أصرت، فسأخبر خالي.

رفعت إيستارا الوسادة وأخرجت خمسة حبات من البندق، وقالت: معاذ الله أن أكذب، تفضلي هذه الحبات الخمسة.

ابحثت جوساي نحو إيستارا مباشرة، وزرعت حبات البندق من يدها، وجعلت تقول: هي لنذهب الآن يا إيستارا حتى نعود بكمية كبيرة من البندق.

قالت إيسستارا: نسيت أمر النوم تماماً، أليس كذلك؟ على أية حال، أظنك لم تسمعني كلامي جيداً يا جوساي، لذا سأذكرك أن الأشجار داخل الغابة، هذا يعني أننا قد نجد حيوانات مفترسة، وقبل ذلك، قلنا لأمي البارحة أننا لن ندخل إلى الغابة، ماذا دهاك حتى نسيت كل شيء؟

- دعينا من هذا الآن، وهيا لتناول شيئاً ما ثم نذهب دون تضييع الوقت في هذا الكلام، فأنت تريدين الذهاب على أية حال، وإلا لما قلت لي أنه توجد أشجار بندق بالغابة. ردت إيسستارا: هذه ابنة خالي الذكية.

قامت جوساي وغسلت وجهها ثانية ثم اتجهت مع ابنة خالتها إلى المطبخ لتناول بعض الفطائر. تناولت جوساي فطيرتين بشراحة على مرأى من جدّتها ياريكا التي قالت: هل هناك أشجار بندق لا أراها يا جوساي!

- لا يا جدي، إنما أنا وإيسستارا متخصصتان للعب كثيراً في هاته المروح الجميلة والطبيعة الخلابة. آه، كدت أنسى شيئاً مهماً، أنا آتية. ذهبت جوساي إلى غرفة النوم، وعادت بعد لحظات وكأن شيئاً لم يحدث.

قالت: كما كنت أقول لك يا جدي، نريد أن نلعب وهذا كل ما في الأمر، ثم نظرت إلى إيسستارا وقالت: أليس كذلك يا إيسستارا؟

- نعم، بكل تأكيد. قالت إيمي: لا تبتعداً كثيراً وعوداً قبل منتصف النهار، لا تطيلوا الغياب مثلكما فعلتما البارحة، وإياكن ونسيان هذا الكلام أو نبذه وراء ظهوركن.

قالت جوساي: هيا بنا يا إيسستارا الآن فيجب أن نعود قبل منتصف النهار كي لا نخالف كلام خالي، يجب علينا طاعتها في كل أمر، فهمست إيسستارا لجوساي: اسحبي كلامك الأخير فبقاءه قائماً يعني أنه لا يجدر بنا الذهاب بتاتاً إلى الغابة وإحضار البندق.

بعد أن سارت خطوات قليلة قالت إيستارا: انتظري يا جوساي، نسيينا إحضار سلة معنا لنضع فيها البندق فجيوبنا لا تتسع لحمل ما يكفي، فردت جوساي: لكن بهذا ستشك خالي بالأمر حتما وتنعننا من الذهاب؟

- لدى فكرة رائعة، تعالى معي فقط، لكن لا تنطقني بأية كلمة.
عادتا ركضا إلى المنزل وما إن دخلتا حتى بدأت إيستارا تنادي: أمي، أمي أعطني سلة لنقطف الورود لك و لجدي.

خرجت إيمي بعد سماع نداء إيستارا، وقالت: هذا لطف منكما، لذلك سأعطي واحدة لك وأخرى لجوساي، سيكون هذا أفضل.

قالت إيستارا: أمي رائعة جدا، أهديها قطرة حب فتمطرني!

اتجهت الفتاتان إلى الغابة وقالت إيستارا: يجب أن نسلك الطريق الآخر حتى لا يرانا الأطفال الآخرون فيتبعوننا أو يخبروا أمي أنهم رأونا نسلك اتجاه الغابة، هيا بنا يا جوساي.
كانتا تمشيان وتقطفان الأزهار وسط تلك الطبيعة الخلابة والأجواء الرائعة، وبعد مسير طويل وصلتا إلى المدخل، فدخلتا ببطء شديد وحذر وما إن صارتَا داخل الغابة حتى ضمت جوساي ذراعيها وأفلتت السلة من يدها من شدة الخوف.

كانت تلك الغابة موحشة للغاية، تبعث في النفس الشعور بالفزع، كأن عيونا تراقبك في كل لحظة من كل الجهات، لكن إيستارا شجّعت جوساي بقولها: هيّا، استجمعي قواك ولا تنسي أنك جوساي ملكة البندق، لا تنسي أن وجهتك البندق، ووجهتي سعادتك.

- شakra لكلامك العذب، لكن قبل أن نبدأ المسير، سأربط طرفا لهذا الحيط الطويل الذي أحضرته معي في إحدى الأشجار القريبة من المدخل، والطرف الآخر سأقيه في يدي حتى لا نضيع وسط الغابة، أما أنت فخذلي حصاة محببة وعلّمي كل شجرة نمر

عليها كحل ثان إن انقطع الخيط.

قالت إيستارا: علّمت الأشجار بالأمس عندما دخلت يا ذكية.

قالت جوساي: جيد، هذا يعني أن كل ما علي فعله الآن هو إبقاء هذا الطرف معى دون إفلاته، وإن أفلت فلن تكون مشكلة كبيرة. أضافت: ألسنت ذكية جدا عندما ذهبت إلى الغرفة وجلبت هذا الخيط معى؟

نظرت إيستارا إليها وقالت: بديهي أن تكوني ذكية، فأنت ابنة خالتي.

توغلت الاشتتان في الغابة، وانتاب الشعور بالخوف هذه المرة كلا من قلب جوساي وإيستارا، لكن الخوف تلاشى من قلب إيستارا ما إن رأى وجه إيستارا البديع، وأكملت الفتاتان مسيرهما، للوصول إلىأشجار البندق.

أما الغابة، فرغم الخوف الذي كان ينتاب نفس الناظر إليها إلا أنها كانت تجسد كل معنى للسعادة في داخلها، فما إن تمشي قليلا حتى تحس كأنك لست في هذا العالم، وكأنك بصد الروح إلى عالم آخر لا تعلم صفاتيه، كانت الأعشاب المفروشة داخلها كأنها بساط حريري أخضر، تجد أنك ستستسلم لجماله الأخاذ لا محالة، تزيد النوم فوقه طيلة حياتك أو البقاء والتقلب فوقه، واحذر فقط أن تصطدم بجذوع إحدى الأشجار فتتأذى من قسوة الضربة التي ستنسها بمجرد أن يمتص خمير المياه مع صوت الأطياف ويرسم النسيم الهادئ فوق صفحات مشاعرك ألوان الحياة فلا تبصر غير لون السعادة لونا وتحتار في التناغم بين حفييف الأوراق ورقصات الأزهار، فتتحرك عواطفك حتى كأنك تريد أن ترك روحك تطلق في جوانبها.

في كل لحظة أو في كل نصف لحظة، تجد أيادي تلك المشاهد تحضنك وتعانقك دون أن تضيق أنفاسك وتلقي نفسك إليها راضيا مطمئنا.

سارت الفتاتان بحذر وقالت إيستارا: ابقي ممسكة بيدي، ولا تحاولي سبقي، فهذه

المناظر الجميلة قد تسرق منك الحياة في أية لحظة.

قالت جوساي: حاضر، لا تقلقني، سأفعل ما تقولينه، لكن لماذا تتحدىن وكأنه يمكنكم إنقاذ نفسك من وحش!

بعد السير ببطء وحذر شديدين ملدة ليست بالطويلة، لاحت جوساي أشجار البندق، فلم تصدق ما تراه عيناهما، ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فتركت يد إيستارا وانطلقت نحو الأشجار مباشرة، لتسقط وتبدأ بالتدحرج على منحدر يكسوه العشب.

انفلت الخيط من يدها، أما إيستارا فبدأت تقول بصوت عالي: تمسكي بالأعشاب... تمسكي بها. سرعان ما نفذت جوساي كلام إيستارا وتوقفت عن التدحرج. تنفست إيستارا الصعداء، وقالت: حمدا لله أن جذور هذه الأعشاب قوية، وإلا لكان أمرك انتهى. قالت جوساي: ماذا دهاك يا إيستارا؟ العشب ناعم جدا، لم أتأذ، ولم تكن توجد أية شجرة في طريقي.

أمسكتها إيستارا وقالت: هذا البساط الأخضر الناعم والجميل، بساط كاذب، ولو لم تتمسكي بالأعشاب القوية لكنت متّ. حملت إيستارا بعض الحصى بيدها، ثم بدأ ترمي بها بجوار ذلك المكان، ليصدر صوت سقوط الحصى في الماء.

اقربت الاشتنان من ذلك الموقع وقالت إيستارا: هذه ليست مجرد مياه متجمعة هنا، إنه بئر شديد العمق. مستوى المياه بعيد عن فوهة البئر، هذا يعني أنك لو سقطت ولم يكن هناك أحد لإنقاذك فستموتون حتى وإن كنت تحسنين السباحة.

ابتلعت جوساي ريقها ثم قالت: الحمد لله، لكن كيف عرفت أنه بئر شديد العمق؟ - أين ذهب ذكائك؟ من خلال قضبة طويلة دفعتها في مياهه، استنتجت أنه بئر عميق جدا.

ارتعبت جوساي كثيرا وقالت: كدت أن أغرق فيه، كيف عرفت أنه موجود هنا؟

كذلك لم تقولي لي هذا عندما دخلنا إلى هنا؟

- عندما دخلت البارحة كنت أمشي وأرمي الحصى عشوائيا، وأصدرت واحدة صوت سقوط في الماء، فبدأت أرمي بحذر شديد حتى عرفت موقع المياه. ولو أنك راقبت العشب لوجدت أن العشب في هذا المكان يبدو جليا أنه أزيح وأعيد إلى مكانه، هذا جواب كيف عرفت، أما جواب سؤالك الثاني، فلم أرد إخافتك أكثر، لأنك كنت خائفة ما إن دخلنا، فلم أرد أن أضاعف خوفك، وربما قلت لي أنه من الممكن وجود آثار أخرى، وبذلك سترضين مرافقي، أنتِ لست مجنونة مثلّي حتى ترضي التراجع، أما أنا، تعلمين أن الفضول يسوقني.

قالت جوساي: ما الدليل على أنه لا توجد آثار أخرى في هذه الغابة؟

ردت إيستارا: لا دليل، لكنني رأيت العصافير تحوم في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر، لذلك لا بدّ من أنه الوحيد.

قالت جوساي: حسنا، سمعت الكثير، دعينا نأخذ ما أتينا لأجله ثم لنعد أدراجنا.

قالت إيستارا: حسنا، أملئي السلتين ريشما أعود إليك، أريد التجول.

- مستحيل، يجب أن تبقي أمامي دون أن تبتعد عنّي، وإذا أردت الذهاب إلى أي مكان فسأتي معك، لا يمكنني تركك تذهبين وحدك فالمكان موحش جدا.

- إذن، اتركي السلتين وتعالي معّي، لكن بيظة، واحذرِي أن تنزلق رجلك، سترين شيئاً لم تريه من قبل في حياتك.

قالت جوساي: أتساءل في نفسي عن هذا الشيء الذي سأراه، لا تقولي أنه جبل ضخم من البندق؟

- اصمتي يا جوساي فنحن وسط الغابة، خطأ صغير قد يجعل حيوانا ضاريا يفتلك بما في لمح البصر، فاصمتي أرجوك واتبعيني فقط. هكذا بقيت إيستارا تتقدم بيظة،

وخلفها تمشي جوساي في حذر شديد، وما هي إلا لحظات حتى رأتنا مكاناً تكاد لا تراه العين وحيواناً جميلاً كان نائماً.

قالت جوساي لإيستارا: هل ذاك غر؟

ردّت إيستارا: إنه يشبهه، إذ أنه مخطط بخطوط سوداء، لكن لونه الأبيض، عيونه الزرقاء وأنفه الوردي، هذه الأشياء هي ما تخبرني، حقاً إنه بديع المنظر، أما الآن فدعينا منه ودعينا نجمع البندق الذي أتينا من أجله، ثم لنعد أدراجنا، فقد مللتُ هذه الغابة.

قالت جوساي: تعنين أننا لن نعود أبداً لجني البندق؟ لا، لا أتفق معك في هذا.

- ماذا دهاك، أنسيت أنه توجد وحوش ضارية، والحمد لله أننا لم نصادف حتى الآن أي حيوان مفترس، وإنما لأصبحنا طعاماً له ولصغاره.

- إذن ساعدبني في جمع البندق، بعدها سنغادر مباشرة، معك حق في كل كلمة قلتها للتو.

بعد أن ملقتا السنتين، قطفتا بعض الزهور الجميلة والعطرة من تلك الغابة، حتى توهما إيمى أنهم ذهبوا حقاً لقطف الزهور وإهدائهم لها وللجدية ياريكا.

قالت جوساي بنبرة صوت يملئها الفزع: إيستارا، أين الخيط الذي كنت أمسك بأحد طرفيه؟

أجبت إيستارا بسکينة: عند البئر الذي كدت أن تسقطني فيه، هيا، وبعد قليل سنصل إليه، لا تخافي، علمتُ الأشجار التي مررنا بها، ألا تذكرين ذلك؟ لم يمض وقت طويل حتى وصلنا إلى البئر الذي كادت تسقط فيه جوساي، وهنا فزعت جوساي فرعاً شديداً، فلم تر أي أثر للخيط.

قالت: إيستارا، دعينا نركض ونسرع بالخروج، أنا جد خائفة.

- لا تكوني جبانة بسبب أنك لم تجدي خيطاً كان معك، انظري، ها هو ذا، لا

تلققي، استريحني من خوفك.

قالت جوساي: صدقيني، ظننت أن شيئاً ما يحدث معنا، قلت في نفسي أننا لن نعود إلى المنزل.

قالت إيستارا: لتابع المسير حتى نخرج من هذه الغابة، لقد سئمتها حقاً.
عاد الاطمئنان إلى قلب جوساي بعد الخوف الذي انتابها، وواصلتا المسير حتى وصلتا إلى المخرج، المنفذ الموجود في السياج الذي دخلتا منه. مباشرةً وضعت جوساي السلة من يدها وجلست على الأرض المعشوشة كي تطرد كل الخوف. فجأة قالت إيستارا بصوت عالٍ: جوساي أركري، وانطلقت هذه الأخيرة تركض بأقصى سرعة، حتى انتبهت إلى أنّ إيستارا تضحك، فعادت إليها ودفعتها بقوة لتسقطها أرضاً. قالت: ما هذا المزاح يا إيستارا، كاد يتوقف قلبي عن النبض، ألم أقل لك دعك من هذه الأفعال؟
بينما كانت إيستارا على الأرض حتى قالت وهي باسمة: أليست لديك ذرة من الشجاعة يا ابنة خالي؟ كل ما تعرف فيه هو الخوف والركض، إني أحاول فقط أن أجعلك شجاعة، فمن لا يملك الشجاعة لن يرضي فضوله.
مدت جوساي يدها إلى إيستارا قائلة: لنعد الآن رجاء، تأخرنا كثيراً بسبب مزاحك السبيئ.

حملت الفتاتان السلتين وعادتا إلى المنزل قبل الدخول قالت إيستارا: اذهبي وخبئيه، حتى لا تعلم أمي فتتعرض للضرب.

- حسناً، انتظريني قليلاً، ريشما أذهب وأخبئه في مكان آمن. بعد أن خبأت جوساي البندق عادت، وقامت هي وإيستارا بوضع الزهور في كلتا السلتين ودخلتا. وجدتا إيمي تتبادل أطراف الحديث كالعادة مع أمها، فقبلتاها وأهدتا الزهور لهما، وكانت الفرحة غامرة قلوب الجميع فالتفاتة صغيرة من طرف، قد تجعل الآخر طيراً محلقاً

في السماء، مرفقا بأجنحة المودة.

انتهى اليوم كالعادة، وقبل النوم تذكرت الفتاتان أنهما تركتا البندق خارجا، فذبل وجه جوساي وهي التي كانت تنتظر لحظة الجلوس وكسر البندق بفارغ الصبر، لكنها لم تكن لترضى ببقاءها بعيدة عن البندق.

قالت: إيستارا، دعينا نحمل شمعة ونخرج سوية لإحضاره، ظلت النهار أنتظر أن آكل ولو قليلا، هيا لنحضره.

- يا كستارة البندق، هناك مشكلة كبيرة وهي في كيفية الخروج، فليس بإمكاننا الخروج لأن أمي تغلق الباب بالمفتاح وتختبأ في مكان أجده.

- منذ متى وهي تخبأ المفتاح؟ فحسب ما ذكر لم تكن تخبأ العام الماضي عندما أتينا لقضاء العطلة معكم.

أجبت إيستارا: نعم، لأنها لم تكن تعلم آنذاك أني أسير ليلا دون أن أدرك. ضحكت جوساي من كلام إيستارا وقالت: ابنة خالي تسير ليلا، هذا لا يصدق، هذه أجمل طرفة سمعتها في حياتي، ابنة خالي تسير ليلا!

- اصمي ودعك من الضحك، فلا شيء يضحك، هيا اخليدي للنوم. قالت جوساي: لكن البندق، يجب أن آكل ولو قليلا، أوي حظ هذا؟ عندما ظننت أني من أسعد الناس، وجدت أني من أتعسهم، واحسرتاه.

قالت إيستارا: إليك هاته الحبات التي كانت في جيب تنورتي، كليةا ثم اخليدي للنوم. - شكرًا لك، أنا أعلم أنك تحبيني كثيرا، وأنك ذكية جدا، أعطني كل البندق الذي جننياه، أعدك أني سأكيه الليلة، بقبضة واحدة أكسر عشرة!!

ردت إيستارا: أنت صماء، كأنك لم تسمعي ما قلته للتو، قلت لك حبات كانت في جيب تنورتي. لكن جوساي لم تسمع هذه الكلمات الأخيرة بتاتا.

تناولت جوساي تلك الحبات واستمتعت بطعمها الذي لم تذق مثله في حياتها. قالت: اسمعني، سأخرج لأجلب كل البندق مهما كلف الثمن، حتى لو اضطررت للخروج من النافذة، لم أعد أتحمل، البندق هنا وهو بعيد، سأكله نيناً ولن أملّه أبداً.

- لن تستطعي الخروج من النافذة أيضاً، فأمي تغلقها من الخارج، تغلقها من الخارج لأنني أسير ليلاً، وكما تعلمين، تحاف على كثيراً فأنا في الأخير أكون ابنتها الوحيدة.

قالت إيستارا بفتور: أرجوك أخلدي للنوم، ستأكلينه في الغد إن شاء الله، طبعاً إن كان مقدراً لك أن تأكليه، هيا نامي. وكان الرد جميلاً هذه المرة، فقد قالت جوساي: حسناً، سأنام، تصبحين على خير.

بعد أن غرقت إيستارا في أمواج متلاطمة من النعاس، قامت جوساي لتحاول الخروج، لكن سرعان ما شعرت بيد تمسكها.

قالت إيستارا: إلى أين تريدين الخروج يا حبة البندق؟ لن تخرجي، ستأكلك جوساي، إنها لطيفة، لكن إن تعلق الأمر بك فإنها شريرة، هياً ونامي.

هممت جوساي بالخروج ومجدداً سمعت: حبة البندق عودي ونامي ولا تحاولي التذاكي. قالت جوساي: ما هذه المجنونة، هل تتكلم أثناء نومها أم هي مستيقظة؟ على أية حال سأعود وأنام حتى لا توقعني في مشكلة.

عادت جوساي إلى فراشها، لتقول إيستارا: حبة بندق مطيعة، نامي قبل أن يأتيك شبح جوساي يقول يامي... يامي، ويأكلك، ثم نزعت إيستارا الغطاء عن وجهها قائلة: إنني آسفة، كنت أمزح معك، والآن نامي، أنا أتكلم بجد. لحظات ونامت الائتنان.

في الصباح، استيقظت جوساي في الوقت الذي استيقظت فيه خالتها ايمي، ولم تفهم إيمى ماذا جرى لجوساي، حتى ظنت أنها قد أحدثت جلبة جعلت جوساي تستيقظ، فقالت: جوساي عزيزتي، هل أيقظتك عندما فتحت الباب، آسفة؟

- لا يا خالي، لا شيء من هذا، استيقظت من النوم ولم تعد لدى رغبة فيه، أشعر أنني نلت قسطاً كافياً من الراحة.

- حسناً، أغسلني وجهك، وسأحضر لك الفطور، ستجدinya في المطبخ.

أعدت إيمى فطور الصباح لجوساي، أما جوساي فذهبت مباشرةً دون أن تبدأ بتناول فطورها إلى المكان الذي خبأت فيه البندق. لم تجد أية حبة، وكادت تصرخ: أين بندقى، أين بندقى؟ لكنها اكتفت بقول: ما هذا الحظ التعيس؟ كل البندق اختفى، أنا واثقة أنني وضعته هنا قبل أن ندخل إلى المنزل ومعنا الأزهار، سأذهب وأسأل إيستارا، ربما خبأته في مكان آخر.

ابجهت مسرعةً إلى الغرفة، وكانت إيستارا قد استيقظت لتوها، فقالت جوساي: جيد أنك استيقظت، ذهبت لأحضر البندق، لكنني لم أجده حبة واحدة، هل خبأته في مكان آخر؟

ردت إيستارا بنبرة صوت هادئة جداً: كيف غير مكانه، وأنت من خبأته؟ لحظات و قالت جوساي: مهلاً... مهلاً... أيعقل أن خالي رأته فأخذته ونسيت أن تعطيه لنا؟

قالت إيستارا: أين خبأته البارحة؟

ردت جوساي: بالقرب من إحدى الأشجار القرية من المنزل.

قالت إيستارا: ألممم، أظن أنني عرفت من كان السبب، أولاً: غبائك، وثانياً السنجب، لا شك أن هناك سنجاهاً ما، ما أغباك، كيف خبأته قرب الشجرة، ألا تعلمين بوجود السنجب التواقة لأكل البندق، ولم تمسك إيستارا نفسها من شدة الضحك جراء ما جرى.

- يا لحظي التعيس، سأذهب لتناول فطور الصباح، أما أنت، فاذهي لغسل وجهك،

سذهب مجدداً إلى الغابة لجني البندق.

- اذهبي وحدك، سبق وقلت لك البارحة أين مللتها ولن أعود إليها.

قالت جوساي: حسناً، سذهب وحدي، لست خائفة من أي شيء، سأجمع البندق ولن تأكلني معى ولو حبة واحدة.

ذهبت إيستارا لغسل وجهها، وبينما هي تقوم بتنشيف معلم الجمال المتجسد في محياتها البديع، حتى رأت جوساي تقابل المرأة.

قالت لإيستارا: ألم تنظرني للمرأة؟. ردت إيستارا: من لديهم شك في جمالهم ينظرون إليها، أما أنا فالمراة تمنى لو تستطيع أن تسترق النظر مرة واحدة لتنظر إلى جمالي.

قالت جوساي: أنت مغوردة فقط!

قالت إيستارا: حسناً، سأريك تواضعبي. قالت: إن عشتْ سأكبر، وسيتلاشى جمالي، ما الفائدة في هذه الحالة من الجمال الدنيوي.

ردت جوساي: كأن هذه ابنة خالي الحكيم!

كانت الشمس قد أشرقت، وفعلاً، أخذت جوساي السلطين وهي عازمة على اقتحام الغابة من جديد وجمع البندق، وما إن وصلت إلى المنفذ، حتى سمعت إيستارا تقول بصوت عالٍ: انتظري، انتظري، ألم تأخذيني معك؟

ابتسمت جوساي وركضت نحو إيستارا تعانقها. قالت: كنت أعلم أنك لن تتركيني أذهب لوحدي، شكراً لك، لكن لماذا جلبت هاته السلة الكبيرة؟

- جلبتها لنعيد البندق الذي كان مقدراً للسنجباب أن يأكله وبهذا تكون استرجعنا ما جنيناه بأيديينا ولم نأكل منه سوى بضعة حبات، أقصد أنك أكلت منه بضعة حبات. دخلتنا إلى الغابة، وبعد مدة وصلتا إلى أشجار البندق المرجوة. جمعنا البندق حتى امتلأت السلال الثلاثة كلها، سلطين صغيرتين، وسلة كبيرة نسبياً. لما همبا بالعودة قالت

جوسي اي هل تسمعين ما أسع يا إيستارا؟

ردت إيستارا: لا أسع شيئا.

- أنصتي جيدا فهناك صوت أنين، لا بد أنه صوت حيوان جريح؟. لحظات قليلة فقط لتقول إيستارا: أجل لقد سمعته، لكن من أين هو قادم؟

بقيت الاثنان هادئتان، تحاولان ترصد مكان الصوت. قالت جوسي اي: اتبعيني يا إيستارا، أظنني عرفت.

وضعتا السلال، وبدأتا بتتبع مصدر الصوت بخطوات بطيئة، لحظات وصار الصوت أقرب جدا وقالت جوسي اي: هل يعقل أنه آت من خلف هاته العرائش المتراكمة هنا، لنر ماذا يوجد خلفها، هيا ساعديني يا إيستارا برفعها.

بعدما رفعتا تلك العرائش تفاجأت الاثنان بما رأته عيونهما، فللاسف، كان ذلك الحيوان الجميل الذي أبصرتاه بالأمس، كان جريحا، ولا يزال ينزف.

قالت جوسي اي: من الجلي أن بعض الوحوش الضارية هاجمته أثناء غياب أمه يا إيستارا؟

- لم تنطق إيستارا بكلمة واحدة، كانت تفكير في طريقة يمكن من خلالها إنقاذه، وكان تحقيق أمنيتها قريبا ولا تستطيع تحقيقها. شقّ قلب إيستارا وجوسي اي لذلك المنظر، وكأنهما غير مصدقين لما تراه عيونهما، وبدأت ترتجف أيديهما فصفحات الحياة تقلب في لمح البصر، البارحة كان يجري ويمرح في أرجاء الغابة، واليوم يبدو وكأنه على مشارف الموت، يتربّح بين الحياة والموت.

أخافهما المنظر القاسي للحيوان الجريح، وهو بين أنياب الموت. همتا بالعودة مباشرة، لكن قلب إيستارا الرقيق لم يطأوها لتركه في تلك الحالة والعودة.

قالت إيستارا: يجب أخذه إلى المنزل لمعالجته قبل أن يفقد المزيد من الدم ويفارق الحياة

التي لم يأتِ إليها إلا قبل أشهر قليلة.

- صحيح أنه ينزف وقد يموت، لكن لا يمكننا أخذه معنا، هو حيوان مفترس، يستحيل عليه التعايش معنا، سنصبح فريسة له في يوم من الأيام، يجب تركه في الغابة، فهي موطنها، دعينا نرجع أدراجنا يا إيستارا متمنين له النجاة.

- لا تكوني قاسية يا جوساي، المسكين ينزف وقد يغادر الحياة في أية لحظة، وأنت تتفوهين بهذا الكلام، كيف ينجو إذا تركناه على هذه الحال؟

- اسمعي يا إيستارا، صحيح أنه جميل لكنه يشبه النمور أو الفهود، هذا يعني أنه مفترس، لذلك يهدى بنا الذهاب وعدم المخاطرة، ماذا لو نجا فعلاً بعد معالجته وهجم علينا، ألن تقولي حينها لو تركناه ذلك اليوم يموت لما وصل إلى حد مهاجمتنا؟

- ربما يكون حيواناً مفترساً، لكن من الخطأ توقع نتائج الأمور التي فعلها خير، حتى ولو هاجمنا لا يمكن لومه فذلك طبعه، كذلك نحن لن نتركه يعيش معنا، فما إن يتعرف حتى نعيده إلى موطنها في هذه الغابة، وأخيراً، هل هناك ما هو أجمل من إنقاذ حياة؟
قالت جوساي: لا أدرى ماذا أقول، لكن كوني متأكدة من أن خالي لن تدعنا نعالجها البتة، ستأمرنا بإعادته فوراً من حيث أتينا به.

- لا عليك، إن لم تتفهم سأقنعها بطريقتي. قالت جوساي: انتظري قليلاً يا إيستارا، هل لديك أية فكرة عن طريقة حمله إلى المنزل؟

- لا أأخذ إلا ما هو مقدر لنا، والبندق الذي في السلة الكبيرة ليس مقدراً لنا أخذه، أسرع وأفرغي السلة الكبيرة لنضعه داخلها.

لحظات وقالت إيستارا: هي يا جوساي، باسم الله. ما إن حملتا الحيوان الجريح وهمتا بوضعه داخل السلة، حتى رأينا بقعة شديدة السوداد، ذات شكل دائري، بقطر صغير نسبياً.

قالت إيسستارا: الفضول، الفضول... فجأة قالت: لا، قد يموت، يجب أن نسرع بأخذه إلى المنزل، صحيح أني فضولية، لكن حياته أهم الآن.

وضعتنا الحيوان الجريح في السلة الكبيرة وتلطخت يداها بالدماء، لكنهما لم تباليا بتاتا، كان همّهما الوحيد هو الإسراع للوصول إلى المنزل قبل فوات الأوان. تعاوتنا على حمل السلة الكبيرة، وكل واحدة منهما تحمل سلة صغيرة مليئة بالبندق بيدها الثانية.

قالت إيسستارا لجوساي: ما إن نصل إلى المنزل، حتى آخذه إلى أمي، أما أنت فأسرعي وأدخلني البندق إلى غرفة نومنا اتفقنا.

ردت جوساي: حاولي فقط أن تقنعي خالي بتركنا نعالجها لينجو من الموت. وهكذا تعاوانت الاثنان على حمل الحيوان الجريح إلى المنزل.

كانت إيمي والجدة في الحديقة، تنسعن النباتات الشائكة، وما إن رأتهما إيسستارا حتى تكفلت بحمل السلة التي بداخلها الحيوان الجريح وطلبت من جوساي أن تدخل البندق إلى داخل المنزل. بدأت تنادي بأعلى صوتها: تعالى يا أمي، أسرعي، أسرعي... في حين كانت جوساي تستعد لإدخال سلتي البندق بعد أن تلهي إيسستارا أمها وجدتها فلا تنتبه لها لدخولها.

ما إن سمعت إيمي صوت ابنتهما حتى تركت كل شيء، وأقبلت بسرعة نحوها، أما ياريكا فسارت خلف ابنتهما إيمي بخطوات بطيئة، قالت إيمي لابنتهما: ما هذا الذي تحملينه يا ابني، وما هذه الدماء التي تقطر من السلة؟

قالت إيسستارا بنبرة صوت محتشمة: أمي، رجاء لا تفضلي لأنني أحمل حيوانا جريحا في هذه السلة، وقد غطيته بالأعشاب حتى لا يتتبه أي من الأطفال عليه. نزف الكثير من الدماء، إن لم نسرع بمعالجه فقد يموت، وأنا لا أريد أن يموت... فجأة سالت الدموع على وجنتيها وهي تقول بنبرة صوت باكية: أمي لا أريد أن يموت، لا أريد أن يموت...

مسحت ياريكا دموع حفيتها، أما إيمي فقلت: طبعا يا ابنتي سنعالجها بأقصى سرعة، لا تقلق، سينجو بإذن الله.

عانت إستارا أمها بشدة وهي تقبلها وتقول: شكرًا جزيلا لك يا أمي، وأنا آسفة جدا.

- لا تشكريني يا ابنتي، لكن أين جوساي؟

بعد فترة قصيرة عادت جوساي وما إن لاحتها إستارا حتى نادت عليها قائلة: تعالى يا جوساي، لقد وافقت أمي على علاجها، فأقبلت جوساي إليهن وقالت: شكرًا لك يا خالي.

- ما خطبكما؟ إنني طيبة القلب جدا، ومرهفة الحس، حسنا اذهبوا وارتاحا، فلديكما الكثير لشرحانه بعد أن أعالج هذا المسكين، هيا ولا تبدين أمامي حتى لا يتشتت انتباحي.

بدأت إيمي بتنظيف جراحه، وبعد أن انتهت من تنظيفها جيدا قامت بتضمينها، ثم أخذته إلى الإسطبل، أين وضعته في مكان منعزل، كانت فرشته بعض العشب الناعم ووضعت حاجزا من الأخشاب حتى لا تدوسه حوافر الأحصنة أو الأبقار.

لم تدرِ إيمي ماذا تعطيه كي يأكل، فقد كان عاجزا عن الحراك، ولا حتى تحريك فكيه، فأخذت تحاول جعله يشرب بعض الحليب، فعلت ذلك بصعوبة شديدة ثم تركته يتعافى. خرجت من الإسطبل ووجدت ابنتها وجوساي قد صنعتا لها باقة من الورود الجميلة، تركتاها قرب باب المنزل، تعبيرا عن امتناعهما لما فعلته، وما إن رأت إيمي الباقة حتى اتجهت إلى إستارا التي كانت داخل المنزل وقالت: شكرًا لكما على الباقة، لكن هذا لا يعني أني لن أسألكما عما قمتما به من اقتحام للغابة.

قالت إستارا وقد أخفقت رأسها: حسنا يا أمي، نحن لم نهدِ لك باقة الورود لعقد

صفقة بينما، إنما مجرد تعبير عن شكرنا الذي لا يرقى ولو قليلاً للعمل النبيل الذي قمت به للتتو.

ردت إيمى: ابنتاي، صغيرتاي، العمل النبيل كان ما قمتما أنتما به، جل ما فعلته أنا هو معاجلته ليس إلا.

كانت الجدة ياريكا قد أتمت طهو الغداء، واجتمع الجميع على المائدة، وبعد الانتهاء أخذوا قيلولة حتى يستعيدوا نشاطهم ويكملاً اليوم بنشاط.

الكل أخذ قيلولة إلا جوساي التي كانت مهتمة بالبندق، كأنها كانت تحاول الانتقام من ليلة البارحة عندما لم تأكل سوى بضعة حبات.

بعد القيلولة خرجت إيستارا من المنزل مسرعة، فجأة سمعت جوساي تنادي عليها: إلى أين أنت ذاهبة يا إيستارا؟ انتظري، أنا قادمة.

قالت إيستارا في سرها: هل هذا الوقت المناسب لصراخك؟

توقفت في مكانها في انتظار وصول جوساي إليها التي قالت: إلى أين أنت ذاهبة، كنا صباح اليوم داخل الغابة؟

قالت إيستارا: جوساي، أرجوك عودي إلى المنزل ريثما أعود، أعدك أني لن أطيل الغياب، فهناك شيء يحيرني وعلي معرفته.

قالت جوساي: لكن أحذري هذه المرة، فربما واجهتك الوحش، ثم قالت: لا، لن تذهب.

- دخلنا مراراً وتكراراً دون أن نصادف أي وحش، لذلك تمنّي أن لا أصادف أي وحش وأعدك، هذه المرة ستكون المرة الأخيرة التي أدخل فيها إلى الغابة.

- لدى فكرة، سأجلب السلطين لكي نجني المزيد من البندق وأنت حاوي معرفة ما يحيرك، اتفقنا؟. لترد إيستارا: أسرععي إذن.

أحضرت جوساي السليتين، هذا بعد أن أفرغت ما تبقى فيهما داخل الغرفة، ودخلت الاشتنان مجددا إلى الغابة.

قالت جوساي لإيستارا: أليس غريبا أننا في غابة دخلنا إليها مرارا وتكرارا ولم نر أي حيوان مفترس سوى ذلك الحيوان الذي وجدناه جريحا؟

- معك حق، لذلك أظن أن الوحوش المفترسة تستوطن نواحٍ أخرى من نواحي هذه الغابة، والحيوان الذي وجدناه ربما حاول حيوان آخر افتراسه نظراً لحجمه الصغير نسبياً. تركت إيستارا ابنة خالتها عند أشجار البندق، أما هي فاتجهت إلى البقعة السوداء التي كانت بالقرب من الموضع الذي حملت منه الحيوان الجريح، وقالت: لا بد أن أعرف، فالفضل يسوقني في هذه الحياة، وما لبثت أن وصلت إلى المكان الذي حملت منه ذلك الحيوان.

قالت: سأبدأ بالحفر في هذه البقعة السوداء، فلا يعقل أن يوقد شخص ما النار ثم يدفن الرماد ويضعه في حفرة صغيرة كهذه. بدأت بالحفر، كان قطر الحفرة صغيراً نسبياً، وقالت: لا بد أنه اضطر للمبثت هنا وأشعل النار لكي يخيف الحيوانات، لكن لماذا دفن الرماد في حفرة صغيرة، هذا الأمر محير جداً؟

وبينما هي تحفر، حتى أحست بأن يدها تلامس شيئاً صلباً، فزادت رغبتها في معرفة الشيء ذاك، وحفرت حتى استخرجت وردة معدنية. كان طولها حوالي ثلاثين سنتمتراً، وبرعمتها عدة ثقوب جانبية. نفضتها من الرماد جيداً ثم قالت: شكلها يشبه الوردة تماماً، لكن لا تبدو لي وردة ذهبية أبداً، ولا وردة نحاسية حتى، ما هذه يا ترى؟
لحظات وقالت: سآخذها!

ثم ترددت وقالت: لا، لا، يجب أن أعيد كل شيء كما كان، يجب أن أعيدها هي الأخرى كذلك فهي ليست من حقي.

نظرت مجدداً بتمعن إلى الوردة، ولاحظت أن معدها البرتقالي براق. قالت: لا يمكن إنكار أنها بدعة المنظر، إنها رائعة.

احتارت مجدداً ثم قالت: سأخذها لأعلمَهُ أن يحفظ أشياءه جيداً وأن لا يكون غبياً، هذا إن كان هناك حقاً من أوقد النار هنا ودفن الرماد، سأخذها وأخبيها في مكان سري وإن ظهر صاحبها ساعيدها له، رغم أنني كنت أريد إهدائهما لأمي، لكنها ليست ملكي، لذلك لا يمكن أن تكون هدية، رغم أنها جميلة جداً ورائعة حقاً.

هذا وما إن انتبهت إلى أن الشمس قد شارت على المغيب، حتى قالت: عليّ الإسراع بالعودة الآن.

ما إن نظرت إلى يديها حتى وجدتهما سوداويتين بالكامل فقالت: يا ويحيى، ستفتنيني أمي لو رأته هكذا، يجب أن أذهب إلى أقرب نبع وأغسلهما جيداً، وإلا سوف يحدث ما لا يحمد عقباه. تابعت: يا ويحيى، حتى ثيابي اسودّت.

اتجهت صوب نبع عذب المياه وقامت بغسل يديها جيداً وأطراف لباسها، ثم انطلقت ترکض بسرعة، ولما وصلت إلى أشجار البندق وجدت جوساً عاكفة على جني البندق وهي تشارف على ملأ السلتين، فاقتربت منها وقالت: لم لست سريعة، دعني أساعدك لنسرع بالذهاب.

ملأت السلتين وعادتا إلى منزل، دخلتا خلسة كي لا تراهما إيمى، وما إن فتحت إيستارا بباب غرفتها حتى قالت: ما هذا الجنون يا جوساً؟ فقد رأت جبلين من البندق. قالت جوساً: أنتِ أطلت المدة وأنا اغتنمت الفرصة، فكنت أملأ السلتين، وأعود من جديد، وللأسف، لم أجده سلاً آخر كثيرة في المطبخ، كل السلال كانت بحجم هاتين السلتين.

خبأت إيستارا الوردة ذات اللون البرتقالي، ثم وضعنا سلتي البندق، وخرجتا من الغرفة

سريعاً، بعد أن ساحت جوساي الباب ورائها.

قالت جوساي: لا بد أنك عدت إلى المكان الذي حملنا منه الحيوان، فابتسمت إيسستارا بابتسامة خفيفة.

قالت جوساي: صدقيني، سأقول لخالي إيمى حتى تعاقبك فأنت لا تسمعين الكلام أبداً، لتسمعها إيمى وتقول: ماذا فعلت يا جوساي؟ أخبريني فقط، فردت إيسستارا: لم أفعل شيئاً يا أمي، لكن أظن أنها اشتاقت لتراني أعقاب، وافتقت كي تعاقبني لأنني في هذه الأيام فتاة مطيبة جداً ولا أفعل أي شيء يستحق العقاب. فابتسمت إيمى وذهبت.

كانت كل واحدة تتناول طعام العشاء وهي صامتة حتى كسرت جوساي الصمت المطبق وقواعد الأكل قائلة: تعبت كثيراً هذا اليوم، أكثر من أي يوم مضى، حتى كأني أنتظر فقط أن أنهي العشاء، وأخلد إلى النوم.

قالت إيمى: مؤكدة أن تتعبي، فقد استيقظت باكرا رغم أننا سهرنا ليلة البارحة حتى وقت متأخر، ثانياً، لم تستقيلي حتى، أليس كذلك؟

و قبل أن ترد جوساي، قالت ياريكا: ماذا كانت تفعل بما أنها لم تأخذ القيلولة؟. أجبت إيسستارا: لا تستعجلني، بعد قليل عندما نجلس لارتشاف الشاي وبحلسان لاحتساء القهوة ستسمعين القصة بأكملها يا جدي، لا شك أن جوساي ستضطر لشرب عدة فناجين حتى تتمكن من السهر معنا وتساعدني في سرد القصة على مسامعكما.

قالت إيمى: من الجيد أنك لم تنسِ بأن عليكما شرح كل شيء. فردت إيسستارا: طبعاً يا أمي، بكل صدق، سنخبرك بكل شيء.

انتهت الجميع من عشاءهم، وغسلت إيمى وأمها الصحون، ولم يمض كثير من الوقت حتى طلبت إيمى من أمها أن تذهب لستريح قليلاً في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن

فيها، بعدها أخبرتها أنها ستُحضر القهوة والشاي.

- لا يا ابني، هذا كثير عليك وحدك، تعبت هذا اليوم كثيرا، ستحضر كل شيء، هكذا لن نشعر بالتعب. ابسمت إيمى ثم عانقت أمها بشدة قائلة: كم أنت لطيفة يا أمي، رغم أننا كبرنا، إلا أنك لا تزالين تساعدينا في كل الأمور.

كانت إيستارا وجوساي في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن فيها، وأنت إيمى وأمها بالقهوة والشاي، وجلسن لسماع القصة التي سترويها إيستارا وجوساي، وقبل أن تبدأ إيستارا الكلام قالت جوساي: انتظري، لا يزال هناك شيء ناقص، سأحضره سريعا وإياك أن تتفوهي بكلمة قبل أن آتي.

عبرت جوساي الرواق باتجاه الغرفة وهذا لتحضر بعض البندق، وما لبثت أن عادت إليهنّ. قالت: بهذا ستكون السهرة أحلى، وتكون القصة أجمل.

قالت إيمى: بندق؟ من أين أحضرته يا جوساي؟ أجبت هذه الأخيرة: سأترك إيستارا يا خالي لتخبرك من أين أحضرناه، ثم التفت إلى إيستارا، بإشارة من حاجبيها جعلت إيستارا تفهم أن عليها البدأ بسرد القصة.

قالت إيستارا: إنه أحد الفصول الرئيسية في القصة التي بدأت عندما ذهبنا لقطف بعض الأزهار، كنا نمشي بحاذة السياج الذي يحيط بالغابة ثم وجدنا مدخلا إليها، في المرة الأولى دخلت وحدي دون أن تدخل جوساي وكانت تريد إخبارك رغم كل كلمة قلتها لها، لقد كانت مصرة على إخبارك. هنا نظرت جوساي إلى خالتها وأشارت إلى نفسها وقالت: لتعلم يا خالي أني مطيعة لأوامرك، أما إيستارا فأكملت: لذلك لجأت إلى نقطة ضعفها، وقبل أن تكمل إيستارا الكلام، ضحكت ياريكا وقالت: الكل يعلم يا جوساي أن نقطة ضعفك الدغدغة والبندق، أليس كذلك يا إيستارا؟

- بلى يا جدي، إنك على حق، فقد دغدغتها حتى قطعت لي وعدا أنها لن تقول

أي شيء، لا لك ولا لأمي، وفي صباح الغد قلت لها أن هناك شجرة بندق في الغابة وحينها لم تتردد بالمجيء معي على الإطلاق، جئينا البندق وكنا رأينا ذاك الحيوان، نظرت إيستارا إلى جوساي وقالت: حان دورك لتكملي، هيا.

في اليوم الذي جئينا فيه البندق خبأته خارجاً كي لا ترينه فتسألانا من أين أتينا به، لكن للأسف، نسيته، وكتبت قد أوصدتِ الباب يا خالي ولم نستطع الخروج لذلك استيقظت اليوم باكراً للأحضره، لكن للأسف، فالسنجباب أكله، لذلك عدت مع إيستارا التي لم تكن ترید العودة للغابة، جمعنا البندق ووجدنا ذلك الحيوان جريحاً، فأتينا به وانتهت القصة.

قالت إيمي: إذن، العقل المدبر كنت أنت يا إيستارا، لماذا دخلت إلى الغابة؟
- صديقيني يا أمري، دخلت إلى الغابة فقط من أجل المغامرة لا غير، ونسبة ضئيلة أني أردت رؤيتها من الداخل، لأجل هذا فقط.
- اسماعي الآن، أول خطأ هو أنكم لم تطعوا كلامي، دخلتما الغابة التي كان من الممكن أن تنتهي حياتكم فيها، والخطأ الثاني هو الكذب، كم مرة قلت لكم أن تبعدا عن هذا التصرف السيء؟

طأطأت الفتاتان رأسهما وقالت إيستارا: نحن نقر أننا أخطأنا، يمكنكم معاقبتنا كيفما شئت، لكن الفضول يا أمري لا يتركني!
- انسيا أمر العقاب، هذه أول مرة لا تطيعان فيها كلامي، وكذلك أول مرة تلجهان فيها إلى الكذب، لكن لا تعيدا فعل هذا مرة ثانية.

أقبلت الفتاتان نحو إيمي تقبلاً لها، وقالت إيستارا: أنا أعلم يا أمري لماذا لم تقومي بمعاقبتنا، هل أخبرك؟
قالت إيمي: أخبريني يا ذكية لماذا؟

- أولاً كان الخطأ الأول، وثانياً حتى لا نكسر ثقتك، ونعيد الخطأ نفسه ثانية، ثالثاً لأننا صغيرات، لهذا لم تعاقبينا هذا كل شيء.

- أخطأت يا ابنتي.

قالت جوساي: يا ذكية، إننا في وقت متأخر من الليل، لذلك تخلت عن معاقبتي، أليس كذلك يا خالي؟

عانت إيمي جوساي بشدة، وضمتها إليها قائلة: من أين تأتين بهذه الأفكار، طريقة تفكيرك تجعلني أبتسم!

قالت إيستارا: لماذا يا أمي لم تعاقبينا إذن؟

قالت ياريكا: أنصتا يا حفيدي، لم تعاقبكم حتى تعلما أن لا شيء أسمى في هذه الحياة من التسامح والعفو. الآن اذهبوا للنوم، فقد تأخر الوقت كثيرا. قبلت جوساي كلا من خالتها وجدتها، وقالت: تصبحان على خير، أنا جد متعبة، إيستارا، هيا دعينا نخلد للنوم، قبلت إيستارا كلا من أمها وجدتها، وبدأت بالسير. لحظات ونادتها إيمي قائلة: تعالى إلى هنا يا ابنتي.

استدارت إيستارا إلى أمها قائلة: حاضر يا أمي، هل من شيء تودين مني القيام به؟
- لا شيء، فقط لأرى إن كنت تعلمين لماذا عاجلت الحيوان الجريح بالرغم من أنه حيوان مفترس؟

أجبت إيستارا: لا بد أنك أشفقت عليه وهو في تلك الحالة، كما أشفقت عليه أنا وجوساي وحتى جدي، فابتسمت إيمي وقالت: أردت أن أحقق أمنيتك الأولى وهي إنقاذ حياة من الموت.

عانت إيستارا أمها بشدة، ثم قالت: لم أكن أعلم أنك تهتمين لأمنياتي، تصبحين على خير يا من أضعت قلبي في تفاصيل حبها. قالت: رمال الحب تناسب بين ثنائك

الليليه، ورياح الشوق تعبّر من خلال تفاصيلك المسكيه، زهور العمر تسأّل عن مياهك الطيفيه وأطيار قلبي ترید أن تبهج لياليك الصيفيه، أحاسيسی المكسورة ستجتمع في لمسة من أيادي أحلامك الورديه، لتسبح في بحارك السحرية... سأذهب لأكتبها فوراً في الدفتر الذي أهدته لي ريتوا، بعدها سأنام مباشرة، وأرجو أن تكون كلماتي أرضتك يا شمس قلبي في ظلمة ليلي.

ابتسمت إيمى وقالت: من حسن حظي أني أمك وأنك ابني، أما ياريكا فقالت مخاطبة إيمي: أرى أنك على خطى أبيك تماماً.

قالت إيمى: لا تنسي أن أبي كان على خطاك يا أمي.

فجأة عادت إيستارا وقالت: أمي، نسيت أن أسألك شيئاً، قالت: ذلك الحيوان ليس نمراً، وليس فهداً، رغم أنه يشبههما، فما اسمه؟

- إنه من فصيلة السنوريات ويدعى الببر الأبيض، هناك عدة انواع من الببور لكنه الأجمل، بفروعه الأبيض المخطط بالأسود وخاصة عيونه الزرقاء وأنفه الوردي، كل هذا يجعل منه حيواناً ذو مظهر ساحر ومن أجمل الحيوانات، خلق ذلك الحيوان ليعطي مفهوماً للجمال، لكنه يعد مفترساً بالرغم من جماله وروعته، لذلك سنعيده للغابة ما إن يستعيد عافيته بشكل كامل، والآن إلى النوم.

الفصل الخامس: المكعبات الغربية

" بالتأكيد إنها ليست المعرفة، بل التعلم، ليس الامتلاك بل الاكتساب، ليس الوجود هناك، بل الوصول إلى هناك، هذا ما يمنح أعظم متعة."

كارل فريديريك جاوس

كانت إيستارا تتردد كثيراً على بيت عمتها باروانا، بيتها الثاني، خاصةً أنها كانت تعدد باروانا أما ثانية لها، بعد أن أرضعتها هذه الأخيرة حول كامل، حتى أن إيستارا كانت تناديها أمي بدل عمتي.

كانت بارواناجالسة فوق كرسي خشبي في فناء المنزل وهي تنظر نحو السماء وتأمل عظمتها.

فجأة سمعت إيستارا تقول: أمّاه، الناس تتأمل السماء ليلاً حين تكون مرصعة بالنجوم المتلائمة والقمر الخالب، أما أنت فترقبينها نهاراً حين لا تكون هناك أية نجوم؟

جذبت باروانا إيستارا إليها، وضمتها بين يديها قائلة: الناس نهاراً مشغولون بأعمالهم، فلا ينظرون إلى السماء ولو للحظة حتى يتأمّلوا عظمتها، والناس ليلاً مشغولون بالنوم فلا يرافقون السماء ليلاً ولا نجومها، لذلك يا إيستارا: كلّ يعلم على شاكلته، أفهمت ما أرمي إليك؟

قالت إيستارا: حسناً، سأعمل على شاكلتك، وأنظر إلى السماء.

تبادلتا أطراف الحديث لفترة ثم قالت باروانا: والآن يا ابنتي علي تحضير الغداء، لذلك اذهبي والعبي قليلاً ثم عودي لتناولني فطور الغداء، وأحضرني جوساي معك.

قالت إيستارا: موافقة، لكن لا تنسِي أن تطبخي طعام العشاء باكراً، أنت تعلمين أن قريتنا لن ننام الليلة. ردت باروانا: طبعاً، طبعاً يا ابنتي الحبيبة.

تناولت إيستارا وجوساي طعام الغداء عند باروانا وعادتا مباشرة للمنزل لأخذ القيلولة، وما إن عادتا حتى وجدتا إيمي وياريكا تتبادلان أطراف الحديث فقالت إيستارا: أمي، حري بكم أن تأخذوا قسطا من الراحة، نحن لن ننام الليل بطوله، اليوم لن نتناول العشاء كالعادة، وسنقدمه قليلا، فاللهم موعد إطلاق الأحجار المتقدة.

قالت إيمي: اذهبوا ولا تقلقا بشأننا.

سارت الفتاتان والتفتت جوساي إلى إيستارا قائلة: موعد إطلاق الأحجار المتقدة؟ لم أسمع بهذا في حياتي، فما هو يا ترى؟

- اليوم وبعد العشاء مباشرة إن شاء الله، ستجتمع قريتنا الصغيرة لتشاهد أحجارا متقدة تتطاير في السماء، هذا كل شيء يا جوساي.

قالت جوساي: آه، أظني فهمت، تقصدين سيلا من الشهب المتساقطة، لكن من أخبرك بأنه في هذا اليوم ستتساقط الشهب؟

- ليست شهبا تساقط، بل أحجارا متقدة، وقد تكون كريات طين، صلبة تترافق في صفحات السماء المزينة بالنجوم والقمر، ترقى إلى السماء، ويدوم هذا المشهد حتى الخيوط الأخيرة للفجر.

قالت جوساي: قولي أنكم ستقومون بصنع هذا المشهد.

- لسنا نحن من سيقوم بصنع هذا المشهد، نحن فقط سنرى أحجارا متقدة تترافق في السماء، وما إن تهوي واحدة حتى تظهر أخرى وهكذا دواليك.

ذهب بعض أعمامي في أحد الأيام للبحث عمّن يقوم بهذا وسألوا الكثير من الناس لكن دون جدوى، ودون التوصل إلى من يقوم بإطلاقها، لكن أضمن لك شيئا واحدا وهو روعتها.

- غريب جدا؟

- ما الغريب يا جوساي؟ هل لأننا لم نعرف من يقوم بهذا المشهد الرائع؟

ردّت جوساي: الغريب هو أنه رغم فضولك فلم تحاولي معرفة من يقوم بإطلاق الأحجار المتقدة.

- لا تكوني غبية، أنا لا أضيع وقتي لأنني أعلم أن محاولاتي لن تكون أفضل من محاولات أعمامي، لذلك اكتفيت بانتظار هذا اليوم ومراقبته.

- لا أظنه جميلا بالقدر الذي وصفته، يبقى مجرد أحجار متقدة ترتفع في السماء وبعدها تهوي، يظل المشهد يتكرر حتى الفجر.

- لأنني لم أخبرك بالشيء الأجمل يا جوساي؟

قالت إيسستارا: أولا تكون أحجارات متقدة، وبعدها دوائر ومثلثات وغيرها من الأشكال الهندسية، تتطاير في السماء، أما الشيء الأجمل فهو... لكن قبل أن تكمل كلامها

غيرت الموضوع وقالت: هل لاحظت أن زوجة عمي غايد تعامله بلطف زائد؟

- لم أفهم لمَ غيرت الموضوع، لكن لا بأس، أما فيما يخص زوجة عمك غايد، أقصد روسينات، فنحن نعلم أن واجب الأزواج معاملة بعضهم بلطف.

- حسنا، لم تفهمي، تعامله بلطف زائد وهذا لأنه في العام الماضي قدم لها هدية رائعة عندما سقطت دائرة نارية قربه. وبسرعة قالت جوساي: هل قدم لها هدية بسبب نجاته... أنت تمزحين يا إيسستارا؟

- لا تكوني حمقاء، عند سقوط الدائرة المتقدة بقربه، أمر أحد أعمامي بإحضار دلو مياه له، فأحضر دلو المياه، واثنان أو ثلاثة على ما ذكر كانوا يحملون مشاعلا، ألقى عمي غايد قطرات من المياه على تلك الدائرة وعندما انخفضت حرارتها قام بكسر الكرات الطينية الصلبة التي وضعت حول سلك نحاسي مستدير، كانت هناك حوالي عشرة كريات طينية على ما ذكر، وبحجر قاسٍ قام عمي غايد بكسرها ليجد بكل واحدة الماسة برقة.

قالت جوساي: مستحيل، أحقا ما تقولين، الماسات؟

- أجل عشرة الماسات رائعات، جعلهن عمي غايد يزين خاتما ذهبيا، وجعل الخاتم يزين إصبع زوجته، الحالة روسيات.

تربيع الليل، وبدأت شرارات تحاول تقبيل السماء عبشا. كانت إيستارا وجوساي، والجميع ينظرون بعيداً لذلك المشهد البديع، كانت الأحجار المتقدة وكل الأشكال الهندسية الرائعة تلك تسقط بعيداً عن قريتهم.

أما إيستارا فكانت تنظر إلى السماء وهي تدعى بصمت: يا رب، يا رب، لتسقط بقري عشة الماسات، وفجأة سقطت ثلاثة مكعبات طينية صغيرة انطفأت النار الحبيطة بها ما إن وقعت على الأرض.

كان طول ضلع كل منها مختلفاً عن الآخر، أطوال الأضلاع توحّي أنها ليست أطوالاً عشوائية وقد كادت تصيب رأس إيستارا، لكن لحسن الحظ أن القمر الحبيب انزاح في الوقت المناسب ولم يُصب بأذى.

كانت المكعبات الثلاثة لا تزال شديدة الحرارة، لكن إيستارا أمسكتها دون أن تهتم لحرق راحة يدها.

سرعان ما وضعتها قائلة: أحضرني لي المياه يا جوساي، واجتمعت القرية حول إيستارا في انتظار ما سيسفر عنه كسر المكعبات الثلاثة.

لم تستطع إيستارا كسر المكعبات فطلبت من عمها غايد أن يقوم بكسرها لكنه عجز عن كسرها، وحاول كل الرجال كسرها لكن لم تتف适用 المطرقة، ولا أي شيء. انتهى العرض والمكعبات لم تكسر.

قال غايد: إنها صلبة جداً، لا أظن أنها ستكسر، علينا وضعها في إناء مياه والانتظار فربما لانت قليلاً.

مضت ساعة وساعتان وثلاث وأشرقت الشمس والملعبات لم تلن، أخيرا فقد الجميع الأمل.

قالت جوساي: ابنة خالتى، حظك سيء جدا، وأرى أن ترميها فلا جدوى من احتفاظك بها، هي لن تنكسر.

قالت إيستارا: لا، لن أرميها حتى ولو كانت دون فائدة تذكر، سأحتفظ بها، وتابعت تقول: صحيح أنها لم تكسر، لكن هذا لا يعني أبداً أنني سأرميها.

ابتسمت إيمى قائلة: حسنا، احتفظي بها بما أن لا أحد يجرك على التخلّي عنها، دعونا نرجع إلى البيت الآن.

لم ينم السكان الليل، ولم يناموا النهار كذلك، كان كل شيء عاديا بالنسبة إليهم عدا أنهم كانوا متأسفين لأن إيستارا لم تحصل على أية ألماسات أو جواهر.

قبل الظهيرة اتجهت إيستارا إلى بيت باروانا وكانت هذه الأخيرة تطعم في الدجاجات.

قبلتها إيستارا وقالت: كيف حالك يا أمي؟

- بخير يا حلوي البديعة، هل تمكنت من تحطيم الملعوبات؟

- أينقت أن تحطيمها ليس سهلاً أبداً، حاول الجميع أن يكسرها دون جدوى، لذلك خبأتها في غرفتي مع بعض الأشياء الجميلة الخاصة بي.

قالت باروانا: هل يمكنك إحضارها حتى ألقى عليها نظرة يا ابنتي؟

- بالطبع يا أمي، يمكنك حتى أخذها.

مرت فترة قصيرة وعادت إيستارا إلى باروانا وهي تحمل الملعوبات الثلاثة بين يديها، أرتكم لباروانا فقالت هذه الأخيرة بدهشة كبيرة: كما توقعت تماماً، إنها هي!

قالت إيستارا: أمّا، ماذا تعنين بكلامك هذا؟

أجابت باروانا قائلة: للأسف، هذه الملعوبات لن تنكسر يا ابنتي، والموضوع شائك

نوعاً ما.

قالت إيسستارا: لم أفهم، كيف لا تنكسر وهي مكعبات طينية، وما الفائدة منها في هذه الحالة؟

قالت باروانا: أخبرتك أن الموضوع معقد جداً يا ابنتي، انسى الأمر رجاء. بعد ذلك تبادلنا أطراف الحديث قليلاً، وبعد فترة وجيزة التحقت بهما جوساي.

ما إن رأت باروانا جوساي وهي قادمة نحوهما حتى استوت واقفة لتعانق جوساي بحرارة وهي تقول: صغيرتي جوساي، كيف حالك؟ يبدو أنك لم تشتققي إليّ كثيراً هذه المرة؟

قالت جوساي: اشتقت إليك كثيراً، لكن إيسستارا ثبّقيني معها طول الوقت.

الفصل السادس: اللصوص الثلاثة

"أن تفعل الشيء النافع، أن تقول الشيء المشجع، أن تبني الشيء الجميل: هذا

يكفي لحياة شخص واحد."

توماس ستيرنر إليوت

أيام قليلة، وتعافي الببر الأبيض الذي أحضرته الفتاتان من الغابة، وصارتا تلعبان معه، وكذلك الأطفال الآخرون وكأنهم يعتمدون فرصة اللعب معه في هذه الأيام قبل إعادته إلى الغابة التي تكون موطنها، ولا بد من إرجاعه إليها ليواصل عيشه بأية طريقة، لأن البقاء على قيد الحياة، والصراع من أجلها لا يحتاج إلا للقوّة في عالم مثل ذاك.

كان الكل مستمتعاً، لكن في بعض الأحيان، هناك من يضحي بسعادتنا من أجل شيءٍ فانِ، قد يكون هذا بسبب شخص الإنسان، أو قد يكون بسبب أفكار مظلمة تغطي سبيل السعادة الحقيقية، والتي لا تكون إلا عندما نفرح لفرح إخوتنا، نُسعد سعادتهم، ونحزن لحزنهم و نتألم لألمهم.

كانت هذه الأفكار تراود بال عم إيستارا المدعو كاياجي. كان هذا الأخير يخفي خلف ابتسامته المصطنعة جشعًا لا مثيل له وطمعًا لا نهاية له، بالرغم من أنه في بعض الأحيان يكون شخصاً ريقاً، أما جشعه وطمعه فلم يكن يعلم أي أحد من أقاربه إلى أي حد يمكن لهم أن يتوقفا عنده.

بعد أن أُسْدِلَت ستائر الطمع على نوافذ قلبه، لم يعد يأبه إلا لكيفية تحقيق مراده، لذلك قرر أن يسرق الببر الأبيض بأي ثمن ليبيع فروه الناعم والنادر، دون أن يبدي أي اهتمام لمشاعر الأطفال الذين تعلقوا بذلك الببر، ولم يفكر ولو لوهلة أنه سيكسر مرآيا الفرح والسعادة التي تغمرهم، والتي ما كانت سوى انعكاس وجود الببر الأبيض قربهم وهو

يجري معهم ويتقلب فوق الأرض بين الحين والآخر.

لم ينتظر كاياجي كثيراً ليذهب إلى جوار المسبح الذي يجلبون منه المياه، وهناك التقى بأحد الرجال، ليناقش معه خطة سرقة الببر، دون أن يعلم أي شخص - على الأقل هذا في نظره - ودون أن يشك في أمره أحد، وبعد مناقشة الخطة بكل صغيرة وكبيرة افترق الرجالان، ثم ملأ كاياجي قربة المياه، وهم بالعودة إلى منزله.

لم يكن الاثنين فقط هما من علما بالخطة، بل كان هناك شخص ثالث، وهو كونايشي ابن غايد الذي تبع عمه إلى النبع، واحتسى بين الأشجار وسمع الحديث الذي دار بين الرجلين.

قال في سرّه: لم أخطئ البتة عندما قررت اتباع هذا الجشع الطماع، وأمرّ جيد أني عرفت خطته، لحظات وخرج من بين تلك الأشجار، وسلك درباً آخر للعودة، وهو يقول في سرّه: سأفضحه.

أثناء العودة، صادف كاياجي ثلاثة شبان، لهم نفس الطول ولهم نفس البنية الجسدية، لكن ليس نفس رجاحة العقل. الأول ريوكساي، كان الأذكي، والثاني ريوفراري وهو ليس بالذكي، ولا بالغبي، أما الثالث فيدعى ريوكاي، وطبعاً صفتة الصفة المتبقية.

كانوا ثلاثة شبان إن لم تتوفر الأسباب المواتية لهم يكونون صالحين، وإن توفرت الأسباب ليكونوا سيئين، فلا يمانعون. بمعنى آخر، إذا كانت ظروف السرقة مواتية، يسرقون، وإن كانت السرقة تشكل خطراً عليهم، لا يقتربون.

ما إن رآهم كاياجي حتى قال في نفسه: يا لحسن الحظ، كنت أبحث عنهم وها هم آتون نحوي، هل هذا يوم سعدي يا ترى؟

قال: السلام عليكم، كيف حالكم؟

رد ريوفراري: كيف حالك أنت؟ فنحن في نعمة، نبصر، نمشي، نسمع، نتكلم، لا

ينقصنا أي شيء، لكننا لا نمانع زيادة الخير.

- بالتكلم عن الخير، هل سمعتم أن هناك بيراً أيضاً في هذه القرية؟ وتابع: المنزل المنعزل، داخل الإسطبل.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، وقال ريوكي: يعني أن الخير متوفّر يا أصدقاء، ليقول ريوفراي: متوفّر، لكن من السباق!

قال كاياجي: إن كنتم تريدون أن تكون سباقين، فليس لدى مانع، لكن بشرط واحد وهو أن نتقاسم الغنيمة إن نجحت الخطة.

هنا تكلم ريوكسي، وكان هادئاً جداً ونادراً ما يتكلّم. قال: دلّنا على خطتك إذن يا كاياجي، فرو البيور غالى الثمن، لذلك هل لديك خطة محكمة لسرقة الببر دون أن ينتبه إلينا أحد ودون أن يشك في أمرنا أحد؟

- الببر في الإسطبل، والإسطبل لا تستطيع فتح بابه الحيوانات، لكن ليس البشر، لذلك أظن أن البساطة تكفي، يُسرق والناس نيام، بعد تخديره طبعاً.

قال ريوكسي: أفهم أنه بعد الغروب بنحو ثلاثة ساعات يمكن أن تتم سرقته. رد كاياجي: إلا إن كان لك رأي آخر؟ قال ريوفراي: الذي لا أفهمه هو لماذا لم تحاول سرقته يا كاياجي وقررت إخبارنا؟

أجاب ريوكسي: إن حدث واكتُشفَ أنه هو السارق، فكر كيف يتنهى به الأمر، فضيحة كبيرة تشوّه سمعته الطيبة أمام أقاربه.

اتجه كاياجي مباشرةً عند أخيه غايد الذي كان جالساً بالقرب من منزله، وما إن رأى هذا الأخير كاياجي مقبلاً نحوه حتى قام من مكانه وقال لأخيه: هل حصل معك مكروه يا كاياجي، ما بك تهروء؟

- لا، لم يحدث شيء، لكن أظن أنه علي أن أقول لك شيئاً لتتخذ قراراً بشأنه في

أسرع وقت، وإنما سوف يحدث عما قريب أمر سيئ.

استغرب غايد كلام أخيه وقال: لم أفهم ما ترمي إليه من خلال كلامك هذا، رجاء،
هلا وضحت لي قليلاً، علني أفهم؟

- ذهبت إلى النبع كي أملأ قربة الماء، لكن قبل أن أصل سمعت صوت رجال من خلف الأشجار يتكلمون، فاقتربت حتى أعلم ماذا يجري، وبينما كنت أسترق في السمع علمت أنهم يضعون خطة لسرقة الببر الأبيض، وهذا حتى يبيعوا فروه، وكما تعلم، فرو مثل ذاك غالى الثمن ولا عجب من محاولة أشخاص ما سرقته، لذلك أتيت أخبرك مباشرة. ظهرت علامات التعجب على وجه غايد، لكنه محب عن حمایه كل علامات الاستغراب. قال: شكرنا لك يا كاياجي، سأنظر كيف نمنع حدوث هذا، وشكرا جزيلا لك مجددا.

ردّ كاياجي: العفو يا أخي، العفو، واتجه إلى منزله.

عاد ابن غايد إلى المنزل، وأخبر أباه بما كان يخطط له عممه، وقصّ على مسامع أبيه كل الحديث الذي جرى بين عمّه كاياجي وأحد الرجال.

لحظات وقال غايد: لقد ظن أنه ذكي بما فيه الكفاية. شركت في أمره عندما أخبرني أنه عاد مباشرة، بعد أن علم أن هناك رجالاً يخططون لسرقة الببر، ولو عاد مباشرة ما كان ليملأ قربة الماء، لذلك استعد يا بني لمراقبة عمك، إياك أن يخرج من منزله دون أن تبلغني. قال كونايشي: حاضر يا أبي، سأراقبه عن كثب دون أن أتحسّس عليه.

الفصل السابع: محاولة سرقة الببر الأبيض

"أحياناً، يتوجب عليك السفر بعيداً للعثور على ما هو قريب."

باولو كويلو

انطلق الثلاثة ليجلسوا قرب النبع، ويستريحوا وسط الأجراء الرائعة المرحة للقلب. قال ريوكاي: قرية رائعة.

ليقول ريوفراي: دعنا نفكّر. فجأة قال: تذكرت أن أمك كانت تنتمي لتلك الجماعة، جماعة السر الأسود، أمر مؤسف.

قال ريوكاي: المهم هو أنها اسلخت عنها وكل البشر يخطئون، أنسىت أن أمك كانت صديقة لأمي؟

لحظات وقال ريوكساي: أصمتا، فأمي كانت تنتمي إلى تلك الجماعة كذلك!

قال ريوفراي: مستحيل.

- للأسف، هذه هي الحقيقة، وخالي بيلاس وخالي شيروسكا كانتا تنفذان أوامرها. صمت ريوفراي، ليقول ريوكاي: أليس من عجيب الأقدار أن أمي اسمها بيلاس، وأم ريوفراي اسمها شيروسكا!

انفجر كل من ريوكساي وريوفراي ضاحكين، ولم يتبه ريوكاي حتى قال ريوفراي: إنه يتحدث عن أمي وأمك أيها الأحمق!

قال ريوفراي مخاطباً ريوكساي: أحقاً أن أمك كانت تنتمي إلى تلك الجماعة؟ أجاب ريوكساي: المصيبة هي أنني أرجح أنها لم تنسليخ عن تلك الجماعة حتى الآن، دعنا من الموضوع، فذلك العالم له أناسه.

قال ريوكاي: سنصبح أثرياء، بيع فرو الببر الأبيض سنتهي من حياة المؤس التي نعيشها.

رد ريوفراري: إنني في أشد الشوق لوصول تلك اللحظة.

وهنا قال ريوكاي: لكن أية لحظة، لحظة سرقة الببر، أم لحظة يبعنا الفرو؟

ابتسم ريوفراري قائلاً: أحياناً أحترار كيف تكون صديقنا، لكن لا نستطيع أن نتركك.

بالطبع أنتظر اللحظة التي تصبح فيها القطع الذهبية بين أيدينا، ثم نظر إلى ريوكساي الذي كان صامتا طوال الوقت وقال: ما رأيك، فأنت لم تتكلّم إلا قليلاً مذ ذهب كاياجي؟

بدل أن يتكلّم ريوكساي قال ريوكاي: دعه، لا بد أنه يفكّر في ما سيفعله بالقطع الذهبية ما إن تصبح رهينة في يديه.

- أجل معك حق، إنه ينتظر أن تنقلب حياته، وتنتعلّم معالم الفقر منها، لربما نسج قصراً كبيراً من الأحلام في مخيلته، وتتابع قائلاً: حتى أنه يمكنك أن تتصرّف كبر الأحلام التي ينسجها.

هنا استوى ريوكساي واقفاً وقال: سأبني قصراً جميلاً به ساحة كبيرة، وأضع في وسطه حديقة رائعة ونافير مياه، كذلك إسطبلاً كبيراً للأحصنة و... فجأة قال: يا لكم من غبيان وأخرقان.

احترار أصحابه في كلامه، لم يفهم شيئاً، فقال ريوفراري: كل الذي قلته صحيح، قبل أن تقول أننا غبيان وأخرقان، لم أفهم ماذا دهاك يا صديقي؟

جلس ريوكساي من جديد، وقال: تعالى إلى هنا رجاء فهناك ما يجب أن أفهمه لكم بما أنكم لم تفهموا.

رد عليه ريوكاي قائلاً: ما الضير لو تكلمت من هناك؟ فرد بنبرة صوت حازمة: قلت لكم اقتربا مني، فاقتربوا ولا تناقشا، هيا تعالى.

اقرب الاثنين من ريوكساي، ليقول هذا الأخير: اسماعي جيداً، نحن نعلم أن كاياجي

طمع وجشع إلى درجة كبيرة، ولو فكرنا من هذا المنظور، لوجدنا أنه يريد كل النقود له وحده، دون أن تكون لنا قطعة واحدة، لذلك أرى أنه يحيك لنا أمراً ليوقع بنا في الفخ، وله خطة أخرى ليسرق بها الببر الأبيض ويصبح المال ملكه وحده. الآن، ما رأيكما، هل ظفي في محله؟

احتار الاثنان، حتى أنهم خافا قليلاً عندما قال أن كاياجي قد يكون وضع خطة ليوقع بهم من جهة، ويكونوا قد قدّموا مساعدة له دون أن يعلموا، هذا من جهة ثانية، فقال ريوفراي: معك حق في الذي قلته، أرى أن ننسحب مباشرة.

قال ريوكاي: نعم، يجب أن ننسحب، صحيح أننا نريد أن نكون أثرياء، لكن لا نريد أن نقع في مكيدة لا يحمد عقباها، لنعد ونخيا حياتنا، صحيح أننا فقراء لكن ماذا سنفعل؟ ثم قال: أظن أنه يجدر بنا أن نصبح صالحين، هذا جيد، فحياة السرقة هذه لقد مللتها، وأصدقكم، لا أريد أن أكون من الأشرار، لنعد أدراجنا ولندع ذلك المحتال وحده ليوضح أمره.

قام كل من ريوفراي وريوكاى، في انتظار أن يقوم ريوكساى ليعودوا أدراجهم، لكن ريوكساى قال: اجلسا، سنصبح صالحين بعد أن نصير أثرياء، سيكون هذا رائعًا للغاية! فرح الاثنان كثيراً وقال ريوكاي في نفسه: لا بأس إن كان عملنا هذا عملاً شريراً، لأنه سيكون الأخير، بعدها نقل عن السرقة إلى الأبد ونصبح صالحين.

قال ريوكساى: اسمعاني جيداً، هناك خطوة، لكن يجب تفويتها بحذر شديد دون أية أخطاء، خطأً واحداً، يجعلنا فريسة سهلة في قبضة غايد والآخرين. قبل ذلك، هناك شيء يجب على اثنان منا القيام به، فمن يوافق على إنجاز هذا العمل معى؟

قال ريوكاي: هل يجب علينا القيام بهذا العمل الآن، أم ننتظر ريشما يحين الظلام؟ قال ريوفراي: أصمت رجاء ولا تتكلّم مرة أخرى. ثم نظر إلى ريوكساى قائلاً: أخبرني

عن هذا العمل ولنbadر به الآن إن استلزم الأمر، أما ريوكاي، فبقي يرميهم بنظرات متقطعة بين الفينة والأخرى.

- جيد أنك أنت من سينجز معي العمل بدلاً من هذا الغبي، لكنه سيقدم لنا مساعدة كبيرة، في الأخير هو صديقنا ويجب عليه تقديم يد العون لنا، متى احتجناها منه.
أقبل الغبي نحوهما وقال: هذا مؤكّد وبكل سرور، أطلب فقط، لن أرفض لك أي طلب. أشار ريوكساي إلى ريوفراي، وانهارا على ريوكاي بالضرب الشديد، وهو يقول: مهلاً، ماذا تفعلان؟ دعاني، دعاني، ما هذا المزاح؟... لكنهما لم يتوقفا حتى نزف أنفه وسقط أرضاً، حتى حسب الاثنين أنه قد أغمي عليه، فبدئاً يرشانه بالمياه.

قال ريوكساي: انتهينا من العمل الآن، وشكراً جزيلاً على مساعدتك يا ريوكاي.

- أي عمل وأية مساعدة؟ أنتما لستما صديقان أبداً، هل لأنّي قليل الفهم وجبان بعض الشيء قمتما بضربي بهذه الطريقة دون رحمة ودون شفقة؟
ابتسم ريوكساي في وجه ريوفراي وقال: حقاً إنه قليل الفهم.

نظر إلى الشمس، وإنّها تلقي تحية الوداع، فقال: شيء جميل أن تغرب الشمس الآن. قال لريوكاي: الآن ستذهب إلى منزل غايد، وتطرق بابه كأنك عابر سبيل، وبعد ذلك سيسألك عن ما جرى لك، فقل له إنك كنت مأشياً من هنا فجأة اعترض طريقك ثلاثة رجال وانهالوا عليك بالضرب دون أن تعرف السبب، وهذا لأنك كنت ماراً بجوار المنزل المنعزل، بعدها هربت إلى منزله، لأنّه المنزل الأول الذي صادفته في طريقك بعد أن هربت منهم، هل فهمت ما قلته لك؟

- أجل، لكن ما الهدف من كل هذا، فنحن سنقوم بالسرقة قبيل منتصف الليل بقليل وأنت تقول الآن.

- بهذا العمل سيتركك غايد في منزله، ويسرع إلى الإسطبل، أما نحن فنكون قد سرقنا

الببر، فهم لا يتوقعون أن تكون السرقة بعد الغروب بوقت قصير، كذلك، فما إن يخرج غايد من المنزل ويبدأ بمناداة الآخرين حتى تخرج مسرعاً للتقي في الضفة الأخرى من النبع ونرحل.

قال ريوكاي وهو يكبح غضبه: لماذا لا نسرقه ثلاثتنا دون أن يفترق أحدهنا عن الآخرين؟

- أحمق، نريد أن نوقع كاياجي في فخه، من المختتم أنه متفق مسيقاً مع شخص آخر، إذا كان هذا الفرض صحيحاً فإنهم قد يمسكون بذلك الشخص، وسيعترف أنه أتى للسرقة وأن كاياجي هو من حرضه على السرقة، عصافورين بحجر واحد، هكذا سينال كاياجي عقاب طمعه، أما نحن فنكون قد هربنا ولا سبيل لهم للاحقتنا.

كان غايد أوصى ابنه أن يراقب عمه كاياجي في كل لحظة عن كثب وأن لا يدعه يبتعد عن ناظريه، ولم يخبر إباهي بأي شيء، حتى لا يقللها، وترك الأمور تسير كما هي. ذهب الغبي إلى منزل غايد، وهو في تلك الحالة. طرق الباب بشدة، فخرج غايد، ليجده أمام عتبة المنزل وهو يبدو في حالة يرثى لها، ويستحيل أن يراه شخص في تلك الحالة ولا يشفع عليه، فأدخله غايد إلى المنزل مباشرةً، وقام بمساعدته، وطلب من زوجته أن تحضر له بعض الطعام دون أن يسأله أبداً عما جرى له ليصبح في هذه الحالة.

كان غايد شخصاً مؤدباً جداً، فقد انتظر حتى أنهى ريوكاي تناول الطعام، وبعد فترة قصيرة سأله عما حصل له، خاصةً أنه ليس من قريتهم كما يوحي مظهره، وقال: بني كيف حصل لك هذا، ومن أين تقبل، وإلى أين تذهب؟

قال ريوكاي في سره: لقد كان إنساناً رحيمًا معه وقدم لي يد المساعدة، حتى أنه لم يسألني عما حصل لي حتى استعدت عافيتي وبحد بي الآن أن لا أخفى الحقيقة عنه، وإنما سأكون شخصاً لئاماً جداً، ليس في نظري فقط بل حتى في نظر نفسي، وهو أن يقول

لغайд كيف حدث كل شيء، قبل أن يسمع صفير صديقيه، فغير رأيه تماماً، وقال في نفسه: بعد هذه المرة سنصبح صالحين، ثم قال لغайд ما أوصاه ريوكساي أن يقوله، لم يزد ولم ينقص.

خرج غايد مسرعاً وهو يقول: ماذا سأقول لإيستارا إن سرق البر؟ وبدأ ينادي على جيرانه الذين خرجوا مسرعين، أما ريوكاي، فقد خرج مباشرة قاصداً مكان النبع ليلتقي بصديقيه، ويرحلوا بعدها والبر الأبيض في حوزتهم.

خرج الجيران واتجهوا مباشرة إلى منزل إيمي ليروا إن كان لا يزال البر هناك معهم، فتحت إيمي الباب ورأت إخوة زوجها والأقارب كلهم أمام الباب، فقالت مندهشة: ما هذا الذي يحدث؟. ثم نظرت إلى غايد بعيون تملئها الحيرة والكثير من التساؤلات وقالت: ما هذا الذي يحدث يا غايد ولم كلّكم هنا؟ وخرجت الجدة ياريكا وكل من إيستارا وجوساي، وهن مندهشات.

قال غايد: لقد... وفجأة سمع ابنه كونايشي الذي كان قد أمره أن يراقب كاياجي آتيا وهو يصرخ بأعلى صوته: أسرع يا أبي، أسرع، فلم يردد غايد على سؤال إيمي واتجه نحو ابنه وقال: ماذا هناك يا بني؟

- لقد سُرق البر الأبيض، أظن أن السارق ذهب باتجاه النهر وهو حامل مشعلاً بيده.

- شكرًا لك يا بني، أبقى هنا الآن. ذهب غايد والآخرون في اتجاه النبع، وكان كل شخص منهم يحمل مشعلاً في يده، ينير به تلك الدروب المظلمة التي تمتلئ بالحصى والحجارة، خصوصاً قرب النبع.

التقى الثلاثة عند ضفة النهر وقال ريوكاي: أين البر، لا تقولا أنكم خبائث، وفي الصبح إن طال عمرنا نأخذه ونسى القرية؟

نظر ريوفراري إليه بجفون ذابلة وكان مأساة حلت به وقال: لقد خدعنا ذلك الطماع، البير لم يكن في الإسطبل بتاتاً، وربما كان في مكان آخر لم يكن يعلم إلا أهل القرية. قال ريوكساي: دعونا لنذهب الآن.

لحظات فقط سمعوا صوت سقوط وكان شخصاً تعثر وسقط أرضاً، ليجدوا البير أمامهم، والشخص ذاك على الأرض.

كان جلياً أن تعثره كان قوياً، من خلال شده على ركبته وضغطه عليها. أسرع ريووكاي حاملاً البير الضعيف بين يديه ثم أخذ يمسح على فروه الناعم وهو يرقص من شدة الفرح قائلاً لصاحبيه بنبرة تملأها البهجة: نحن أثرياء، نحن أثرياء...

قال ريووكاي: هيا بنا نرحل ولا نضيع الوقت، لنذهب، فجأة سمعوا شخصاً يقول: إلى أين؟. فضرب ريووكاي ذلك الشخص الذي كان على الأرض برجله على بطنه، وقال: أنت على الأرض وركبتك تؤملك، لا يحق لك سوى التألم، وذهبوا مباشراً.

حكى كونايشي ما كان يجري لإيمي وتفقدوا البير مباشرةً ليجدوا أنه سرق حقاً، وقالت إيمي: لن أسامح ذلك الطماع أبداً، قبل أن يقول لها كونايши: إنه أذكي مما ظننا فهو لم يسرق البير، وكانت أقوم بمراقبته، لم يخرج من منزله أبداً، لذلك ليست لدينا أي حجة ضده للأسف، يجب أن نتمنى أن يسترجع أبي والآخرون البير سالماً، وبعدها ننظر في أمر ذلك الجشع.

أما إيستارا وجوساي، فكانتا جد حزينتين، وبدأتا بكستان دون توقف، لولا المعاشرة من روسيات التي كانت تقول: هل تظنن أن غايد سيسمح للدموع أن تطول لوقت أطول، امسحا دموعكم، سيسترجع البير عما قريب إن شاء الله.

وصل غايد وإخوته إلى النهر، لم يجدوا شيئاً، وهذا بعد أن فتشوا المكان جيداً. عادوا أدراجهم، والفرق الوحيد هو أن عددهم زاد بشخص واحد، وهو ذلك الشخص الذي

سرق الببر، أي الشخص الذي كلمه كایاجی، كان أسيراً بين أيديهم، واعترف لهم بكل شيء، وأخذوه كي يكون شاهداً على أن كایاجی هو الرأس المدبر، لكن غايد أطلق سراحه في منتصف الطريق، وقال: دعوه يذهب، فربما هذا العمل الجميل سيساعدنا في إيجاد الببر.

قال أحد أبناء إخوته: كيف تطلق سراحه؟ سيكون شاهداً على ما دبره كایاجی. فردد غايد: دع أمره لله يا بني.

أخذ الثلاثة الببر معهم وانطلقوا، لكن في منتصف الطريق قال ريوکسای: يجب أن نعيده فهذا لا يجوز بتاتاً، وإذا أردنا أن نصبح صالحين، فيجب أن نحاول تغيير أخطاء الماضي إن استطعنا، وليس تغيير حاضرنا ومستقبلنا، لا أن نفعل الأشياء السيئة ثم نصبح صالحين.

اندهش ریوفرای وریوکای وظننا أنه يمزح وأكملأ طريقهما، فقال مجدداً: لا يهمني إن أخذته منكما بالقوة، قررت أن نعيده.

قال ریوکای: أنت تمزح، كنت وراء خطة السرقة والآن تقول أن علينا إعادته، ماذا جرى لك يا صديقي، دعنا نصبح أثرياء صالحين.

فجأة قال ریوفرای: لا، نكون فقراء صالحين خير، هيا لإرجاعه. فقال ریوکای: أسرح بكما أم ماذ؟

لحظات وأمسكه ریوکسای من أذنه وقال: اتبعنا الآن أيها الغبي.
- حسنا اترك أذني أرجوك، لقد آلتني، سترجعه فهذا أفضل. فترك أذنه وعادوا إلى القرية في وقت متأخر، ليروا الفتاة جالسة عند الباب تبكي، وقال ریوکسای: أرأيتما فعلتنا وما سببناه لتلك الفتاة البريئة.

قال ریوکای: يا ويحنا، إنها إيستارا... سيقتلنا لونفيرو!! ليقول ریوکسای: سيسامحنا.

فجأة قال ريوفراري مخاطباً ريوكاي: هل تعرفها؟

قال: طبعاً أعرفها، إنها ابنة أخي غايد، سمعته وهو يقول ماذا سأقول لإيستارا إن سرق البر، وماذا ستقول، ستقول عمي لم يستطع إنقاذ البر!

نظر الاثنان إليه وقال ريوفراري: يا لك من ذكي !!

قال ريوكاي: بل أنت الأبله يا ريوفراري، وفجأة لامست بندقية رأس ريوكاي الذي كان لا يزال يحمل البر الأبيض بين ذراعيه.

كان حامل البنادقية غايد، وقال للثلاثة: إياكم والتحرك، ثم نادى إيستارا التي ما إن رأت البر بين ذراعي ريوكاي حتى هرعت إليه والفرحة الغامرة تملئها، وفي اللحظة التي كانت فيها البنادقية جارة لرأس ريوكاي قال لريوكساي: أرجوك قل له أن لا يقتلنا، سنصبح صالحين، قل له فقط أن يدعنا وشأننا، فأجابه ريوكاي قائلاً: في هذه اللحظات، فمن أن يكون غايد صالحًا ويدعنا وشأننا، بعدها نصبح نحن صالحين.

وصلت إيستارا، وسلمها ريوكاي البر قائلاً: نحن آسفون... ها هو ببرك الأبيض الجميل يا نيماسيولة لونفيرو الصغيرة، ونحن آسفون مجدداً.

حملت إيستارا البر بلطف وقالت: لا عليكم، لكن لا ترتكبوا مثل هذا العمل السيء مجدداً.

لحظات واستفاق البر، بعد أن كان الرجل الذي كلمه كاياجي أولاً، قد خدر البر، لكن المخدر لم يكن قوياً.

قال غايد: والآن ستتالون عقابكم على ما فعلتموه، لكن إيستارا قالت: لا يا عمي، دعهم وشأنهم، لو أرادوا سرقته لما عادوا به إلى هنا.

- أنت لا تزالين صغيرة يا ابني، وإنما لكنت علمت أنهم أضاعوا الطريق فقرروا العودة من هذا الطريق قبل أن نقبض عليهم.

قال ريوكساي: أشعر بالغرابة تجاه قوله يا غايد، أليس لديك أي حسن ظن تجاه
نوايانا؟

- لا تحاول أن تتذاكى معي يا هذا، أرسلت صديقك الغي ليقول أن السارقين قاموا
بضريه، كذبتم من قبل فكيف أصدقكم الآن؟
- أشعرتني بغرابة أكثر، صدّقتنا عندما كنا نكذب، وكذبتنا عندما قلنا الصدق. وهنا
تركـت إـيـسـتـارـاـ الـبـرـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـاتـجـهـتـ نـحـوـ عـمـهاـ وـهـيـ تـمـسـكـ بـالـبـنـدـقـيـةـ وـتـقـولـ:ـ أـنـزـلـهـاـ يـاـ
عـمـ،ـ أـنـزـلـهـاـ وـدـعـهـمـ وـشـأـنـهـمـ،ـ سـتـرـتـكـبـ خـطـئـاـ كـبـيرـاـ إـنـ قـتـلـنـهـمـ أوـ آذـيـتـهـمـ.
وـهـكـذـاـ أـخـلـىـ غـاـيـدـ سـبـيلـهـمـ.

الفصل الثامن: قرية دانجيه

" حيث تسود الحكمة، لا يوجد تعارض بين التفكير و الشعور. "

كارل غوستاف يونغ

عادت كوريسي وزوجها مالفي إلى منزلم الذي يقع في إحدى القرى المجاورة، هذا لأنّه ما يلزم معهم من مال للذهاب عند الحكيم الذي تردد الكلام حوله أنه من أربع الحكماء في الطب، واسمـه جايـري واـير، ويقطـن مؤخـراً في قـرية تـدعـى دورـيـاسـاك.

بعد أخذ ما يلزمـهم من المـال والـزاد، خـرجـا في الصـبـاح الـبـاـكـر واستـأـجـر مـالـفـي شـخـصـاً كـي يـوصـلـهـم بـعـرـبة إـلـى قـرـيـة دـانـجـيـهـ، الـتـي كـانـت تـقـع قـبـل قـرـيـة دورـيـاسـاكـ. وـصـلـا إـلـى دـانـجـيـهـ قـبـل غـرـوب الشـمـسـ، وـبـقـي عـلـيـهـمـا السـيـر عـلـى الأـقـدـامـ، واستـئـجـار بـيـتـهـ لـلـمـيـتـ فـيـهـ.

قالـتـ كـوريـسـيـ مـالـفـيـ: لا بدـ أنـ اـبـنـتـنا جـدـ مـسـرـوـرـةـ مـعـ إـيـسـتـارـاـ بالـلـعـبـ وـالـمـرحـ، فـإـيـسـتـارـاـ فـتـاةـ لـا تـعـبـ أـبـداـ وـلـوـ وـجـدـتـ كـيـفـ تـبـقـيـ تـلـعـبـ طـوـلـ حـيـاتـهـ لـفـعـلـتـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ

- أـجـلـ، مـعـكـ حـقـ، لـكـ أـلـاـ تـرـيـنـ أـنـهـاـ تـحـبـ المـغـامـرـةـ إـلـى درـجـةـ أـنـهـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـخـاطـرـ بـحـيـاتـهـاـ فـيـ سـبـيلـ أـنـ تـعـرـفـ شـيـئـاـ يـرـاـودـ فـكـرـهـاـ؟ـ

- أـوـفـقـكـ، لـكـ أـرـتـاحـ عـنـدـمـاـ أـتـذـكـرـ أـنـهـاـ دـوـمـاـ تـجـدـ طـرـيـقـةـ لـلـنـجـاحـ مـنـ أـيـ مـأـزـقـ يـوـاجـهـهـاـ، حـتـىـ أـنـهـاـ تـجـاـوـزـتـ بـطـرـيـقـةـ مـاـ غـيـابـ وـالـدـهـاـ.

تبـسـمـ مـالـفـيـ وـقـالـ: لـا شـكـ أـنـ إـيـمـيـ مـسـرـوـرـةـ بـرـؤـيـةـ أـمـهـاـ يـارـيـكـاـ وـهـيـ فـيـ صـحـةـ جـيـدةـ، خـصـوصـاـ بـعـدـ أـنـ تـعـافـتـ مـنـ مـرـضـهـاـ الـأـخـيـرـ.

- مـؤـكـدـ، وـهـذـا يـسـعـدـ إـيـمـيـ كـثـيـرـاـ، وـيـنـسـيـهـاـ القـصـةـ الـغـامـضـةـ لـاـخـتـفـاءـ زـوـجـهـاـ، وـأـنـتـ تـعـلـمـ أـنـاـ بـحـثـنـاـ عـنـ نـوـمـدـاـكـيـ طـوـيـلاـ وـلـمـ نـجـدـ لـهـ أـيـ أـثـرـ.

بـيـنـمـاـ هـمـاـ مـاـشـيـانـ، حـتـىـ قـالـتـ كـوريـسـيـ: عـنـدـمـاـ أـتـذـكـرـ أـنـ نـوـمـدـاـكـيـ لـمـ يـظـهـرـ مـنـذـ خـمـسـةـ

سنوات انقضت يُشق قلبي يا مالفي. بصراحة، أنا أظن أنه قد قضى نحبه، فحتى لو نظرنا إلى السبب الذي جعله يترك القصر في ذلك اليوم، بعد المشكل الذي جرى بينه وبين إيمي، لن يكون السبب كافياً ليبرر فترة غيابه الطويل، التي تجعل أحلام الفتى الصغير سقيمة وبراءة الأطفال شاحبة كشرنقة، سمعتُ كثيراً عن جمال الحياة ولما لمستها لوهلة تلاشى جمالها ورونقها، وإنى أكاد أجزم أن هناك شيئاً واحداً يجعل نومداكي يغيب هذه المدة الطويلة دون أن يعود إلينا، إنه الموت، ومع أنه لا ينطق، إلا أن غيابه الطويل جعل الموت يتكلم ليقول حقيقة نعلمها ولا نستطيع إدراك تفاصيلها حتى وإن ظهر قبره، أظنه قد مات يا مالفي.

وب مجرد أن تفوهت كوريسي بأن زوج اختها قد فارق الحياة حتى ألقت عليها الحياة سرابة حالكاً جسده الألم الذي تخلّى في عينيها وعصر تعابير وجهها من السعادة وأثنى من رباطة جأشها قليلاً، والتي كثيرة ما تتحلى بها عند الخوض في فاجعة اختها، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً، فقد سيطرت عليها الدموع المنهممة من عينيها والتي كانت تتغذى من حرقة قلبها على مأساة اختها إيمي، ولو لم يأخذ مالفي بيدها لكان ازداد حالمها سوءاً فنظر إليها قائلاً: يكفي هذا الآن يا كوريسي، تمالكني نفسك، سأكون أنا الضعيف وليس أنت إذا لم تستجعّي قوة صبرك، وقبل أن يسترسل مالفي في الكلام مجدداً حتى حلقت الابتسامة من شفتها لتعانق تعابيرها وتحتفي ذنوب الألم من وجهها.

تعالى السرور على قسمات مالفي وقال: لطالما كنت متيقناً أنني لم أخطئ الاختيار عندما اخترتكم.

قالت كوريسي: توقف يا مالفي، لقد أخجلتني، فلنعد إلى سياق حديثنا.

قال مالفي: حسناً، قد أوقفتك الرأي أنه من المحتمل أن يكون توفي، فقد مررت خمسة سنوات، وأقول هذا ليس من باب التشائم وإنما من المستحيل أن يكون قد ترك زوجته

وابنته ويرحل، فهو رجل حنون جداً ولا يمكن أن يفعل هذا بأي حال من الأحوال إلا إن كان قد قضى نحبه حقاً، خاصةً أنّ المشكّل الذي جرى بينه وبين إيمى لن يبلغ به لفعل أمر كهذا.

قالت كوريسي: جيد أني لم أزعجك، أو كنت قلت لك كلاماً يجعلك تغضب بشدة، هذا بالرغم من أنك هادئ طول الوقت.

قال مالفي: أزعجتني مرات كثيرة مذ تزوجتاك، ألا تذكري؟

- لست أذكر، لو فعلت لكن غضبتي على، وأنا لا أذكر أنك غضبتي على ولو مرة واحدة، لا تزال زوجاً مثالياً يا مالفي.

- لم أكن زوجاً مثالياً وإنما كنت صبوراً، كنت أصبر على كلّ الكلمة تقولينها وكلّ فعل غير صائب تقومين به، هذا كلّ ما في الأمر.

نظرت كوريسي إليه وقالت: أنظر إلي. وما إن نظر إليها حتى بدأت بالضحك وقالت: من أين أتيت بكل هذه الحكمة التي تنطق بها، فلم أعهدك هكذا!

- لم أكن أظهر عقريتي، هذا كل شيء، وإلا فالحكمة عندي تماماً مثل الغزل العفيف، كلامها يسريان في أعماقي بالفطرة.

لحظات وقال: قربك أكون طائراً ملقاً... لكن لن أريك موهبي الآن! ردّت كوريسي: إذا كنت ملقاً فلا تنظر إلي، وأدر بصرك، لأنني حينها سأرميك بسهم من سهام عيوني لتموت في السماء قبل وصولك للأرض!

- زوجة قاسية، أو تعلمين: أكرهك، أكرهك، ليس قليلاً فقط ولكن كثيراً، زوجة شريرة لا تعلم طريقة التكلم مع زوجها بلباقة، للأسف لا تعرفين أيّ كلام جميل حلوا المذاق، لذلك سأعطيك مثلاً. قلت لك أني قربك أكون طائراً ملقاً، ولو كنت ذكية لقلت: حلقت بجناحيك فطار قلبي إليك، لكن لا بأس، أنت تعلمين.

قالت كوريسي: كيف يطير قلبي وأنت كسرت جناحاه في الأرض؟!

قال مالفي: الآن ستبدأ الجدية. لتقول كوريسي: حسنا، بما أنك قلت حان وقت الجدية، لنبدأ ونرى من الأربع؟

- أعلم حق المعرفة أين الأربع، لكن سأعطيك فرصة، إن نجحت سنواصل، وإن فشلت سنترك الكلام حتى حين عودتنا.

قالت كوريسي: يمكنك البدء، أنت لا تعرفني، سأكسر غرورك.

طلع مالفي في عيون كوريسي، وقال: تحمّدت مياه البحر بنظرة من عينيك، ورسّت السفن بسمة عبرت من بين شفتيك.

قالت كوريسي: ياااه، رائع، أخيراً بعض الكلمات الرائعة، وهـمت أن ترـد، لكن مالفي نظر إليها وقال: خسرت حق الرـد، عندما تجمـدت البحار انزلقت السفن ولم ترسـ! لا تغـضـبي، تمنـي أن نعيش حتى عودتنا لتكون لك فرصة الرـد، هـيا ابتسـمي.

قالت كوريسي: أرجوك يا مالفي، إلا إذا كان ذلك كل ما تعرف.

- حسنا. لحظات وقالت كوريسي: والآن سـأـريك، أو لنقل سـأـعملـكـ كيف يكون الغـلـ العـفـيفـ!

قالـتـ: أنسـىـ الحـيـاةـ أمـ الحـيـاةـ تـنسـانـ؟ـ وجـودـكـ بـقـرـيـ أـينـ أـمسـانـ؟ـ بـصـرـيـ تـرـكـهـ أـمـ حـبـكـ أـعـمـانـ؟ـ هلـ حـبـكـ طـغـيـ عـلـىـ أـجـفـانـ؟ـ دـقـاتـ قـلـبـيـ تـرـشـدـكـ أـينـ تـلـقـانـيـ،ـ عـلـىـ عـجـلـ تـعـالـ كـيـ تـرـىـ أـلـوـانـ الـمـعـانـيـ وـتـغـرـقـ فـيـ بـحـارـ أـلـوـانـيـ،ـ ضـمـ قـلـبـيـ وـلـاـ ثـرـدـ أـحـلـامـيـ،ـ إـلاـ إـذـاـ كـنـتـ تـرـجوـ اـرـتقـاءـ آـلـامـيـ،ـ سـافـرـتـ عـلـىـ أـلـقـاـكـ،ـ حـتـىـ عـرـفـتـ أـيـ ضـعـتـ فـيـ عـيـنـاكـ،ـ لـكـنـهـ لـمـ يـقـلـ أـهـواـكـ،ـ حـتـىـ قـالـ القـلـبـ ضـاعـ الـمـسـكـينـ فـيـ مـحـيـاـكـ!

نظرـتـ كـوـرـيـسـيـ إـلـىـ مـالـفـيـ،ـ وـقـبـلـ أـنـ تـقـولـ أـيـةـ كـلـمـةـ قـالـ مـالـفـيـ:ـ أـهـذاـ كـلـ ماـ لـدـيـكـ؟ـ

قالـتـ:ـ أـجـلـ،ـ اـنـتـهـيـتـ،ـ يـمـكـنـكـ الـبـدـءـ،ـ أـمـ تـرـيدـ الـانـسـحـابـ؟ـ

- إذا انسحبت، أين تبقى مروءة الرجال؟ لا تُخجلني قلبي بربع أبياتك، فقد أنهى
في بسمة من بسماتك، لا تسحرني بباقة من كلماتك، أو تقتلني بسهام من نظراتك،
معنى الرمن تجھله أکوانی، في بحر من تھوانی، انتزعت فؤادي دون أن تؤذیني، أهدتني قلبها
فما بقي لتهديني، نثرت ورود الأنس حاولت تنسيني، أن الأنس قرب التي تکويني!
قالت کوريسي: يااااه... راقتني كلماتك.

مرّ الوقت ولم يشعرا بالجوع ولو للحظة، حتى بدأت الشمس بالغروب. قالت
کوريسي: علينا الآن أن نجد منزلًا يأويننا أو على الأقل أحدًا يؤجرنا مكانًا لنبيت فيه هذه
الليلة، فمن المستحيل أن ننام في العراء في هذا الجو البارد.

- لم أكن أعلم أن زوجتي ضعيفة، تخشى الأجواء الباردة، يعني لو كست الثلوج
هوراً يكأم، لن نلعب بالثلج.

ردت کوريسي: أنا لم أقل هذا لأنني خفت على نفسي من البرد بل لأن مرضك
الجلدي سيتفاقم في جو مثل هذا، ثم أردفت: إذا لم أقلق عليك، فمن سيقلق عليك؟!

- ما هذا الكلام العذب الذي تنتظرين به؟ لا أصدق أنك تفكرين في قبل أن تفكري
في نفسك!!

- أصمت ولا تحرجي!

لحظات قبل أن تلمح عيون مالفي بيتا صغيرا. قال لکوريسي: تعالى، سنطرق ذلك
الباب عسى يفتح لنا أهله ويتكرموا بآياتنا.

تقدّم الاثنين نحو الباب بخطوات ثابتة، ثم طرق مالفي ثلاثة مرات على الباب. مرّت
لحظات قليلة فقط ليفتح صبي في عمر الخامسة عشر الباب، وما إن هم مالفي بتکليمه
حتى أوصد ذاك الصبي الباب في وجهه دون أن ينطق بكلمة واحدة، فاستغرب مالفي من
سلوكه، وقال: عجبا لهذا الصبي؟ رفض الكلام معه دون أن يسأل ماذا أريد.

- لا تنزعج، فنحن غريبان عن هذه القرية وهذا من حقه، وقد يكون شعر بالخوف عندما رأانا، دعني، سأطرق أنا الباب وأحاول معه. طرقت كوريسيي مجددا على الباب، لتفتح هذه المرة امرأة في العقد الخامس من العمر. قالت بلهجة غليظة: ماذا تريдан؟
قالت كوريسيي: عذرا يا سيدي، لكننا نحتاج بعض المساعدة إن كنت لا تمانعين هذا طبعا. ثم تابعت كوريسيي تقول في سرها: ما بها ترمقنا بهذه النظرات الغربية؟
قالت العجوز: اعذراني، ليس لدى ما أساعدكم به، وأغلقت الباب مباشرة في وجهيهما دون أن تسمع منها كلمة واحدة هي الأخرى كذلك.
قالت كوريسيي: ماذا علينا الآن أن نفعل، بالكاد وجدنا هذا البيت، وكل المنازل الأخرى بعيدة، وأنا لم أعد قادرة على المشي.

- لا تقلقي، سنجد حلا بإذن الله، يجب أن نصبر فقط. تركا ذلك البيت ومشيا مسافة ليست بالطويلة، حتى التقى بشيخ كأنه في الستين من العمر، قصير القامة نسبيا، فسرا نحوه.

ألقى مالفي السلام عليه، وقال بصوت مهذب: هل لي أن أسألك يا عم؟
قال ذلك الشيخ بأدب: نعم، تفضل واسأل ما شئت يا بني.
قال مالفي: إني وزوجتي غريبان عن هذه القرية، والآن نبحث عن منزل يأويانا في هذه الليلة حتى ولو يأجر لنا أجرا للمبيت، لكننا لم نعرف طريق الوصول إلى المنازل الأخرى، فكما ترى المنطقة منطقة جبلية والظلمام يكاد يخيم على القرية، فهل لك أن تدلنا إن لم تمانع عن كيفية الوصول إلى تلك المنازل؟

- لا مشكلة يا بني، فمنزلي يقع بالقرب من تلك المنازل التي لم تعرفا طريق الوصول إليها، وإن شئتما تعاليا إلى منزلي، يمكنكم المكوث عندي.
قال مالفي: شكرا جزيلا لك، لقد صنعت لنا معرفا كبيرا، هذا فضل منك.

- العفو، فهذا من دواعي سروري، والمعروف إذا أحسنت ضيافتكم في منزلي المتواضع.

- ابتسم مالفي وزوجته وشكرا له لطفه، ليقول ذلك الشيخ: أدعى سادوي، وانتظراني هنا قليلا، سأعود عما قريب، ونذهب سوية.

ذهب سادوي باتجاه البيت الذي قصده مالفي وزوجته قبل لحظات قليلة، ليفتح له نفس الصبي، وهذا الأخير أغلق الباب بعد فترة قصيرة في وجه سادوي، جرى كل هذا على مرأى من مالفي وزوجته، فاحتارا من تلك المعاملة، أما سادوي فقد عاد بابتسامة بشوشة تعلو محياه. اتجه الثلاثة صوب تلك المنازل التي كانت تقع في منطقة جبلية تحفها الأشجار ولا يمكن أن يعرف طريق الوصول إليها إلا من كان يسكن هناك، خاصة وأن سواد الليل كان قد بدأ يغشى سماء تلك القرية.

قال سادوي: عذرنا على التأخير الذي سببته لكم قبل قليل، فرد عليه مالفي بأدب: أنت من يجب أن يعذرنا ولسنا نحن يا سيدي.

ابتسم سادوي قائلا: ألم تقصدوا هذا المنزل أم أنكم لم تمرا عليه؟. وكان يقصد البيت الذي احتار كل من مالفي وكوريسي من طريقة تصرف ساكنيه؟

قال مالفي: لا، لقد مررنا عليه، لكن في المرة الأولى فتح صبي لي الباب، وأغلقها بعد فترة قصيرة دون أن يسأل ماذا نريد، وفي المرة الثانية، طرقت زوجتي الباب، ففتحت امرأة في العقد الخامس على ما أظن وعندما سألناها إذا ما كانت تستطيع مساعدتنا قالت لا يوجد ما أسعادكم به، أغلقت الباب مباشرة في وجهينا. ليقول سادوي: أرجو أن لا تكونا قد ألقتما اللوم عليهم جراء ما فعلاه.

قال مالفي بحيرة: هل أفهم من كلامك أنهما لم يخططا في طريقة التعامل معنا؟ - طريقة المعاملة، كانت لتكون أفضل، لكن لا يمكن أن نقول أنها خطئه، الصبي يا

ابني أصمّ وأبكم، لذلك لم يرد عليكم، أما الأم فهي أرملة منذ حوالي عشرة سنين أو أكثر، وتعيش بكرم المحسنين، لذلك لم يكن بإمكانها تقديم المساعدة لكم.

قال مالفي: لكن لماذا لم تقل لنا على الأقل، فكما ترى، يبين بأننا ميسورا الحال. لي رد سادوي: الفقراء لا يسألون الناس، ولم تر أنكم ميسورا الحال لأنها لا تبصر يا بني.

تأسف كل من مالفي وزوجته على حال تلك المرأة وابنها، وقالت كوريسي: إننا قساة قلوب، دائمًا نفتقر إلى النظرة الرحيمة... لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال مالفي: لكن لماذا لم تسكن بالقرب منكم يا عم، وبذلك تحف معاناتها ولو قليلا من مصائب الحياة، فهذا كان ليخفف الكثير، أليس كذلك؟

- حاولنا معها كثيرا، لكنها كانت ترفض في كل مرة، وكل محاولاتنا لإقناعها كانت فاشلة للأسف، لم ترد أن تبرح بيتها.

قالت كوريسي: لا بد أن السبب الذي يجعلها متمسكة بقرارها، هو سرّ لا يمكنها البوح به.

قال مالفي: قبل فترة قصيرة كان لسانك شبه معقود والآن تتكلمين عن الأسرار التي تجعلنا نعيش حياة الألم والمعاناة.

وما هي إلا لحظات حتى استغرب مالفي وقال: عجبا، كيف وصلنا إلى هاته المنازل التي لم أكن أرى لها أي طريق واضح؟

رد سادوي: لكل مشكل حل، إذا لم نصل للحل فذاك راجع إلى ضعف عقولنا، وإذا وصلنا فاعلم أن الله وفقنا. ساروا بعد ذلك لفترة قصيرة، قبل أن يقول سادوي: هنا هو ذا منزلي، تقدما معي لنرتاح من هذا الجو البارد.

الفصل التاسع: الإبرة الموروثة

"كلّ شخص يريد أن يفهم الفنّ. لماذا لا نحاول أن نفهم أغنية طائر؟ لماذا نحبّ الليل،

الأزهار، كل شيء حولنا، دون محاولة فهمها؟ لكن في حالة الرسم، الأشخاص يظنون أنّ

عليهم أن يفهموا."

بابلو بيكاسو

طرق سادوي الباب لتفتح زوجته وهي تحمل قنديلاً في يدها، كانت تقارب عمر سادوي من خلال ملامحها، متوسطة القامة بيضاء البشرة، وما إن رأت مالفي وكوريسي حتى قالت: أرى أنه لدينا اليوم ضيف يا سادوي.

قال سادوي: إذن، ابدئي بحسن ضيافتك ودعينا نلجم، أم ستبقين واقفة عند الباب؟

ردت زوجته: دائماً على عادتك، ثم طلبت من الضيف أن يتفضلوا بالدخول.

قال سادوي: إنها زوجتي وتدعى آيريتني.

لحظات وقال سادوي: حسناً، اذهبي يا آيريتني وابدئي بتحضير طعام العشاء لضيوفنا.

قالت كوريسي: أرى أنك لن تمانعي يا أماه إن ساعدتك في تحضير الطعام.

قال سادوي: لم تتعلمي بعد يا ابنتي أن الضيوف عليهم أن يرثاوا فقط، اذهبوا وارثاوا في غرفة الاستقبال ربما يصبح العشاء جاهزاً، فلا أظن أنه سيستغرق وقتاً طويلاً. بعد أن أنهى الجميع عشاءه، ذهب سادوي ومالفي إلى إحدى الغرف ليتبادلاً أطراف الحديث قليلاً، في حين ذهبت كوريسي مع آيريتني حتى تحييء معها غرفة ينامان فيها.

قال سادوي: هذه هي الغرفة المفضلة لدى، كما ترى، هي واسعة جداً ولا يمكن سماع أي صوت إذا كنت داخلها، لأن سُمك جدرانها كبير نوعاً ما، لذلك أسميتها الغرفة الماءلة.

كانت غرفة فسيحة مفروشة بالحصير والزرابي، وجلس سادوي متكتها على وسادة وجانبه مالفي.

لحظات وقال سادوي: إنّ ابني هو من صممها، وهو من قام ببنائها كذلك، مع مساعدة بسيطة مني.

ليقول مالفي: أللديك ابن يا عمّاه؟

أجاب سادوي قائلاً: نعم، لدى ابن وحيد، وقد مضى على زواجه قرابة الأربع سنين. لحظات وقام سادوي ليأتي بفنجاني قهوة، ثم عاد وجلس بجانب مالفي وراح يقول: مرضت زوجته الأسبوع الماضي، ولم تبرح الفراش فذهب إلى أحد الحكماء في إحدى القرى المجاورة على هذا الأخير يصف لها علاجاً يجعلها تتماثل للشفاء، وزوجتي تعني بها هاته الأيام.

قال مالفي: لا تقل لي أنه قصد الحكيم المعروف جايري واير؟

ردّ سادوي: نعم، بالضبط يا بني، هل تعرفه؟

قال مالفي: الحمد لله أننا التقينا بك يا عمّاه. لا أعرفه، لكن أتيت وزوجتي من أجل أن يصف لي دواء، لأنني أعاني من مرض جلدي، ونحن بقصد الذهاب إليه.

- أفهم من كلامك أنك لا تعرف أين يسكن؟

قال مالفي: عرفنا أنّه بقرية تدعى دورياساك، أما طريق الوصول إليه فهو أن نسأل الناس حتى نختدي إلى موقع منزله.

قال سادوي: أرى أن تمكتنا هنا ريشما يعود ابني، وبعدها هو يدلّكما على موقع منزله وهكذا تتجنّبان عناء البحث عنه كثيراً، فنحن سمعنا أنه في قرية غير دورياساك.
- شكرًا، شكرًا جزيلاً لك، بهذا تكون قد نزعت عننا حملًا ثقيلاً.

تابع مالفي: هل لي أن أعلم متى يرجع ابنك يا عم؟

قال سادوي: غادر المنزل قبل أربعة أيام، ولا نعلم تحديداً متى سيعود، لكن لن يطيل الغياب، لذا ارتاحاً ريثما يعود، وهو من سيوصلكم إلى الحكيم إن شاء الله.

لحظات وقام سادوي قائلاً: علىي أن أصبحك على خير يا بنّي، ولا تتردد في طلب أي شيء إن احتجتما إليه، أتمنى لكم ليلة هنيئة وأحلاماً سعيدة.

كانت آيريتني وكوريسي قد رتبنا إحدى الغرف، ثم عادت آيريتني بعدما أصبحت هما على خير، وذهبت لتنام.

قالت كوريسي مخاطبة مالفي: يا لجمال هذه الغرفة، خصوصاً حاملات الشموع هذه في أركانها، إنها حقاً رائعة، ما أكرمهم؟

- أجل، فهم مضيافون حقاً، قلما يجد الإنسان مثلهم في هذه الحياة، حقاً أنساً طيبون، من الرائع أن نمكث هنا ريثما يرجع ابنهما.

- لدى سؤال يجول في خاطري يا مالفي. قالت: عندما قال سادوي أنه يمكننا المكوث في منزله لم وافتقت مباشرةً، ولم تضع في الحسبان احتمال أنه سيخدعنا؟

- أولاً قال يمكنكم المبيت في منزلي إن شئتما، أي أنه لم يجبرنا، أما الشيء الثاني الذي جعلني أطمئن إلى أن نوایاً صادقة، هو عندما طلب منا الانتظار قليلاً وذهب إلى ذلك البيت الذي قصدناه في المرة الأولى.

- لم أفهم كيف جعلك ذهابه إلى ذلك المنزل يشعرك بالطمأنينة وحسن نوایا، وكان في بالي أن أسألك لماذا ذهب لذلك البيت وعاد، وبعدها قلت في نفسي: لا بد أنه ذهب لكى يبين لنا أنهم لا يستقبلون أي أحد، وليس فقط الغرباء مثلنا.

- لا يا كوكوريسي، ما ظننته كان خاطئاً، فقد ذهب وأعطى كيساً من المال لذلك الطفل، ولم يرد أن نعرف ما فعل.

- لكن كيف عرفت أنه أعطى كيساً من المال لذلك الصبي يا مالفي، فأنا لم لاحظ أنه

أدخل أيا من يديه في جيب لباسه عندما فتح ذلك الصبي الباب له؟

- ما إن تمشي قليلا نحو ذلك البيت حتى سمعت صوت القطع في جيده، وما إن ذهب لذلك البيت وعاد حتى صرت لا أسمع صوت القطع، فعرفت أنه تصدق بها، وعن إدخال يده في جيده، لا بد أنها لم نلحظ ذلك.

- أنساء في نفسي الآن لماذا لم يجعلنا نعرف أنه سيتصدق لذلك البيت وبذلك يجعلنا نشعر بسكنينة واطمئنان أكثر يا مalfi؟

- لا بد أنه فعل ذلك ليرى إن كنا من يحسنون الظن أم لا.

فجأة طرق سادوي على باب الغرفة التي رتبت لكل من مalfi وكوريسي، ففتح مalfi الباب، ليقول له سادوي أن النار متقدة في الخارج، هذا إن أرادا الجلوس أمام دفء النار، فشكراً مalfi، وعاد سادوي لكي يخلد إلى النوم.

نام الجميع، أما مalfi فلم يستطع النوم وقال في نفسه: من الجيد أن النار متقدة في الخارج، سأخرج وأبقي قربها ريثماأشعر بالنعاس يداعب جفوني.

خرج مalfi إلى ساحة المنزل، وجلس بقرب النار المتقدة، وبعد حوالي نصف ساعة، خرجت كوريسي وكأنها لم تستطع النوم.

قالت: ألم تتم بعد يا مalfi؟ لا تقل لي أني فضلت الجلوس أمام النار والاستمتاع بدفعها بدل البقاء في الداخل والنوم؟

- لا شيء من هذا يا كوريسي، لم أشعر بالنعاس، ولم تكن لدى رغبة في النوم، ففضلت أن أبقي هنا لأنعم بالدفء.

جلست كوريسي بجانب مalfi، وقالت: حتى أنا لم أستطع النوم، فارتآيت أن أخرج وأنتنفس بعض الهواء، قبل أن أجده هنا.

تساما لفترة وجيزة، قبل أن يسمعا سعالا حادا يأتي من الداخل، فهرها لينظروا ما

الخطب، وتفاجئها سادوي في الرواق وهو غارق في دموعه.

بقي مالفي يطمئن في سادوي، فيما دخلت كوريسي إلى الغرفة، لتجد آيريتى، وامرأة طريحة الفراش. كانت هاته الأخيرة زوجة ابنهما المريضة.

كان السعال حادا جداً، والحمى شديدة عليها، وكانت آيريتى تحاول إعطائهما بعض الأشربة لتخفيض السعال الحاد.

كانت آيريتى تحاول إيقاف السعال، واقتربت كوريسي ووضعت يدها على جبهة الكنة، لتنتفاجأ بشدة ارتفاع حرارتها، فأسرعت بإحضار قطعة قماشية والقليل من الماء البارد، بللت القطعة القماشية ثم وضعتها فوق جبهة المريضة حتى تخفّ الحمى.

لم يدرِ سادوي ماذا يفعل غير الدعاء لزوجة ابنه، وكان مالفي بجانبه يطمئنه، أما آيريتى وكوريسي، فكانتا جالستين قرب المريضة، آيريتى تمسك يداً وتمسح عليها، وكوريسي تمسك اليدين الأخرى وتمسح عليهما لتحفّ الآلام ولو قليلاً.

توقف السعال تماماً، ولمست كوريسي رأسها لتجد أن الحمى انخفضت، وبقيت الاشتتان قرب المريضة طوال الليل، أما سادوي ومالفي فقد اتجهتا إلى الغرفة المهدئة وجلسا بعد أن غادر النعاس سادوي، أما مالفي الذي لم يشعر بالنعاس، فقد نسي أمر النوم.

بعد أن نامت الكنة، نامت آيريتى وكوريسي بقربها، أما سادوي ومالفي فقد غلبهما النعاس وناما وهما متكتنان على الحائط.

في الصباح استيقظ كل من مالفي وكوريسي، وكذلك سادوي وزوجته، أما الغريب فهو أن زوجة ابن كانت قد استيقظت قبلهم جميعاً، وقد بدأت بإعداد فطور الصباح كأنها لم تكن مريضة ليلة الأمس.

كانت آيرلاتي امرأة رقيقة بعمر كوريسي، بيضاء البشرة، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، جميلة المنظر تتدفق الطيبة من محياتها.

فجأة أقبلت كوريسي نحوها ونزعـت الفنـاجـين من يديها قائلـة: أنت بالـكـاد تعـافـيـتـ،
يـجبـ أنـ تستـرـيـحـيـ.

ـ لا داعـيـ لـهـذاـ،ـأـنـاـ بـحـالـ جـيـدةـ وـلـلـهـ الـحـمـدـ،ـأـنـتـ ضـيـفـةـ،ـلـذـلـكـ وـجـبـ أـنـ خـدـمـكـ.
قالـتـ كـوـرـيـسـيـ:ـ حـسـنـاـ،ـ سـنـقـومـ بـهـذـاـ مـعـاـ،ـ مـتـأـكـدـةـ أـنـ هـذـاـ سـيـسـعـدـكـ.
فـابـتـسـمـتـ آـيـلاـيـتـيـ وـقـالـتـ:ـ شـكـرـاـ عـلـىـ لـطـفـكـ.ـ هـكـذـاـ تـنـاـولـواـ فـطـورـ الصـبـاحـ وـ أـجـوـاءـ
الـفـرـحةـ تـغـمـرـ قـلـوبـهـمـ خـاصـةـ بـعـدـ شـفـاءـ آـيـلاـيـتـيـ.

ماـ إـنـ اـنـتـهـاـ مـنـ الـفـطـورـ حـتـىـ حـكـتـ آـيـريـتـيـ لـكـنـتـهـاـ قـصـةـ لـقـاءـ سـادـوـيـ بـمـالـفـيـ وـكـوـرـيـسـيـ
لـتـقـولـ آـيـلاـيـتـيـ لـكـوـرـيـسـيـ:ـ أـتـمـنـىـ لـهـ الشـفـاءـ العـاجـلـ يـاـ كـوـرـيـسـيـ.
ردـتـ كـوـرـيـسـيـ:ـ شـكـرـاـ لـكـ يـاـ عـزـيزـتـيـ،ـ أـمـاـ آـيـريـتـيـ فـقـالـتـ:ـ أـمـاـ أـنـاـ،ـ فـأـتـمـنـىـ أـنـ يـشـفـيـ كـمـاـ
شـفـيـتـ أـنـتـ يـاـ اـبـنـتـيـ،ـ وـصـدـقـيـنـيـ،ـ لـأـحـدـ فـهـمـ كـيـفـ أـنـ سـعـالـكـ الـحـادـ لـيـلـةـ الـبـارـحةـ تـوـقـفـ،ـ
وـكـيـفـ أـنـ الـحـمـىـ اـنـخـفـضـتـ.

قالـتـ آـيـريـتـيـ:ـ سـيـسـعـدـ رـايـكـنـ كـثـيرـاـ بـهـذـاـ،ـ وـالـشـيـءـ الـجـمـيلـ كـذـلـكـ هوـ أـنـهـ لـمـ يـذـهـبـ إـلـىـ
تـلـكـ الـقـرـيـةـ عـبـثـاـ،ـ فـعـنـدـ عـودـتـهـ،ـ سـيـكـونـ قـدـ عـرـفـ مـنـزـلـ الـحـكـيمـ جـاـيـرـيـ،ـ بـذـلـكـ لـنـ تـضـطـرـ
كـوـرـيـسـيـ لـلـذـهـابـ،ـ وـسـيـكـونـ رـايـكـنـ دـلـيـلـاـ مـالـفـيـ،ـ عـلـىـ أـمـلـ أـنـ يـشـفـيـ قـرـيبـاـ إـنـ شـاءـ اللهـ.
كـانـتـ آـيـلاـيـتـيـ قـدـ شـفـيـتـ تـامـاـ،ـ أـمـاـ الشـيـءـ الـمـلـاـحـظـ فـهـوـ كـثـرـةـ ضـحـكـهـاـ،ـ فـكـثـيرـاـ ماـ
كـانـتـ كـوـرـيـسـيـ تـطـبـخـ مـعـهـاـ حـتـىـ تـنـفـجـرـ آـيـلاـيـتـيـ بـالـضـحـكـ.

بعدـ مرـورـ يـوـمـيـنـ سـأـلـتـ كـوـرـيـسـيـ آـيـريـتـيـ قـائـلـةـ:ـ قـدـ أـكـونـ فـضـولـيـ يـاـ أـمـاهـ،ـ لـكـ أـلـاـ تـرـينـ
أـنـ آـيـلاـيـتـيـ تـضـحـكـ كـثـيرـاـ.

قالـتـ آـيـريـتـيـ:ـ فـيـ الـأـيـامـ الـأـوـلـىـ يـاـ اـبـنـتـيـ،ـ كـنـتـ أـحـتـارـ عـنـدـمـاـ أـجـدـهـاـ تـضـحـكـ بـإـفـرـاطـ،ـ أـمـاـ
الـآنـ،ـ فـأـجـدـ أـنـ الضـحـكـ رـبـاـ يـكـونـ دـوـائـهـاـ لـتـشـفـيـ مـنـ مـأسـاـهـاـ.

بعـدـ أـيـامـ قـلـيلـةـ مـنـ ذـهـابـنـاـ لـخـطـبـتـهـاـ،ـ تـوـفـيـتـ أـمـهـاـ،ـ فـتـأـجـلـ الزـوـاجـ قـلـيلـاـ،ـ وـفـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ

كان من المقرر فيه إقامة الزواج ذبح أبوها أمام عينيها، كانت الفتاة الوحيدة لوالديها، وأقيم العرس بعد أيام من فاجعتها الثانية، وبقي منزلها مهجوراً إلى هذا اليوم، وربما الذكرى الوحيدة التي تملّكها هي إبرة.

قالت كوريسي بدهشة: إبرة، إبرة... أليس هذا غريباً؟

ردّت آيريتني: الأمر غريب نوعاً ما يا ابنتي، خاصة أنها أخبرتنا أن والدتها قد أهدّاها لها قبل أن يذبح بأيام قليلة.

تابعت آيريتني كلامها: لكن هذا لن يكون غريباً إذا عرفنا أن أحدهم وجد جملة مكتوبة على باب منزلهم بعد يوم واحد من ذبح أبوها، وتلك الجملة هي — أبوك يا فتاة ذبح، لكن قرار ذبحه لم يكن ظلماً بحقه، وهذا ما جعل كثيرين يرجحون أنّ والدتها كان يعمل لصالح جماعة العباءات السوداء.

صمتت لوهلة ثم قالت: أو باسمها الأدقّ جماعة السرّ الأسود، والتي لا تزال تبحث عن الأسود الجميل الذي أخذه منهم الجنون لونفiro كيمراي، دعك من الموضوع يا ابنتي، فنحن أشخاص عاديون، ولا شأن لنا بتلك الأمور.

مضت بضعة أيام وعاد رايكن إلى المنزل. كان شاباً قوياً، أبيض البشرة، بهي الطلعاء، متوسط القامة، ذو شعر أسود.

رحب الجميع بعودته سالماً ولعل أكثر شيء أفرجه هو رؤية زوجته قد شفيت تماماً وقال: أنت آيلياتي أم أنا أحلم؟ لم تكن طريحة الفراش في الأيام الأخيرة؟ قال سادوي: إنها هي ولست تحلم يا بني، لقد شفيت والحمد لله.

- لكن كيف حدث هذا يا أبي، كانت طريحة الفراش، لم تكن تستطيع التحرك، وكان المرض يشتد عليها في كل يوم وكل لحظة.

- بصراحة، حتى أنا لا أعلم كيف حدث هذا، وجل ما يمكنني قوله هو أنها شفيت

في اليوم الذي استقبلنا فيه هذان الضيغان الرائعان، وأشار سادوي إلى مالفي وكوريسي. قال راي肯: اعذراني، اعذراني رجاء لأنني لم أتبه لكم، فقد كان تفكيري منصبا على آياليتي، وقال: أهلا وسهلا بكم.

قال سادوي: إذن لندخل ونتم الحديث في الداخل.

- اعذرني يا أبي، ستم الحديث بعد أن أرتاح وأنام فلم أنم في اليومين الماضيين ولو ساعة واحدة، واعذروني لأنه لا رغبة لي بالأكل أبدا، أريد فقط أن أنام.

قال سادوي: لك ذلك فلن نجبرك.

توجه راي肯 مباشرة لكي ينام، أما سادوي فقد أخذ الحصان إلى الإسطبل، ثم عاد إلى مالفي ليriadله أطراف الحديث، فيما كانت النسوة تحضرن الغداء الذي كان شبه مكتمل. وهكذا تناولوا الغداء ثم أخذوا قيلولة وانقضى اليوم بشكل عادي.

لم يستيقظ راي肯 من نومه إلا في وقت متاخر من النهار، ولم تتح لهم فرصة الحديث عن الرحلة إلا بعد تناولهم طعام العشاء.

اجتمعوا في الغرفة الماداءة، وسئل سادوي ابنه عن رحلته، كذلك عن الحكيم الذي قصدته من أجل أن يصف له علاجا لآياليتي.

قال راي肯: كانت رحلة عادية يا أبي، لم يكن فيها أي شيء مميز، غير أنها كانت شاقة جدا، فالطريق إلى تلك القرية كانت طويلة جدا، وقد اضطررت للمبيت في العراء قبل أن أصل، والأمر الجيد هو أن الزاد الذي أخذته معه كان كافيا حتى عودتي، والأمر الذي لم أتوقعه هو أن الحكيم جايري لم أجده في القرية التي أُخبرنا عنها، فقد أخبرني سكانها أنه رحل إلى قرية أخرى تدعى دورياساك، لذلك قصدت هذه الأخيرة.

التفت سادوي إلى مالفي وقال: جيد، كانت لديك أخبار دقيقة إذن؟

ابتسم مالفي ثم قال سادوي مخاطبا ابنه مجددا: حسنا، من الرائع أنك وصلت إليه،

أعلم أنك تفعل المستحيل لأجل آياليتي، والآن أخبرنا عن الحكيم جايرى.

- كان شيخا طاعنا في السن، ذو شعر طويل شاب كلية، تبين على ملامحه علامات الحكمة ولم أصدق العدد الهائل من الناس الذين يتهاقون للعلاج عنده، وسبحان الله، كلماته بتعلوك تشعر بالراحة، وكأنها شافية، حتى إنك ستنسى أنك مريض أصلا.

- هل وصف لك دواءً آياليتي؟

أجاب راي肯: نعم، لكن ما حاجتنا إليه الآن، فآياليتي شفيف و لله الحمد.

قال سادوي: يسعدني القول بأنك مضطرب للذهاب إلى تلك القرية مجددا يا بني.

استغرب راي肯 كلام والده وقال: لا شك أنك تمنزح يا أبي، وإن كنت لا تمنزح، فأخبرني لماذا، هل هناك خطب ما؟

- إن ضيفنا مالفي مريض، وقد أتى من قرية مجاورة ليعالج عند نفس الحكيم، وارتيناها أن تدلها على مكان الحكيم، بذلك تجنبه عناء البحث، وتجنب زوجته كوريسى كذلك عناء الذهاب والعودة.

- حسنا، هذا من دواعي سروري. ثم نظر إلى مالفي وقال: أظن أنها ستكون رفقة جيدة يا مالفي، لكن الرحلة لن تكون سهلة أبدا.

قال مالفي: شكرا لك يا راي肯، أتمنى أن تصاحبني على التعب الذي سأسبيه لك، فأنت لم تصل إلا اليوم، وستعود دون أن تكون لك فائدة، فاعتذرني حقا.

أما راي肯 فقال له: إن لم نساند بعضنا البعض يا أخي فكيف كانت لتكون الحياة؟

قال سادوي: اتفقنا إذن، بعد أيام قليلة إن شاء الله ستذهبان.

قال مالفي: شكرا جزيلا لكم، وهذا لطف كبير منكم.

استيقظ الجميع قبل شروق الشمس، كانت كوريسى تعد في فطور الصباح، أما آيريتى وكتتها فقد كانتا تحضران الزاد الذي سيأخذنه الاثنين في رحلتهما، أما سادوي وابنه

ومالفي فذهبوا للإسطبل لاختيار حصان مالفي فرایكن كان له حصانه الأبيض المفضل، وبينما هم يحاولون اختيار حصان جيد حتى لفت انتباه مالفي أحد الأحصنة، كان يبدو حصانا قوي البنية جدا، على خلاف الأحصنة الأخرى التي كانت عاديه، مثل معظم الأحصنة المعروفة، رمادي يخالطه بعض السواد، وكان في إحدى زوايا الإسطبل أقرب ما يكون منعلا عن الأحصنة الأخرى.

ما إن وقع نظر مالفي عليه حتى قال: ما رأيكم بذلك الحصان، أراه قويا، دعونا نأخذنه.

نظر سادوي إلى ابنه وتبسم ثم قال مالفي: إنه من سلالة مختلفة، ولا بأس إن أردت أن يكون رفيقك في رحلتكما بشرط واحد، ألا وهو أن تستطيع امتطائه.

قال رايكن: مهلا، أنت تعلم يا أبي أن ذلك الحصان جامح جدا، لم يسبق لأحد أن امتطاه، دعك منه يا مالفي وانظر حصانا آخر لك، فشبهه مستحيل امتطائه.

ردد مالفي: لم يسبق لي أن عجزت عن امتطاء حصان من قبل، وامتطاء هذا الحصان لن يشكل تحديا. قال رايكن: حسنا، لنخرج الحصانين، ولا تقل أبي لم أحذرك.

بعد أن قاموا بإخراج الحصانين من الإسطبل، قاموا بربطهما قرب إحدى الأشجار القريبة من بوابة المنزل حتى يكون خروجهم سهلا وذهبوا لتناول فطور الصباح، بعد الانتهاء حملوا زاد الرحلة واتجهوا نحو البوابة.

كان حصان رايكن لا يزال مريوطا، أما الحصان الذي اختاره مالفي فكان سادوي قد غير مكانه وربطه في ناحية معشوشبة من المنزل.

قال سادوي مالفي: جرب أن تختطيه هنا، فإذا ما سقطت ستسقط على العشب، ولن تتأذى كثيرا، هذا أفضل من السقوط على الأرض الصلبة مباشرة، إن حصل ولم تستطع امتطاه رغم ثقتك بترويشه.

اقترب مالفي نحو الحصان، وأمسك جامه. قال: بسم الله، ثم قام وركب الحصان بكل سهولة، نظر إلى راي肯 وقال: أهذا صعب؟
لحظات وثارت ثائرة الحصان، صهل بصوت مخيف وأسقط مالفي الذي من حسن حظه أنه لم يتأذ. قال راي肯: تستطيع امتطاءه، أليس كذلك؟!
كان قلب مالفي يخفق بشدة، فلم يتخيّل أن ذلك الحصان جامح إلى تلك الدرجة.
قال: أي حصان هذا؟

رد سادوي: هل اقتنعت إذن يا بني أن امتطاءه مستحيل، رأيت هذا بنفسك، سآخذه وأحضر لك حصاناً غيره.
قال مالفي: لا، انتظر قليلاً، سأجرب امتطاءه ثانية.
اقترب مالفي مجدداً من الحصان ومسح عليه قائلاً: صديقي الغاضب، هيا ابتسّم.
أمسك اللجام وقام بامتطائه مجدداً وأحكم قبضتيه جيداً على اللجام، وما هي إلا لحظات حتى ثارت ثائرة الحصان مجدداً، وبقي مالفي متمسكاً به بكل قوته وهو يقول: سنرى الآن، أنت أم أنا؟

كان منظر الحصان وهو ثائر مخيفاً جداً، حتى طلب الجميع من مالفي أن يتركه مخافة أن يتأنى إذا ما أسقطه، لكن مالفي كان مصراً على امتطائه، رغم أنه في كل لحظة تظن أنه سيسقط، شيئاً فشيئاً هدأ الحصان تماماً.

قال راي肯 وهو غير مصدق لما تراه عيناه: هذا وهم أم حقيقة؟
وهكذا دعوا أهل المنزل، وقال سادوي: في حفظ الله يا أبنائي، على أمل عودتكم سالمين.

الفصل العاشر: البيت المشيد في الغابة

"الخطر الأكبر لغالبيتنا ليس أن هدفنا رفيع المرتبة و نحن أهملناه، و لكنه جدّ متدني و نحن حققناه. "

ميكيلا نجلو بوناروتي

انطلقا حاملين معهما الزاد وكل ما يلزمها، وأثناء المسير كانا يتبدلان أطراف الحديث وبعد حوالي ساعتين بدأ يلوح جبل شديد الارتفاع، متذ على مرمى البصر كأنه حصن منيع تكسوه الأشجار الكثيفة ويبعث في نفس الناظر إليه الشعور بالرهبة.

قال مالفي: من يرى هذا الجبل، يخال أنه لا توجد أية طريق لمواصلة المسير، ولو كنت وحدي لصدقتك القول أني سأعود أدراجي على الفور.

قال رايكن: ليكن في علمك أنه لا يوجد أي طريق دون التوغل في هذا الجبل، فلا سبيل للوصول إلى الحكيم جاييري قبل أن نعبر هذا الجبل إلى الجهة الأخرى.

قال مالفي: وأين نبيت، من غير المعقول أن نبيت وسط تلك الأشجار الكثيفة التي تنذر بالخطر الذي بات يحدق بنا منذ هذه اللحظة؟

- للأسف، سنضطر للمبث فيه هاته الليلة، الشيء الذي ربما يريحك قليلا هو أنه توجد دروب ما إن نصعده قليلا، نبقى نتبعها ثم نواصل المسير حتى نصل إلى وجهتنا.

- هل تعلم يا رايكن أنني أتساءل الآن في نفسي كيف كنت سأصل لو لم ألتقي بوالدك أولا، وبعد ذلك أنت الذي ترافقني دون أن تكون لك أية فائدة، شكرا... شكرًا لك يا رايكن واعذرني على هذا التعب الذي أسببه لك.

- لا بأس، لو لم تقابل والدي، كان من الممكن أن تلتقي بشخص آخر، والشيء

الذي أنبهك إليه هو أن لا يكون مخادعا، ولو لم نتفاهم، كان أبي سيوصلكم دون أي شك، وأخيرا تقديم يد المساعدة ملئ يحتاجها واجبة.

قال مالفي: حبذا لو كان كل الناس هكذا، كانت ستكون حياة البشر حياة مثالية. لما وصلنا إلى الجبل، نزل كل واحد منهما من فوق الحصان تاركا زاده على ظهره الحصان وسار الاثنان ببطء فوق التربة القاسية لذلك الجبل لوقت طويل، وكل منهما ممسك بلجام حصانه ويجره ورائه، حتى وصلوا إلى أرض مستوية وكان لا يزال الوقت طويلا نسبيا على غروب الشمس، ليقول راي肯: علينا التوقف يا مالفي لنكمل المسير في صباح الغد إن شاء الله.

- أجل، فقد تعينا كثيرا، خاصة أن المشي فوق تربة قاسية كهذه صعب جدا، وحتى الحصانان، تعينا تعينا شديدا.

- لم نتوقف من شدة التعب والإرهاق يا مالفي، بل لأننا لن نجد أرض مستوية كهذه إلا بعد أن نطيل المسير، إلى ذلك الحين يكون الظلام قد خيم، لذا اخترت التوقف الآن في هذا المكان الذي يتوجب علينا المبيت فيه.

- لكن أنسنت أنا في غابة جبلية، ماذا لو هاجمتنا بعض الوحوش أو الذئاب، فالليل فسحتها، أتريد أن نصبح طعاما لها يا راي肯؟

- لا تقلق بشأن الوحوش، فقبل أن تغرب الشمس سنوقد النار لنطهو قليلا و لإخافتها فلا تقترب، هل أسعدهك هذا؟ كذلك دخان النار سيمنع عننا الحشرات.

قال مالفي: أجل أسعدي، لكن سأترك لك أمر الطهو فأنا لا أجيد طهو أي شيء.

- لا مشكلة، سأطهو لك طعاما شهيا، واعتبره مكافأة مني بما أنك استطعت امتطاء الحصان. الآن دعنا نربط الحصانين ونببدأ بجمع الأغصان لإيقاد النار.

بينما كان الاثنان منهمكان في جمع الأغصان، حتى رأى مالفي منزلًا خشبيا فاقترن

منه وأخذ يتفحصه بعيونه، ثم تسلق إحدى الأشجار ليجد أنه ذو سقف مائل معطى
بجلد غزلان جبلية.

فرح مالفي ونزل من الشجرة ثم عاد مسرعاً إلى راي肯. قال: لن تتوقع ماذا وجدت
بينما كنت أجمع الأغصان، لقد وجدت أين نام هاته الليلة ولن نضطر لإبقاء النار
مشتعلة طوال الليل.

قال راي肯: دع هذا المزاح ودعنا نعجل بإيقاد النار.

- هذا ليس مزاحاً، هيا اترك الأغصان من يدك وانس أمر النار الآن، اتبعني لتأكد
بعينك، فربما غيرنا موقع إيقادها. قال راي肯: حسناً، ها أنا ذا قادم معك، وترك حجر
الصوان الذي كان على وشك أن يوقد به شرارة النار وتبع خطى مالفي.

لم تمض سوى لحظات قليلة حتى وصل الشابان إلى ذلك البيت الخشبي، وقال مالفي:
قل لي، الحمد لله على هذا الحظ السعيد، حتى أن مُشِّيده أقام له الدعائم والعوارض،
وغطى السقف بجلود غزلان جبلية.

بدأ راي肯 يفرك لحيته وهو ينظر إلى ذلك البيت مستغرباً، وكأنه في حيرة من أمره.
قال مالفي: ما بك، هل الفرحة جعلتك تصاب بالدهشة إلى درجة أن لسانك قد انعقد؟
- مالفي، أنا متأكد، متأكد أن هذا البيت الخشبي لم يكن هنا في المرة السابقة عندما
ذهبت لإحضار الدواء لآيلايتني من عند الحكيم جاييري واير.

- لم يكن البيت هنا؟ لا بد أنك لم تنتبه، دعك من هذا، لم تنتبه فقط، هذا كل ما
في الأمر إضافة إلى أنك لم توقد النار هنا، أي أنك لم تقترب من هذا المكان.

خطا راي肯 خطوات مسرعة، وقال: اتبعني يا مالفي. فجأة وصلا إلى صخرة كانت
جد قريبة من ذلك البيت، وقال: أترى هذه الصخرة يا مالفي؟ أجاب مالفي: نعم أراها،
هل قيل لك أني أعمى أو أني ضعيف النظر حتى لا أرى صخرة!

- في المرة السابقة، لقد نمت متكتنا على هذه الصخرة التي تراها بعينيك، تركت الحصان أمامي مربوطاً، وتركنت النار مشتعلة بالقرب مني، وهذا البيت لم يكن موجوداً، لن يجادلني أي شخص في هذا.

- حسناً، لكن أنت لم تأت إلى هنا منذ عدة أيام، أي في تلك الأيام الماضية أتي أناس آخرون فشيدوه لكي يأويهم ورحلوا بعدها، هذا هو التفسير المنطقي، وتابع: لا بد أنهم كانوا شديدي الخوف من الحيوانات المفترسة لذلك شيدوه؟

قال رايكن: حسناً، سنمضي الليلة هنا، تعال لنحضر الأحصنة والأغصان. أحضر الاثنان الأحصنة والزاد، وقاما بربط الحصانين في إحدى الأشجار بالقرب من ذلك البيت وأُوقد راي肯 النار وأخرج ما يلزم للطهو، وطلب من مالفي أن يضع الزاد الباقي بداخل البيت، وبدأ بشواء شرائح اللحم التي كانت رائحته تداعب الأنوف.

قال مالفي: أعطني الملح من فضلك فقد نسيت أن أخرجه، فقال مالفي: نسيت الملح يا راي肯، بدأ تساورني الشكوك إن كنت قد طهوت من قبل ولو مرة في حياتك! ابتسم راي肯 قائلاً: حتى أنا شككت في نفسي، دعني أتذكر، ورفع رأسه قليلاً ثم قال: آه، لقد تذكريت، طهوت من قبل، لكن ليس كثيراً.

تفقد مالفي حقائب الزاد وقال مستعجباً، شموع! لحظات واستخرج الملح. قال راي肯: تفضل الملح، أما أنا فسأدخل لأرى البيت، وأهيه لكي ننام.

عكف راي肯 على طهو الطعام في حين دخل مالفي البيت وهو يحمل غصيناً صغيراً في يده، كان البيت شديد الاتساع وترتاح بمجرد أن ترى اتساعه ذاك، أما الغريب فهو أن البيت كان مفروشاً بالحصير. بدأ مالفي يتفقد في الجوانب الخشبية وبقي يسير في الداخل ويتفقد لإرضاء فضوله، لا غير، لحظات وابحثه نحو الباب منادياً راي肯 قائلاً: تعال يا صديقي لكي ترى شيئاً يسڑك.

- ألا ترى أنني أشوي في اللحم، أتريد مني أن آتي وأتركه يحترق؟ تعال وانعم معي
بدفء هذه النار.

وضع مالفي الغصن الذي كان بيده مع الأغصان الأخرى ل تستمتع به ألسنة النار
وجلس بالقرب من راي肯. قال: ما أجمل الدفء في هذه الأجواء الباردة؟
قال راي肯: أخبرني عن الشيء الذي أردت مني أن أراه قبل قليل؟. أجاب مالفي:
أردت فقط أن ترى كيف أن البيت مفروش بالكامل.

كان الظلام قد كسى الأرجاء، وبقيت النار كأنها نقطة حمراء فوق لوحة مطلية بلون
أسود قاتم، وبدأ عواء الذئاب يتعالي ليرسم مشهدا من الرعب، وتبدأ النفس تتربّب في أن
تسلم من غضب الطبيعة المخيفة، وطلب راي肯 من مالفي أن يخرج السيف، فاستغرب
مالفي وقال: سيف، أنت تمنحك؟

- لست أمنحك، أخرجهم من حقائب الزاد، فمن يدري قد تحتاج إليهم في هذه الليلة،
وأرجو أن تكون قد تعلمت المبارزة في صغرك.

أخرج مالفي السيفين، واختار واحدا وقام بإخراج السيف من غمده. قال في نفسه:
يا له من سيف رائع؟ وبدأ بملامسة معدنه.

كان سيفا حادا للغاية، تشعر بشدة حدته ما إن تقرب إصبعك منه قليلا لتلمسه،
فقد كان مصنوعا بدقة كبيرة، حتى كأن إبداع صانعه ينعكس فوقه.

بدأ مالفي يلوح بالسيف ببراعة كبيرة، حتى قال راي肯: لم أكن أعلم أنك تحيد
استعمال السيف بهذا القدر من البراعة؟. رد مالفي قائلا: لا تفرط في مدحني كثيرا وإن
أصررت فلا بأس.

ابتسم راي肯 ابتسامة عريضة وقال: اجلس ودعنا نتناول الطعام فإنه شهي جدا،
أظهر براعتك هذه عند اقتراب الخطر.

جلس الاثنان وبدئا بتناول شرائح اللحم المشوي، وبينما هما يتبادلان أطراف الحديث، حتى بدأت قطرات مطر خفيفة بالتساقط، وقال مالفي: أيعقل أن هذا ينذر بأن الليلة ستكون ليلة ماطرة؟

رد راي肯: هذا ما أظنه، ليتها تبقى خفيفة فقط.

ازداد تساقط المطر فجأة، فهرع الاثنان لذلك المنزل وأدخلوا الحصانين، أما النار فبقيت تتسلل قطرات حتى لا تطفئها وكان توسلها عبثا، فما لبثت أن خمدت. قال راي肯: أرى أن نشعل النار هنا لإنارة البيت، وللتنعم بقليل من الدفء في ظل هذه الأجواء الباردة، هيا ساعدني على إبعاد الأفرشة هذه قليلا.

لكن مالفي تذكر أنه عندما كان يهم بإخراج الملح رأى بعض الشموع، فأسرع لإخراجهم وقال راي肯: ماذا تفعل يا مالفي فإنك تحيرني بتصرفاتك؟

رد هذا الأخير: انتظر قليلا يا صديقي ولا تتسرع في الحكم على تصرفاتي. لحظات قليلة وأخرج الشموع قائلا: ما رأيك، الآن نتجنب عناء إيقاد النار من جديد. ضحك راي肯 قائلا: يجب أن نوقد النار لتنعم بقليل من الدفء!

- لقد نسيت، فالجو قد أصبح باردا جدا مع تساقط الأمطار، ومن الجيد أننا وجدنا هذا البيت الذي يأويانا في هذه الليلة الماطرة، أفتر بدهاء مشيده، لو أنه ترك السقف دون تغطيته بجلد الغرلان لكننا الآن في مأزق.

- أوقفك، أوقد النار بينما أذهب لأحضر بعض الأغصان، ربما احتجنا المزيد.

خرج راي肯 وجمع بعض الأغصان التي كان جمعها مع مالفي نهارا، لكن وفي لحظة خاطفة فاجأته ثلاثة ذئاب وثبت نحوه وكاد ينتهي أمره لولا فطنة مالفي وبراعته، الذي استطاع قتل الذئاب الثلاث بضربات سيفه الخاطفة، أما راي肯 فكان لا يزال مصدوما مما جرى، ولم يستوعب نجاته بعدما كان موته محتما.

قال مالفي: لبعد جثتها ونسع بالدخول، بعدها ستسنن لك فرصة شكري، لكن لا تشكري الآن من فضلك فالخطر محقق.

أبعد الشابان جث الذئاب وكلهم حذر وعادوا ودخلوا إلى ذلك البيت وكان المطر كفياً بغسل السيف من دماء الذئاب التي قتلت.

جلس مالفي في إحدى زوايا ذلك البيت، وأوصد راي肯 الباب بجذع كان داخل البيت بإسناد أحد طرفي الجذع على الباب ثم نظر إلى مالفي قائلاً: شكراً لك، فلولا فطنك لما بقيت على قيد الحياة، لكن كنت قلت لك أن تهتم بإيقاد النار، لماذا خرجت؟ - نحن في رحلة، أي رفيقان، ويستحيل على الرفيق أن يترك رفيقه لو للحظة، خاصة في مكان كهذا الذي نحن فيه وفي ظلام حالك، لذلك أوقدت النار بسرعة، واستللت السيف من غمده وخرجت ورائك.

تابع: الحمد لله أني كنت قربك في الوقت المناسب وإلا لما تمكنت من إنقاذه، أما الآن، فهناك أوراق الشاي مع الراد، فحضره لنا رجاء.

كان اي肯 يحضر في الشاي وهو يتبادل الأحاديث مع مالفي، وما إن قدم فنجان الشاي مالفي حتى قال هذا الأخير: ماذا دهاك يا راي肯، الشاي ساخن جداً؟

ضحك راي肯 وقال: نسيت أن أخبرك بينما كنت تتحدث، فأنت تتحدث كثيراً!

قال مالفي: آسف، ولكن على القول بأنّ والدك طيب القلب كثيراً، فرغم أنه لا يعرفنا إلا أنه استضافنا بصدر رحب وقلما يلتقي الإنسان شخصاً بمثل طبيته وسماته.

- طبيته تلك جعلتنا نتعرض للخداع في إحدى المرات، ونبهته أمي أن لا يستضيف أيها كان، لكنه لم يستمع إلى قوله وكان يقول لها: ليس خطئاً تقديم يد المساعدة إذا طلبت منها، فليس خطئاً منا إذا وثقنا بأقوال الغير وقمنا بمساعدته، إذا خدعنا فالخطأ ليس لأننا وثقنا بأقواله، الخطأ خطأ لأنه كذب علينا.

- معه حق، لكن على الإنسان أن يكون متبعها، فالطيبة مع الأشارار ضرب من الغباء، لكن كيف تعرضتم للخداع؟

قال رايكن: لخلد إلى النوم، لأننا سنغادر في الغد إن شاء الله، والإجابة عن سؤالك هي أنه سُرقت منا بعض الخراف إثر طبيته.

قال مالفي: حسنا، لكن ماذا لو بقي الجو ماطرا، كيف سنغادر؟

- لا تقلق فالمعاطف الجلدية معنا، والأجمل هو أننا سنمضي على ظهر الحصانين لأننا سنسلك دربا تنسل وسط الغابة مباشرة، لنتم الآن.

استيقظ الشابان باكرا، ثم أزالوا بقايا الرماد وأعادوا ترتيب الأفرشة كما كانت تماما. لحظات وحملوا زادهم، ثم واصلوا المسير للوصول إلى القرية التي يقطن فيها الحكمي جاييري.

الفصل الحادي عشر: الحكيم جايري واير

”أهم شيء نتعلم في المدرسة، هو أن أهم الأشياء لا يمكن تعلمها في المدرسة.“

هاروكي موراكامي

كانت الأجواء صحوة تماماً، أما التربة فانتعشت بعدها حيثها قطرات المطر في الليلة الماضية، كانت أقرب إلى أن تكون زلقة، واضطرا لارتداء ملابس أخرى، فالنسمات الباردة كانت تكاد تسلخ الجلد عن الوجه، وتنزع الأصابع عن الحركة لشدة البرد في ذاك الصباح، حتى أنه إذا نظرت إلى الأشجار حولك ترى كأنها تقارب فيما بينها أكثر وكل شجرة تضم الشجرة الأخرى بأغصانها المتفرعة، للحصول على بعض الدفء!

مضوا في رحلتهم، ومرت بضعة أيام فقط قبل يصلوا أخيراً إلى القرية المصودة التي كانت تعج بالسكان، وببدأ الإثنان يسترجعان صور الحياة شيئاً فشيئاً، خصوصاً أنهم لم يصادفوا الكثير من الناس منذ أن باشروا الرحلة.

كان أناس تلك القرية بسطاء الملبس، ولعل ما يلفت النظر في تلك القرية هو منازلها الترابية والمتقاربة فيما بينها، ذات أرقة ضيقة وحلة رائعة، أناس ذاهبون إلى أين يعلمون ولا يعلم، وأناس راجعون إلى أين يعلمون وتعلم، فالذاهب قد يكون قاصداً السوق، أو أي شيء آخر، والرائع راجع إلى منزله، وبين الفينة والأخرى تجد مجموعة من الصبية يلعبون حتى تذكر أيام طفولتك، تترنح صرخات البعض منهم بصرخات البائعين، وبهذا تسمعك أصواتاً مزعجة.

وبالرغم من هذا فإن مالفي لم يستطع أن يفوت تلك اللحظات، فقد نزل من الحصان ليلعب مع أولئك الأطفال قليلاً، ولعل أن البسمات والضحكات التي رسمها على أوجه أولئك الصغار كانت تلخص مدى رحابة صدره وصفاء قلبه.

تابعوا المسير حتى وصلوا إلى منزل الحكيم جايري، وقال راينكن مالفي: اللعبة الأولى فهمت أنها لعبة القفز بين المربعات، والثانية ما كانت؟

- إنها لعبة كنت ألعبها في الصغر، وهي كالتالي: ضع قطعة نقدية وبعد ذلك غطتها بحفنة من التراب، ثم اقسم الحفنة الترابية بيديك، إن كانت القطعة في جهتك فهي لك، وإنما فهي ملئ من كان في الجهة المقابلة لك، مع شرط واحد وهو أن تغطي القطعة النقدية حتى تصبح جاهلا في أية جهة هي.

قال راينكن: تحب المال منذ الصغر، فقال مالفي: في الحقيقة كنا نلعب بالحصى، وقلت لك هذا لكي نلعب بالقطع النقدية!

كان منزل الحكيم مشابها للمنازل الأخرى تماما، وكان يقع في آخر زقاق، وبعده لا يوجد أية منازل أخرى، وما إن وصل الاثنين حتى قال راينكن: ها قد وصلنا، الحمد لله أنه لا يوجد مرضى، ففي المرة السابقة وجدتهم على طول الزقاق.

نظر مالفي إلى راينكن وقال: أنت متأكد من أن هذا هو منزله، أليست مخطئا؟

- لست مخطئا، متأكد من أن هذا هو منزله، فأطراف هذه الباب المتآكلة وكذلك هذه الجدران الترابية التي تقدمت كثيرا في السن والتي تظن أنها قد تسقط في أية لحظة، كلها تدل على منزله، المنزل نفسه الذي أخذت من عند ساكنه الدواء لآيالاتي، لكن لماذا تسأل هذا السؤال، هل لديك شك في قوة ذاكري؟

- ليس هكذا، لكن قلت في نفسي أن منزله لا يجب أن يكون هكذا، على الأقل يكون مثل المنازل الأخرى المجاورة له، فرغم أنها بسيطة إلا أنها أفضل حالا بكثير من هذا المنزل يا صديقي.

- إنه منزل الحكيم، أتفى أن يصف لك علاجا جيدا، ومن ثم نعمل بعودتنا إلى الديار فلا شك أن ابنتك جوساي مستيقنة جدا حتى ترك معافي.

نزل كل منهما من على ظهر حصانه، وتقى نحو الباب بخطوات ثابتة، ورفع راي肯 يده إلى الباب ليطرقها، لكن أمسكها مالفي قائلاً: أنا من أتي ليبحث عن دواء يشفيه، إذن أنا من سيطرق الباب، لكن راي肯 طرق الباب وقال مالفي: أتشعر بالحرقة؟! - لا أشعر بأية حرقة. لم تمر إلا لحظات قليلة حتى فتح الباب صبي يبين كأنه في الخامسة عشر من العمر تقريباً.

نظر مالفي مباشرة إلى راي肯 وقال: ألم أقل لك أنك قد تكون مخطئاً في المنزل؟ وأتبع قائلاً: لكنك لم تسمع، واعتذر من الصبي على الإزعاج، وهو بامتناء الحصان، لكن راي肯 قال: انتظر يا مالفي، دعنا نسأله أولاً فأنا متأكد من المنزل.

جئي راي肯 على إحدى ركبتيه، ووضع يده فوق كتف ذلك الصبي قائلاً: بني، وهذا هو منزل الحكيم جاييري واير؟

أجابه ذلك الصبي قائلاً: نعم يا عم، لكنه مريض، لم يستطع النهوض من فراشه لمدة يومين ولم يأكل كذلك، فجأة سمعاً صوتاً يخرج من الحنجرة بصعوبة شديدة، ويقول: أدخل الضيوف يا آيوجي، ألم أقل لك ألا تتكلم طويلاً وأنت قرب الباب. فقال الصبي: أنا آسف، تفضل بالدخول واعذراني على تكليكم عند الباب.

قال مالفي: لا عليك يا بني، وأثناء دخولهم علت وجه مالفي نظرة استغراب سرعان ما أخفى تعابيرها، وهذا بعده رأى شيئاً في باطن الذراع الأيمن للصبي الذي كان يرتدي قميصاً يصل كتماه إلى المرفق.

دخل راي肯 وهو واسع يده على كتف الصبي، وخلفه مباشرة مالفي وما إن توجهوا إلى الغرفة التي كان الحكيم جاييري فيها حتى رأوه طريق الفراش، وكان واسعاً قطعة قماش مبللة بماء بارد فوق جبينه لشدة الحمى التي كانت عليه، لكنه رغم ذلك فقد حاول القيام من فراشه، حتى هبّ مالفي إليه وقال: لا تجهد نفسك وأنت في هذه الحالة يا عم،

استرخ، استرخ رجاء.

كان الحكيم جايري كما وصفه راينكن تماماً، حتى وهو طريح الفراش، وقال مالفي: لا عليك يا بني. نظر الحكيم جايري إلى راينكن قائلاً بصعوبة: ألمست نفس الشاب الذي كان عندي قبل أيام قليلة يطلب دواء لزوجته؟

ألقى راينكن عليه التحية، ثم جلس أمامه قائلاً: بلـ، إنـي نفسـه يا عمـ. ليقول جايري: كيف حالـك يا بـنيـ، وهـل شـفـيت زـوـجـتكـ منـ مـرضـهاـ؟

كان راينكن قد احتـار ماـذاـ يـقـولـ، لكنـ مـالـفـيـ نـظـرـ إـلـيـهـ وأـشـارـ أـنـ يـقـولـ أـنـاـ شـفـيتـ بـعـدـ وـصـفـهـ لـهـ ذـلـكـ الدـوـاءـ، فـفـعـلـ رـاـيـكـنـ ذـلـكـ.

قالـ الحـكـيمـ: الـحـمـدـ لـلـهـ أـنـاـ شـفـيتـ يـاـ بـنـيـ، هـلـ مـنـ شـيـءـ آـخـرـ حـتـىـ أـتـيـتـ مـجـدـاـ؟ـ
ـ نـعـمـ، وـالـأـمـرـ هوـ أـنـ صـدـيقـيـ كـانـ قـاصـداـ إـلـيـكـ وـلـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ سـوـىـ أـنـكـ تـقـطـنـ فـيـ
ـ هـاتـهـ الـقـرـيـةـ، وـبـعـدـ لـقـائـنـاـ أـتـيـتـ مـعـهـ لـأـنـيـ كـنـتـ قـدـ أـتـيـتـ إـلـيـكـ فـيـ الـمـرـةـ السـابـقـةـ، وـبـذـلـكـ
ـ يـتـجـنـبـ عـنـاءـ الـبـحـثـ عـنـ الـمـنـزـلـ، وـالـسـؤـالـ عـنـ الـمـوـقـعـ فـيـ كـلـ لـحـظـةـ.

نظرـ الحـكـيمـ جـاـيـرـيـ إـلـيـ مـالـفـيـ وـقـالـ: حـسـنـاـ يـاـ بـنـيـ، هـلـ لـكـ أـنـ تـخـبـرـنـيـ عـنـ السـبـبـ
ـ الـذـيـ حـمـلـكـ عـلـىـ الـمـجـيـءـ إـلـيـ، بـالـرـغـمـ مـنـ أـنـكـ لـاـ تـعـرـفـ الـمـنـزـلـ وـ لـاـ تـعـرـفـ مـدـاـخـلـ الـقـرـيـةـ؟ـ
ـ أـخـرـجـ مـالـفـيـ كـيـسـ الـمـالـ الـذـيـ كـانـ مـقـرـراـ أـنـ يـسـتـعـمـلـهـ إـذـاـ اـسـتـأـجـرـ بـيـتاـ لـلـمـبـيـتـ، وـقـالـ:
ـ الـحـقـيقـةـ أـيـهـاـ الـحـكـيمـ، لـقـدـ أـوـصـانـيـ شـخـصـ أـنـ أـوـصـلـ لـكـ هـذـاـ الـمـالـ، لـذـلـكـ قـصـدـتـكـ،
ـ وـبـذـلـكـ أـوـصـلـ الـأـمـانـةـ الـتـيـ أـوـتـمـنـتـ عـلـيـهـاـ، هـذـاـ كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ.

ـ أـمـاـ الـحـكـيمـ فـقـالـ: أـعـلـمـ يـاـ بـنـيـ أـنـهـ لـمـ يـتـقـنـ لـيـ إـلـاـ أـيـامـ قـلـيلـةـ وـأـغـادـرـ هـذـهـ الـحـيـاةـ، فـهـذـاـ
ـ الـذـيـ أـنـاـ عـلـيـهـ الـآنـ لـيـسـ إـلـاـ تـبـاشـيرـ الـمـوـتـ، لـذـلـكـ لـاـ أـحـتـاجـ أـيـ مـالـ، أـحـتـاجـ شـيـئـاـ آـخـذـ
ـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ يـنـفـعـنـيـ فـيـ الـقـبـرـ، وـهـذـاـ الـمـالـ لـنـ يـنـفـعـ الصـبـيـ، فـهـوـ لـاـ يـزـالـ صـغـيـرـاـ، وـلـاـ يـعـرـفـ
ـ كـيـفـ يـتـصـرـفـ فـيـ الـمـالـ، لـذـلـكـ أـرـيدـ مـنـكـ شـيـئـاـ يـضـاعـفـ أـجـرـيـ، وـإـذـاـ لـمـ تـمـانـعـ سـأـطلـبـ

منكما طلباً أرجو أن تتكرما بقبوله.

قال مالفي: بكل تأكيد، وهذا من دواعي سرورنا وإن استطعنا فإننا سننفذه في الحال، قل فقط ونحن رهن أمرك.

- لن أقول حتى تصدقني يابني، ما الشيء الذي أتيت من أجله من قرية بعيدة، وتحملت أنت وصديفك تعب المسير، أجنبني بصدق.

- حسناً سأصدقك. الحقيقة أني قصدتك لأنني أعاني من مرض جلدي يسبب لي الحكة خصوصاً في الليل، وكثيراً ما أجد أني جرحت يدي من كثرة الحك، ولم أجد أي علاج نافع، لذلك قصدتك علني أجد مبتغاً عندي.

- شكرًا لك يابني لأنك لم ترد إزعاجي، لكن تعلم شيئاً هذه المرة وهو أنه لا توجد أشياء تسقط قول الصدق إلا إن كانت تؤدي إلى عواقب وخيمة، والآن أظن أن لدى العلاج الذي تحتاجه.

طلب جاييري من آيوجي أن يحضر بعض الأعشاب مع بعض الزيوت التي استخلصها من بذور بعض النباتات وما أحضرها آيوجي، طلب الحكيم من الثلاثة أن يساعدوه على النهوض، فساعدوه واتكأ على إحدى الجدران، ثمّ قام بخلط تلك الزيوت والأعشاب بشكل جد معقد، ليحصل على مرهم، وطلب من مالفي أن يضعه على يده ويدلكه جيداً ثم قال: تمنياتي لك يابني بالشفاء العاجل، وضع المرهم مرة واحدة في كل ليلة لمدة خمسة عشر يوماً.

- شكرًا جزيلاً لك، وعدراً على إزعاجك، والآن هل لك أن تخبرنا عن الطلب؟
طلب جاييري من آيوجي الخروج من تلك الغرفة والذهاب لغرفة أخرى، وهو الأمر الذي فعله آيوجي دون تردد وقال جاييري: أظن يا أبنائي أن ساعتي قد حانت، وأنا أعلم أنه بمماتي سيبقى آيوجي وحيداً، لذلك أرجو أن يكفله أحدكم بعد موتي إن لم تمانعوا.

تحامل الاثنان على دموعهما، قبل أن تغلبهم الدموع وتنهر من عيونهما.
استجتمع راي肯 قوته وقال: حسنا يا سيدي، أنا سأكفله، وأعدك أني سأعده مثل
ابني. فجأة قال مالفي: سأتولى رعايته دون سواي.
فقال الحكم: لا يا بني، يجب علينا المسابقة في الخيرات وقد سبقك صديقك،
وصدقني لقد كنت أتمنى أن يكفله صديقك، لأنني لم أرد أن تكون بيني وبينك أية صفة
عندما عاجلتك، فتقوم أنت بالتكلف بالصبي.

أنمسك مالفي بيد الحكم وأخذ بيكي. لحظات وقال راي肯: عذرا يا سيدي، لكن
أريد أن أسألك شيئاً، هل آيوجي حفيدك؟

ابتسم الحكم جايري وقال: سأفتقدك، آيوجي، أو كما يحلو لي أن أناديه، صاحب
اللسان المتحرر. لا يقربني البتة، وإنما في إحدى الليالي العاصفة، كانت الساعة تشير إلى
منتصف الليل، سمعت طرقاً شديداً على الباب بينما كنت نائماً، فخرجت مسرعاً لأرى
ماذا هناك، وقد ظنت أن شريداً لم يجد مأوى يأويه أو أن عائلة لديها مريض قد أتوا به،
فحملت إحدى الشموع واتجهت لكي أفتح الباب، لكنني اندھشت عندما رأيت أن
الطارق كان فتاة في العقد الثاني. كانت حاملة آيوجي بين ذراعيها وكان هذا الأخير
غمى عليه. قالت وهي تلهث: أرجوك يا سيدي اترك هذا الصبي عندك ريشما أربع
لأخذه ولا تجعل أحداً يعلم بوجوده عندك، وقبل أن أستفسر عن أي شيء، بل وحتى أنه
لم تتنسَّ لي الفرصة لإيوائها تلك الليلة، ذهبت مسرعة.

تابع: مضت سنين، قريباً إن شاء الله ستصبح المدة عشرة سنين، أحضرته وهو ابن
خمسة سنوات، لم يتبقى الكثير حتى يبلغ الخامسة عشر، لم تعد تلك الفتاة أبداً، ولم أعرف
من تكون إلى هذا اليوم وهي ليست أمّا لآيوجي، بقيت التساؤلات في نفسي من تكون
ولماذا يجب ترك هذا الصبي يعيش هنا دون أن يدري أحد؟

تابع: بعد مرور السنوات وتغير ملامح آيوجي أصبح يخرج معي إلى كل مكان، لمواجهه مشكلا واحدا، ونسيت تلك التساؤلات، ففعل الخير لا يحتاج إلى تفكير ولا يحتاج إلى قراءة مسبقة للأحداث، نفعه فقط، هذا كل شيء.

أرشد الصبي آيوجي كلا من راي肯 ومالفي إلى إحدى الحجرات للنوم، وذهب هو الآخر للنوم، وهذا بعد أن تركوا الحكيم جايري ينام.

نام راي肯 وآيوجي، أما مالفي فلم يداعب النعاس عيونه، وبقي يتقلب فقط لا غير. مع التباشير الأولى للصبح، سمع مالفي أنين الحكيم جايري فاتجه إلى حجرة الحكيم ليجده في سكرات الموت، فأمسك مالفي بيدي الحكيم ولقنه الشهادتين... أشهد أن لا إله إلا الله... وأن محمدا رسول الله... لحظات وفاحت روحه إلى بارئها. لحظات وقام مالفي بإيقاظ راي肯 وآيوجي الذي بدأ بالبكاء ما إن رأى الحكيم قد فارق الحياة. أخذت دموع الصبي آيوجي تجري على خديه، خاصة أن جايري كان عوضه في السنوات الأخيرة عطف وحنان الوالدين.

ضم راي肯 آيوجي إلى صدره قائلا: اصبر يا بني... هذا مصير كل الخلائق... إنما الله وإنما إليه راجعون...

خرج مالفي ليبلغ أهل القرية بخبر موت الحكيم، وانتشر الخبر، وكان نبأ الوفاة كصاعقة نزلت بقلوبهم، واجتمع كبار القرية وقرروا دفن الحكيم بعد الصلاة مباشرة. بعد تغسيل الحكيم جايري والصلاحة عليه، حمل جثمانه إلى إحدى المقابر أين تم دفنه، ولم تتوقف الألسن عن الدعاء له بالرحمة والثبات.

عاد الجميع إلى منازلهم بعد دفن الحكيم، أما مالفي وraiKen فقد عادوا لمنزل الحكيم وأخذوا أحصنتهم التي كانت متزوجة بالقرب من بيته، وأخذوا معهم الصبي آيوجي ليكفله رايKen، وكان آيوجي قد ارتدى لباسا قرويا، كما يصلاح إلى المعصم.

وانطلقوا في رحلة العودة إلى الديار، لكن قبل أن يقطعوا مسافة طويلة، سمعوا صوتا
قادما من ورائهم ينادي: انتظروا، انتظروا...

التفت الثلاثة إلى الخلف وإذا بهم يرون حوالي خمسة عشر رجلا من أهالي القرية،
ممتدين الأحصنة، فقال مالفي مخاطبا راي肯: ماذا جرى يا ترى؟ ألم لديك فكرة عن السبب
الذي حملهم على المجيء خلفنا؟ ليرد راي肯: ليست لدى أية فكرة يا مالفي؟

فجأة قال مالفي: أظن أنهم جاؤوا يستفسرون عن آيوجي، ولم نحن نأخذه معنا،
فحن لمخبرهم أن الحكيم جاييري أوصانا به قبل أن يفارق الحياة.

- لا أظن هذا يا مالفي، فلو كان هذا لاستفسروا عن الصبي قبل أن نحن بالرحيل،
أظن أن هناك شيئا آخرا يريدون إخبارنا به فدعنا ننتظر وصولهم ثم نرى ماذا هناك.

وصل أولئك الرجال وألقوا السلام على كل من مالفي وراي肯 وقال سيدهم أنه يجب
عليهم الانتظار والرحيل في الغد إن شاء الله لأنهم سيقيمون مأدبة للترحم على روح
الحكيم جاييري، وأنه يجب عليهم أن يحضروا.

وقال آخر: نعلم أنه يجب عليكم الرحيل، فقد أمضيتم أياما عدة وأنتم بعيدون عن
أهلكم، لكن نرجو منكم ألا تبخلوا الحكيم أجراكم وأنتم أصحاب القرار الأخير.

قال مالفي: سنأتي معكم، لكن إذا عدنا فسنكون مضطرين للمبيت في أحد المنازل
للانطلاق في صباح الغد إن شاء الله، فقال أحد الرجال: منزلي تحت تصرفكم.

الفصل الثاني عشر: سيف كبير القرية

"المرء يمكنه أن يتخيّل أشياء تكون خاطئة، لكن يمكنه فقط فهم الأمور التي تكون صحيحة،

"لأنه إذا كانت الأشياء خاطئة، فإن استيعابها ليس فهما."

اسحاق نيوتن

انطلق الرجال ومالفي ورائكن الذي كان يحمل آيوجي فوق حصانه. قال رائكن لأولئك الرجال: اعدروني من فضلكم، لكن لدى سؤالان أريد أن أعرف جوابهما. فقال أحد الرجال، يظهر أنه الأكبر سناً: تفضل واطرح ما شئت من أسئلة.

- السؤال الأول يا سيدي هو لماذا لم تستفسروا عن الصبي الذي نحن آخذوه معنا؟ فقد ظننا أنكم آتون ورائنا لأجل الصبي، والسؤال الثاني، هو لماذا لم يأت منكم رجل واحد ليخبرنا هذا الخبر؟

تبسم ذلك الرجل وقال: لقد كنا نعلم أن الصبي آيوجي سيأتي معكم، هذه كانت رغبة الحكيم جايري، كان كثيراً ما يقول أنه يريد أن يكمل الصبي آيوجي حياته في قرية أخرى غير هاته القرية، أما فيما يخص السؤال الثاني، فجوابه سهل، لو جاء شخص واحد أو شخصان، ربما لم يستطيعوا إقناعكم، لذلك أتينا جماعة لكي لا يكون لكم مفرّ.

قال مالفي: مفرّ، أي مفرّ يا سيدي تتحدث عنه؟. نظر ذلك الرجل إلى رائكن وقال بابتسامة: ألن تخبر صديقك أنه لن يكون لكم أي مفرّ من القدوم معنا؟. ردّ رائكن: لا تؤاخذه يا سيدي فإنه متعب، وكذلك جد مشتاق لرؤيه أهله.

هنا قال ذلك الرجل: لا يجب التحمس كثيراً فربما لن يراهم، وهنا ثار مالفي وقال لذلك الرجل بنبرة صوت حادة: في الثانية لن أكون متسامحاً مع مثل هذا الكلام، فقال ذلك الرجل: عجباً، قلت لن تراهم، وكنت لم أكمل كلامي بعد، أنت لن تراهم بنفس

السوق، هذا كل ما أردت قوله، وحتى لو حاولت استفزازك، وجب عليك التحكم في أعصابك وعدم الغضب، ورد مالفي: افهم أني أسيء الفهم أحياناً، لذلك اقتني كلماتك جيداً، وإن كنت صادقاً في قولك فأنا اعتذر.

- لا، أنا من يجب عليه الاعتذار، اعتذرني. تابعوا المسير في صمت مطبق، ولم تمضِ مدة طويلة حتى وصلوا إلى القرية واتجهوا إلى البيت الذي ستقام فيه المأدبة.

حضر أهل القرية، وكان قد بدأ إطعام الناس بعد المغرب، وما إن أنهى مالفي ورایکن وأيوجي الطعام حتى دعاهم الرجل الذي كان أخبرهم أنهم سيقضون الليلة عنده للبيت بما أنهم سيسنون في الصباح الباكر، وفعلاً فقد ذهب الثلاثة وناموا مباشرةً، فقد كانوا متعبين جداً. كان الظاهر أنهم ناموا مباشرةً، لكن الحقيقة هي أنهم ناموا بعد بكاء ساعات الليل الأولى على موت الحكمي جاييري واير.

في الصباح استيقظ كل من مالفي ورایکن وهنا كانت المصيبة، لأنهم خُدِعوا، لم يكن أيوجي معهم، رغم أنه كان قد نام معهم، وهذه ليست هي المصيبة، فـأيوجي كان عند إحدى الأسر، المصيبة هي ما وقع لهما.

ربطت أيديهما بحبل قوية وكذلك أرجلهما. نظر مالفي إلى رایکن وقال: خدعنا يا رایکن ومن كلام ذلك الرجل أیقنت الآن أنه كان يقرب لنا هذه الصورة، لكن لم يُرد أن نفهم بأعذاره تلك، ما هذه الورطة، كان يفهمنا الكلمات دون أن يتزكنا نغوص في معناها الحقيقي، ما أغربان؟

قال رایکن: دعنا نفكر في طريقة للخلاص، فالقلق الآن لن يجعلني نفعاً.
رد مالفي: لا يمكننا تحرير أنفسنا، وتقول لي أن لا أقلق. لحظات ودخل أربعة رجال، رجال آخرون غير الذين كانوا معهم البارحة.

قال أحدهم: لا تقلقوا، ستتضاح الصورة بعد قليل.

أخرج أولئك الرجال كلاً من مالفي ورایکن، وما إن خرجوا حتى وجدوا جمّعاً غفيراً من الناس ينظرون إليهم وكأنهم ارتكبوا جرماً، وتمّ اقتيادهما إلى ساحة القرية. كانت ساحة واسعة جداً، واجتمع الناس من رجال وشيوخ وصبية وشبان.

ربط مالفي ورایکن إلى أحد الأعمدة الخشبية، ولم يكن باستطاعتهما الحراك، وقدم أخيراً الرجال الذين كانوا يمتطون الأحصنة بالأمس، يتقدّمهم ذلك الرجل الذي كان يحاول استفزاز مالفي.

قال مخاطباً مالفي: إذن، لم يعد لديكما أيّ مفرّ من نيل عقابكم، وربما لن ترى أهلك فعلاً. هنا فقد مالفي أعصابه وقال بنيرة غاضبة: من حسن حظك أنني مقيد.

قال ذلك الرجل وهو يتسمّ بابتسامة تدل على الرضى: لا تكون عصبياً، تعلم أن تبتسم عندما تفقد أعصابك، تماماً مثلما أفعل، ستتحسّن بشعور رائع.

حتى هذه اللحظة كان رایکن لا يزال صامتاً، حتى رمى عنه ستار الصمت وقال: لكن أين الصبي آيوجي؟ ولماذا فعلتم بنا هذا؟

تبسم سيدهم في وجه رایکن ثم أشار إلى رجلين وقال: ها هو ذا الصبي آيوجي واقف أمامهما وهو على أحسن ما يرام، وأكمل حديثه قائلاً: أما فيما يخص فعلتنا هذه، فيجب علينا أن نعرف من منكما قتل الحكيم جاييري، وعندما نعرف القاتل سنقتله والبريء سيطلق سراحه ويذهب بالصبي، لأن هذه وصية حكيمنا المتوفى رحمة الله.

احتار الاثنان من التهمة التي وجهت إليهما، ولم يصدقوا الورطة التي وقعوا فيها.

قال رایکن: لكننا لم نقتل الحكيم جاييري، إنما حان أجله فمات، هذا كل شيء. رد عليه سيدهم: لا تكون غبياً فالبارحة كنت ذكياً بتلك الأسئلة. قال: التعذيب كفيل يجعل القاتل يعترف، وإن لم يعترف سيموت تحت أسواط التعذيب.

فقال مالفي: ولو كان حقاً لم يقتل، ألن تكون ظالماً إن عذبه وقتلته؟

رَدَّ ذَلِكَ الرَّجُل بِابْتِسَامَةٍ: لَكِنْ أَلْنَ يَكُونُ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ إِنْ كَانَ مُشْتَبِهَا فِيهِ وَلَيْسَ لَدِيهِ
دَلِيلٌ لِيُثْبِتُ بِرَاءَتَهُ؟

هُنَا قَالَ مَالْفِي: لَا أَمْلَ لِظَاهْرِ الْحَقِّ مِنْ يَصْرِّ عَلَى تَجْرِيمِنَا، أَنْتُمْ تَرِيدُونَ مِنّْا اعْتِرَافًا
حَتَّى وَلَوْ كَانَ كَاذِبًا.

تَعْرُضُ الْأَثْنَانِ لِلْأَلْوَانِ مِنَ التَّعْذِيبِ وَآيُوجِي يَقُولُ بِصَوْتِ بَاكِيٍّ: اتَرْكُوهُمَا فَهُمَا لَمْ يَقْتَلَا
الْحَكِيمَ جَائِيرِي، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتَهُ لِتَجْعَلُهُمْ يَكْفُونَ عَنْ تَعْذِيبِ مَالْفِي وَرَايِكَنْ.

هُنَا تَوَجَّهُ سَيِّدُهُمْ نَحْوَ آيُوجِي وَقَالَ بِابْتِسَامَةٍ عَلَتْ حَمِيَاهُ: قُلْ لِي يَا صَغِيرِي مِنْ كَانَ
وَرَاءَ قَتْلِ الْحَكِيمِ جَائِيرِي وَإِيْرِ؟ وَهُوَ يَسْحُبُ عَلَى رَأْسِهِ.

قَالَ آيُوجِي: صَدِقْنِي يَا سَيِّدي، إِنَّ الْحَكِيمَ تَوَفَّ عِنْدَمَا حَانَتْ سَاعَتُهُ... صَدِقْنِي...
هُمَا لَمْ يَقُومَا بِقَتْلِهِ...

ابْتَسَمَ ذَلِكَ الرَّجُل مِنْ جَدِيدٍ وَقَالَ: فَتِي سِيءٌ، يَا لَكَ مِنْ نَاكِرٍ لِلْجَمِيلِ، كَانَ الْحَكِيمُ
جَائِيرِي يَعْدُكَ مِثْلَ ابْنِهِ، وَالآنَ تَتَسْتَرُ عَنْ قَاتِلِهِ.

كَانَ مَالْفِي صَامِتًا طَيِّلَةً فِتْرَةً تَعْذِيبِهِ وَكَأْنَهُ لَا يَحْسَ بِأَيِّ أَلْمٍ، لَكِنْ رَايِكَنْ تَحَامَلَ عَلَى
الْأَلْمِ فِي الْبَدَائِيَّةِ وَسَرَعَانَ مَا انْهَارَ وَبَدَأَ يَقُولُ: لَمْ نَقْتُلْهُ صَدِقُونَا... نَحْنُ لَمْ نَقْتُلْهُ، وَهُنَا لَمْ
يَحْتَمِلُ مَالْفِي رُؤْيَا صَدِيقِهِ وَهُوَ يَحْاولُ مُحاولةً فَاشِلَةً لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمَا.

قَالَ مَالْفِي: أَنَا مِنْ قَتْلِ الْحَكِيمِ جَائِيرِي وَإِيْرِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَسَّلُ لِلْمَوْتِ مِنْ شَدَّةِ الْأَلْمِ
الَّذِي كَانَ يَشْعُرُ بِهِ.

صَعِقَ رَايِكَنْ عَنْدَ سَمَاعِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَقَالَ: مَا زَادَ تَكْذِيبُ يَا مَالْفِي، أَنْسَيْتَ أَنْ
لَدِيكَ عَائِلَةً يَحْبُّ أَنْ تَعِيشَ لِأَجْلِهَا؟

قَالَ مَالْفِي: كَنْتَ أَنْتَ وَآيُوجِي نَائِمِينَ عِنْدَمَا اشْتَدَ الْأَلْمُ عَلَى الْحَكِيمِ، فَقَمْتَ وَقَتْلَتَهُ
وَهُنَا اعْتَرَافٌ بِالذَّنْبِ، لَيْسَ كَذِبًا، وَسَاحِنِي لِأَنِّي فَعَلْتُ هَذَا، قَالَ مَالْفِي كَلَامَهُ هَذَا بِكُلِّ

برود وببرة صوت راضية.

صدم الجميع بعد اعتراف مالفي أنه هو من قتل الحكيم، وهنا رفع العذاب عن راي肯 وأمر بقتل مالفي، وإخلاء سبيل راي肯 واتجه راي肯 نحو مالفي، وقال: لماذا تكذب وأنت لم تقتلته؟. فقال مالفي: أنت لم تعرفي سوى مدة قصيرة يا راي肯، اذهب وخذ آيوجي معك وانس أمري فيجب أن أدفع الثمن، وتعلم أن لا تحاول أبداً تخفيف الألم بارتكاب الأخطاء، حاولت أن أخفف الألم عن الحكيم بارتكاب خطأ، لذلك يجب علي دفع الثمن.

كان مالفي سيعدم، ولم يعدل عن أقواله، وبالرغم من إلحاح راي肯 إلا أنه بقي متمسكاً بكل كلمة قالها وأنهى محاولات راي肯 للعدول عن تلك الأقوال بقوله: لا، لا تحاول تبرئة قاتل يا صديقي، قل لزوجتي أن زوجها ارتكب خطئاً يستحق القتل، لتسانين بسرعة، فإذا غادرت محبك بذنب سينساك بسرعة، وإن غادرته بإحسان فإنه لن ينساك. أتى رجل ضخم الهيئة حاملاً سيفاً حاداً في يده لضرب عنق مالفي، وraiKen وآيوجي غير مصدقين لما يجري. ما إن هم الضخم بضرب عنق مالفي، حتى صرخ سيدهم بأعلى صوته: توقف، توقف... فتجمد الضخم في مكانه، وحل الصمت بين كل الجموع. قال: أغبياء، كدت أن أخطأ خطئاً جسيماً ولم تخبروني، يجب أن لا نطبق أي حكم في غياب كبير القرية.

أخفض كل واحد بصره نحو الأرض، وشعّ الأمل في عيون راي肯 من جديد لإنقاذ صديقه مالفي الذي اعترف بأنه كان القاتل.

هكذا أمر سيدهم أن يقتادوا مالفي إلى السجن حتى موعد عودة كبيرهم الذي لم يفهم رايKen ولا مالفي من يكون وأي سلطة لديه.

سأل رايKen آيوجي فقال: كبير القرية يدعى هايشيد. شيخ في عمر الستين، صاحب

القرار، الأمر والناهي، لا يمكن أن ينفذ أي حكم إلا بموافقته، وإذا خالفه أحد فإن مصيره الموت، حتى ولو كان السيد غومن باید... الرجل الشرير الذي يسيء الظن بكمـاـ أخذـ مـالـفـيـ وـرـايـكـنـ إـلـىـ السـجـنـ،ـ وـقـدـ أـخـذـ رـايـكـنـ أـيـضـاـ حتـىـ لـاـ تـكـوـنـ لـهـ أـيـةـ مـحاـولـاتـ إـنـقـاذـ مـالـفـيـ،ـ أـمـاـ آـيـوجـيـ فـأـخـذـهـ السـيـدـ غـومـنـ بـاـيـدـ لـبـيـتـهـ رـيـثـمـاـ يـعـودـ كـبـيرـ القرـيـةـ وـيـصـدـرـ حـكـمـهـ.

كان آيوجي في بيت غومن باید وتحت رقابة شديدة، ولم يخرج من البيت أبداً، وكانت زوجة غومن تعتنى به على أحسن وجه، أما مالفي ورایکن فكانتا في السجن والجروح والخدمات تملأ جسديهما جراء التعذيب الذي تعرض لهـ.

أثناء فترة سجنهما قال مالفي لرایکنـ: اعذرني يا صديقي على كل ما سببته لكـ،ـ فأنتـ كنتـ فيـ غـنـيـ عـنـ هـذـاـ وـأـنـاـ مـنـ وـرـطـكـ.

ـ أناـ أـفـكـرـ كـيـفـ نـنـقـذـ أـنـفـسـنـاـ،ـ وـأـنـتـ تـتـفـوهـ بـهـذـاـ الـهـرـاءـ.ـ فـقـالـ مـالـفـيـ:ـ عـجـباـ لـكـ،ـ لـاـ تـرـازـ تـحـاـولـ جـاهـداـ إـنـقـاذـ قـاتـلـ؟ـ

ـ أناـ لـاـ أـحـاـولـ إـنـقـاذـ قـاتـلـ،ـ إـنـماـ أـحـاـولـ إـنـقـاذـ صـدـيقـيـ،ـ قـتـلـتـ الحـكـيمـ جـاـيـريـ وـتـفـهـمـتـكـ،ـ أـحـاـولـ إـنـقـاذـ صـدـيقـ لـيـ عـسـىـ أـجـعـلـ مـسـتـقـبـلـهـ أـفـضـلـ،ـ أـخـطـأـتـ،ـ لـكـ بـطـرـيـقـةـ تـمـكـنـاـ مـنـ العـفـوـ عـنـكـ.

كان كبير القرية قد ذهب إلى قريتين متجاورتين لفض النزاع الذي جرى بينهما، وإيجاد حل وسط يرضي كل قرية، وقد نجح في أن يصلح بينهما، ولم تمض مدة طويلة حتى رجع إلى قرية دورياساكـ،ـ كان ذلك بعد حوالي عشرة أيام من وفاة الحكيم جاـيـريـ.

كان كبير القرية طويلاً وقوياً البنية، في مشيته هيبة عظيمة، يضع فوق رأسه قبة تشبه إلى حد كبير قبة المزارعين، شعره شائب وطويل، ذو عيون سوداء ولحية كثيفة، لا يمشي إلا في يده عود صغير يقلبه بين أصابعه.

عاد إلى القرية، وكان الجميع في استقباله، وقصد بيت الحكمي جايري مباشرة، فهما صديقان مقربان من بعضهما، هذا قبل أن يخبروه أن الحكمي قد فارق الحياة في فترة غيابه الأخيرة، فحزن حزناً شديداً، وأمر أن يأخذوه إلى قبر الحكمي فأخذوه، وهناك قام بالترجم عليه.

بينما كان راجعاً وغومن باید یسیر بجانبه حتى قال له أحتم شكوا باثنين وهما الآن في السجن، وأن أحدهما قد اعترف أنه قتل الحكمي جايري واير بعد التعرض للتعذيب. هنا أدار هايشيد وجهه ونظر إلى غومن قائلاً: أعد على مسامعي ما قلته للتو، فأعاد غومن نفس الكلام وما هي إلا لحظات حتى قام هايشيد بدفعه دفعه قوية، كادت تسقطه، لولا أنه استعاد توازنه، وهنا جلس الجميع على الأرض، بما فيهم غومن وهي عادتهم إذا غضب هايشيد، وكسر هايشيد ذلك العود الصغير الذي كانت تداعبه أنامله. قال: أحضروا السجينين إلى القصر، وهو ينظر نظره الحازمة إلى غومن باید.

أحضر كل من رايكن ومالفي، وأمر كبير القرية أن يُفك رباطهم، ورأى آثر الجروح والخدمات على وجهيهما، فتقدما نحوهما قائلاً: أرجو منكم أن تسماحاني على فعلتهم؟. احتار مالفي ورايكن وقال مالفي: لكنك لم تخطأ يا سيدني أي خطأ معنا فكيف نسامحك؟

- أجيأ على قدر السؤال، تسماحاني أم لا؟. قال رايكن: نحن نسامحك.

- حسناً، الآن تبدأ المحاكمة. قال: من قال أنه قتل الحكمي جايري واير فليتقدما نحوه في الحال، فتقدما مالفي نحوه وكان في طول كبير القرية، وأخض مالفي رأسه إجلالاً له، فقال هايشيد: ارفع بصرك، وما إن رفع مالفي بصره حتى قال هايشيد: قد قلت أنك أنت من قتل الحكمي جايري، حتى ولو اعترفت اعترافاً كاذباً فالاعتراف الكاذب يعد اعترافاً بيّناً يا بني.

هنا قال غومن: إذن لماذا دفعتني يا سيدتي عندما قلت لك أنه اعترف بجرائمته؟

نظر هایشید إلى غومن وقال: من طلب أن تأخذ مكانی؟

ذهب هايسيد إلى إحدى الحجرات في ذلك القصر، وبدا وكأنه يبحث عن شيء ما داخلها، وما لبث أن نادى على زوجته هيبيلاك ليأسأها قائلاً: أين وضعت السيف، فلا أحد يمكنه دخول هذه الحجرة، إلا أنا وأنت؟

ردت زوجته مستغربة: أنا؟. لم أمسه في حياتي قطّ، فكيف أمسه الآن؟ انظر فلا بد
أنك غيرت مكانه. لحظات قليلة وقال هايشيد: آه، أحيانا تكون الأشياء أمامنا مباشرة،
ولا نراها، آسف على إزعاجك.

لحظات فقط قبل أن يحضر هايسيد سيفا طويلاً، واستله من غمده. قال: الآن سنعرف القاتل، جعل السيف يلامس عنق مالفي، ثم نظر إلى عيونه، وكان مالفي قد نزف القليل من الدم.

لحظات وأخض هايشيد السيف قائلاً: يستحيل أن تكون قد قتلت الحكيم جاييري يا بني، وفي نفس الوقت كان عليك أن لا تكذب لإنقاذ صديقك، كان عليك أن تختسب وتصير. ثم أمر أن يعتن بالفهي ورایکن وآپوجي، ريثما يرحلوا.

في السويعات الأولى للصبح غادر كل من راينكن ومالفي وأيوجي، كان كل واحد منهم يحاول أن يكتب الدموع على موت الحكيم، خاصة آيوجي الذي قضى معه سنينا ورأى منه كأصوات العطف والحنان واللطف.

سار الثلاثة صوب الطريق الجبلية للعودة إلى الديار، وأثناء مسيرهم التقى را يكن شخصاً في الخمسين من العمر، كان طويلاً القامة أيضاً، ممتلئ الجسم وما إن رأه را يكن حتى ترجل من الحصان وسلم عليه قائلاً: كيف حالك يا عم فيرا يكن؟ ترجل مالفي كذلك وأنزل الصبي آبوجي وصافحاً فيرا يكن الذي قال لرا يكن: بخير يا

بني، ثم نظر إلى مالفي وصافحه وهو يمسح بيده الأخرى على رأس آيوجي، ثم قال مخاطباً آيوجي: كيف حالك يا بني؟ و هو يظن أنه ابن مالفي .

قال راي肯 مخاطباً مالفي: إنه جارنا في القرية، ثم نظر إلى فيرايكى قائلاً: مضت فترة طويلة ولم أرك بالقرية، هل كل شيء بخير؟

- أجل، إني أدير عملاً هنا يا بني ولا أعود إلى المنزل إلا مرة في الشهر، هل كل العائلة بخير؟ اشتقت لسادوي كثيراً.

- أجل، وكانت آيلايتى مريضة في الأيام القليلة الماضية فقط لكنها شُفِيت من مرضها والله الحمد. قال فيرايكى: الحمد لله أنها تعافت يا بنيّ.

تابع فيرايكى: أظن أنكم راجعون إلى دانجيه، لذلك أقترح أن تبيتوا الليلة عندي وتغادروا في صباح الغد إن شاء الله، هكذا تكونون قد ارتحتم من تعبكم.

- هذا لطف كبير منك، أشكرك كثيراً. اتجه الأربعـة إلى البيت الذي يقيم فيه فيرايكى وأخبره راي肯 عن وفاة الحكمـ جـايـريـ واـيرـ فـتاـسـفـ فيـراـيـكـيـ كـثـيـراـ، وـتـبـادـلـواـ أـطـرافـ الـحـدـيـثـ حتى وصلوا إلى المنزل. كان منزلـاـ متـواـضـعاـ لاـ شـيـءـ فـيـهـ مـلـفـتـ لـلـنـظـرـ، وـكـانـ فيـراـيـكـيـ يـقـيمـ فـيـهـ لـوـحـدـهـ. تـناـولـواـ طـعـامـ الـغـدـاءـ ثـمـ أـخـذـوـاـ الـقـيلـوـلـةـ، وـانـقـضـىـ الـيـوـمـ بـشـكـلـ عـادـيـ، تـناـولـواـ العـشـاءـ ثـمـ خـلـدـوـاـ لـلـنـوـمـ.

في ظهيرة اليوم التالي انطلقاً وهذا بعدهما أرشدهم فيرايكى إلى درب مختصرة تؤدي إلى المنطقة المستوية في الجبل.

قال مالفي: إنه شخص طيب القلب، هل كل سكان قريتكم طيبو القلب؟. رد راي肯: أظن ذلك، لكن بالنسبة لفيرايكى فإنه الصديق المقرب لعائلتنا ولديه ابن في عمرنا يكون صديقاً لي، لم تره في الأيام السابقة لأنني لا ألتقي به كثيراً. بينما هم ماشون، حتى اقترب راي肯 بمحضه من مالفي وهمس له قائلاً: أحـقاـ قـتـلـتـ

الحكيم جايري؟

- أبداً، هل اعتقدت للحظة أنه يمكنني فعل ذلك؟ رأيت نفسي مسؤولاً عما يجري لك فأردت أن ترجع سالماً، هذا كل شيء.

كانت تعابير السماء فوقهم شاحبة، النسمات الباردة تملأ الأجواء، الأرض القاسية تنهر حوافر الأحصنة، ومضوا يتقدمهم مالفي، أمّا راي肯 فكان يضع الصبي أمامه وهو يسير خلف مالفي مباشرةً لضيق تلك الدرب الموعجة التي تشق الجبل كأنها قارب صغير أخذ يشق مياه البحر بلطف شديد، يتربّل في الأمواج أن لا تهيج فينقلب، والثلاثة على ظهر الأحصنة يتربّلون ألا تثور حيوانات الغابة فتعصف بهم في لحظة خاطفة، كانوا يسرون في اطمئنان، وتنذر البيت الذي يقتربون منه في كل خطوة كان يلقي في نفوسهم اطمئناناً وسكوناً أكثر.

مع إنذار الشمس بأن غروبها لهذا اليوم قد حان كان الثلاثة قد اقتربوا من البيت الخشبي الذي أقاموا فيه قبل وصولهم إلى الحكيم المتوفى جايري واير.

قال مالفي: هذه الدرب أفضل من الدرب التي سلكناها أول مرة لنصل إلى دورياساك، إنها مختصرة جداً.

مع اقترابهم أكثر قال راي肯 مالفي: تمهل، أرى أن نترك الأحصنة في جهة أخرى ونتفقد المنزل أولاً، فمن الممكن أن نجد فيه أناساً غيرنا.

قال مالفي: وما الضير لو وجدنا أناساً غيرنا، فنحن في الأخير سنبيت فقط.

- تذكر يا مالفي قوله أنه يجب علينا الانتباه، لا تنس أن الأشخاص ليسوا كلهم طيبين فهناك الأشرار، لربما وجدنا أناساً سيئين؟

- أنت على حق، لكن كيف نترك الحصانين هنا ونذهب لذلك المنزل؟

- لن يهربا من هنا، وسنعود إليهما ما إن نتأكد من عدم وجود أي خطر. أمسك

مالفي بيد آيوجي وببدأ الثلاثة يتقدمون في حذر شديد، فجأة تذكر راي肯 أمر السيف
فقال: انتظاري لحظة، سأتي بالسيفين وأعود.

أحضر راي肯 السيفين واستأنفوا المشي بين الأشجار الكثيفة ببطء شديد وأعينهم
تنظر يميناً وشمالاً حتى وصلوا إلى أحد جوانب البيت.

كان الظلام قد بدأ بالتربيع على عروش الغابة حين همس مالفي في أذن راي肯 قائلاً:
أرأيت الشامة في باطن الذراع الأمين لآيوجي والتي تبدو كأنها نقطة صغيرة، صغيرة جداً؟
أجاب راي肯: يا لشدة ملاحظتك، دعنا من هذا وأنصت إلى أي صوت مريب.

أنصت مالفي وراي肯 جيداً ليسمعاً أصواتاً تصدر من داخل البيت. كان حدثياً
عادياً بين الأشخاص الذين كانوا داخل البيت، فسرّوا كثيراً وقرروا الاستئذان وإلقاء التحية
على من بداخله، لكن قبل وصولهم إلى الباب ببعض خطوات سمعوا رجلاً كان صوته
شديد الخشونة يتكلم.

كان صوته مخيفاً وهو يتكلم، فجأة شعر الثلاثة بالفزع بسبب ما سمعوه. تراجعوا
بطء شديد، فجأة داس مالفي على أحد الأغصان وكسرها وانتبه صاحب الصوت
الخشين، فأسرعوا بالتراجع واختبئوا وسط الأشجار.

خرج صاحب الصوت الخشن وقال: أياً كنت فاخرج، لن ينفعك الاختباء يا هذا.
كان رجلاً ضخماً البنية، في نبرة صوته تلك يشعر المرء بالخوف حتى يكاد يصرخ من
شدة الفزع ويكشف أمره!

بقي الثلاثة محتلين والضخم ينظر هنا وهناك حتى خرج أربعة آخرون، وقال أحدهم:
دعك من شكوكك، فمن قد يقترب من هذا المكان خصوصاً في هذا الوقت، لا بد أنه
مجرد حيوان مر من هنا؟

رد الضخم قائلاً: لا تكن غبياً، النار متقدة ولن تتجرأ الحيوانات على الاقتراب، أنا

متأكد من أن هناك شخصاً ما.

فجأة أشار مالفي لراي肯، وبخفة استل كل واحد سيفه وفاجئاً رجلين من الخلف، ثم أشاراً للثلاثة الباقيين بأن يجثوا على الركب وقال مالفي أن حركة واحدة قد تكلفهم حياة صديقيهما، في حين طلب راي肯 من آيوجي أن يبحث عن بعض الرجال داخل البيت. أحضر آيوجي بعض الرجال المتنية، وكان قد وجد خمسة بنادق.

قال مالفي: أحسنت يا آيوجي، ثم طلب منه أن يقييد كل واحد منهم إلى جذع شجرة، وهو ما فعله آيوجي بسرعة.

وهكذا قيد مالفي ورائكن الاثنان اللذان كانوا تحت سيفيهما، وتأكدوا من أن جميع الرجال محكمة، ثم دخل راي肯 إلى البيت للتأكد من عدم وجود أية أسلحة أخرى.

بعد ذلك أتى مالفي بالأحصنة، وقدم راي肯 سكيناً غير حاد لأحد الرجال وقال: صحيح أنه غير حاد، لكنه كفيل بأن يجعلكم تحرّرون أنفسكم ولو بعد فترة، ونكون نحن قد ابتعدنا، هكذا سنكون متعادلين... في أمان الله...

شعر الرجال بالامتنان في حين غادر مالفي ورائكن وآيوجي بصحبتهما.

الفصل الثالث عشر: الشخص الغامض

"عندما أخبرته أن قلبي من طين، سخر مني لأن قلبه من حديد، قريباً ستمطر، سيزهر قلبي وسوف يصدأ قلبه."

شمس الدين التبريزى

كانت الأمور تجري على أحسن ما يرام، وكانت الأيام بالنسبة للفتاتين متعة تغمر قلبيهما، في تلك الأجواء الرائعة للطبيعة الخلابة وتلك الراحة للعواطف قرب الأهل، لكن سرعان ما بدأت الحياة تكشف عن وجهها السيء، تنزع أثواب السكينة والمهدوء، وحلل السعادة والفرح، لتبتلها بأثواب الكآبة والهم، وببدأت بإلقاء الظلال السوداء للأحزان التي أذهبت سرور تلك القلوب الناعمة والأرواح الصافية.

كان كل شيء رائعاً، خاصة أن إيستارا الذكية قد حُدّدت من طرف أمها، وهذا أثناء لعبة المطاردة، فقد كانت إيمي تركض لتمسك إما إيستارا وإما جوساي، وفي لحظة سقطت واتجهت إيستارا تجري نحوها لتطمئن على حالها، فأمسكتها إيمي وقالت: والآن أين ستذهبين؟ أتيت بمحض إرادتك لأمسنك!

انتابت جوساي نوبة ضحك شديدة، في حين قالت إيستارا: لم تمسكيني، بل لعبت على عواطفني.

بدأ كل هذا الألم في إحدى الليالي، بعد حوالي شهر من ذهاب مالفي وكوريسي، عندما أنهى العشاء الذي كان ممِيزاً ورائعاً.

أعدت إيمي في ذلك اليوم العشاء كعادتها مع أمها، كان طيباً وشهياً، مكوناً من شرائح اللحم المشوي والأرز باللحوم، وغير ذلك من المأكولات الشهية وكذلك عصير الفواكه الحلو الذي كانت تعدد إيمي وهي تقول: لا شك أن إيستارا سُتحسّر بمذاقه

الرائع، كيف لا وقد أعددته بكل حب، وأنواع من الفواكه لذيدة الطعم، وردّدت:
خطواتنا صغيرة، أحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة... لحظات وسمعتها
إيستارا.

ابتسمت قائلة: آسفة يا أمّاه... كلمات مملة، حروفها كسلة، فارغة مستلة،
كالكسناء مبتلة!

ابتسمت إيمي قائلة: ما هذا الذي تقولينه يا مجنونة؟

ردّت إيستارا: وما الذي كنت تقولينه أنت يا أمي؟ ثمّ ردّدت إيستارا: خطواتنا
صغيرة، وأحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة... لا، لا يا أمي، كسرت
كل المعاني عند الضفيرة، لا بأس، سأصححها.

نادت على جوساي وبمجرد أن وصلت هذه الأخيرة حتى قالت لها رديدي معي: علينا
الرحيل، إلى حيث المجرات تميل، علينا فعل المستحيل، حتى نرى للأحلام دليل.
قالت لوالدتها: كوني متفائلة يا أمي... لحظات وقالت إيمي: انتظرن: علينا الرحيل إلى
أين؟...

ابتسمت جوساي وقالت: علينا الرحيل إلى حيث المجرات تميل، وبدان بالضحك،
والفرحة العارمة تغمر قلوبهن، وعادت الفتاتان للعب في غرفتهما.

وضعت إيمي وياريكا الأطباق فوق المائدة التي كانت مضاءة بأنوار جميلة، ثم نادت
إيمي الفتاتين لتناول العشاء، وسرّتا كثيراً بذلك العشاء الفاخر. هذا ولم يسهروا في تلك
الليلة كثيراً وخلدوا للنوم أبكر من العادة.

حوالي الساعة الثانية صباحاً بدأت الأحصنة بالصهيل، وهو ما جعل إيمي تستيقظ
من النوم. أخذت مشعلاً وتوجهت به نحو الباب، ففتحته ببطء شديد حتى لا توقظ أمها
والفتاتين، وذهبت إلى الإسطبل وما إن رآها البر حتى أخذ يمشي بمحاذاتها، فمسحت

على رأسه قائلة: كأنك ذهبت للصطياد وعدت، لم لا ترتاح؟ فتحت باب الإسطبل، والببر الأبيض يتبع خطواتها، وبدأت تتفقد في الأحصنة الواحد تلو الآخر فلم تجد ما يدعو للريبة وتفقدت المكان بأكمله، كان كل شيء على ما يرام، لكن انتبهت إلى أن أحد الأحصنة بدأ بالصهيل من جديد فاتجهت نحوه، ثم أخذت تتفحصه.

لم يكن هناك أي شيء يدعو للريبة، لحظات ومحظى إيمى عينان تلمعان. سرت القشعريرة في كامل جسدها، تسارعت نبضات قلبها بشدة، وابتلعت ريقها من شدة الخوف.

لم تتمكن إيمى من معرفة الشخص الذي قال: آسف يا أختاه. وخلال لحظات خاطفة كانت إيمى على الأرض دون حراك. أطفأ ذلك الشخص نار المشعل في حوض المياه ثم رحل، أما الببر الذي كان رافقها فقد عاد إلى الفناء.

حل الصباح، واستيقظ الجميع نشطين لاستقبال يوم جديد تعمه الأفراح، لكن الحياة دوماً تفاجئنا، مفاجئتها قد تكون أفرحاً وقد تكون أحزاناً، فنفرحنا لتقول أن الحزن ليس كل شيء، وتحزننا لتقول أن الفرح كذلك ليس كل شيء.

بعدما استيقظت إيستارا أيقظت جوساي وقالت: هيا، انضمي يا كسولة، ودعوك من النوم، اتجهت إلى غرفة جدتها تجري والسعادة تملأ محياتها، وكأن لديها شيئاً تريد قوله. استأذنت جدتها للدخول فأذنت لها، وراحت تقبلها.

قالت إيستارا: جدتي، أين أمي؟ لدى شيء أريد أن أطلعكم عليه، أين هي، أين؟ أجبت ياريكا: لعلها تهتم بالحيوانات يا ابنتي، لكن ما هذا الشيء الذي تودين قوله وجعلك تطيرين من الفرحة هكذا، أخبريني يا ابنتي؟

قالت إيستارا: كل الأحلام التي أراها في المنام تتحقق.

اتسعت عينها التي تأسران كل قلب، وقالت: احزمي يا جدي، رأيت في المنام أنّ
شمل عائلتنا سيجتمع ونرى جدي كيجبير.

فجأة دخلت جوساي وقالت: أين خالتي؟

قالت إيستارا: عندما أريد إخبارها بشيء تكون مهتمة بإطعام الحيوانات والدجاج،
لذهب إليها حالاً، فأنا في أشد الشوق لإخبارها.

اتجه الثلاثة نحو الإسطبل وإيستارا تسرع الخطى، وما إن اقتربت حتى بدأت تنادي:
حبية ماما، أين أنت؟ تعالى يا روح ماما.

لكن ما إن دخلت ورأت أمها على الأرض حتى سبقتها الدموع، وأسرعت لتمسك
بiederها، وهناك كانت الصاعقة التي عصفت بقلبها دون استئذان، انسلت تلك اللحظات
لتكون سيف برق قطّعت ومنقت قلبها.

لم تكن إيبي تتحرك البتة، كانت جثة هامدة، وما إن رأتها ياريكا حتى جئت على
ركبتيها وضمتها إليها والدموع تنسكب من عينيها، وكذلك جوساي، أما إيستارا فتوقفت
الزمن عندها، في حين راحت ياريكا تقول بصوت باكٍ: إنا لله وإننا إليه راجعون...
فقدت إيستارا نفسها في هذا العالم... بقيت تردد: إنا لله وإننا إليه راجعون، وركضت
جوساي بدموعها إلى الجيران لتخبرهم، فهرعوا إلى ياريكا وإيستارا، وكانت حالمم كحال
ياريكا وحفيدتيها... بقيت الألسن تردد إنا لله وإننا إليه راجعون...

احتضنت روسينات زوجة غايد إيستارا وجوساي والدموع تملأها قائلة: أصيرا يا ابنيّ،
علينا أن نرضى بقضاء الله وقدره.

رجح الجميع أنّ إيبي تلقت صدمة من حوافر أحد الأحصنة، فتوفيت على إثرها،
وcameت بعض النسوة بحمل إيبي لتغسلها، فيما جلست الآخريات مع ياريكا يواسينها،
أما روسينات فلم تبتعد قيد شبر عن إيستارا وجوساي.

قامت عجوز مسنة بتغسيل إبّي وتكتفينها، في حين ذهب بعض الرجال، من بينهم غايد وجورفين لحفر القبر في مقبرة القرية التي لم تكن تبعد كثيراً عن منازلهم.

حمل غايد والأقارب نعش إبّي فوق أكتافهم واتجهوا صوب مقبرة القرية لدفنه، ولم يكن الموكب الجنائزي يحوي جمعاً من الناس وهذا بحكم القرية التي يعيشون بها.

بعد الصلاة على إبّي، تمّ دفنه، ودعا الجميع لها بالثبات والرحمة، ثم عادوا إلى منازلهم

وهم يمنون النفس بفعل الخير قبل الدخول إلى ظلمة القبر.

كانت العيون دامعة والقلوب دامية، لكن لا يوجد أي دواء شافٍ سوى الاحتساب والصبر الجميل.

لم تمضِ إلا أيام قلائل حتى بدأ كل شيء يعود كما كان، لكن هذا بالنسبة للجيران فقط، فصدمتهم موت إبّي كانت لا تزال آثارها في قلب كل من ياريكا وجوساي وإيستارا، وأكثر ما كان يخفف الصدمة ولو قليلاً هو تعاطف الجيران معهم في كل يوم حتى ينسين تلك الفاجعة، فلا بد من النسيان، فالحياة لا تزال قائمة، ليس قسوة من القلب أننا ننسى لكن يستحيل العيش مع الحزن والألم.

أيام قليلة، لتنذهب إيستارا وتمسك الدفتر الجميل الذي كانت قد أهداه لها صديقتها ريتومي، لتتجدد الكلمات الأخيرة التي كتبتها:

رمال الحب تناسب بين ثنائيك الليليه، ورياح الشوق تعبّر من خلال تفاصيلك المسككه، زهور العمر تسأّل عن مياهك الطيفيه، أطيار قلبي تريد أن تبهج لياليك الصيفيه، وأحساسي المكسورة ستجتمع في لمسة من أيادي أحلامك الورديه، لتسبع في بحراك السحره.

مبشرة حملت الريشة وزجاجة الحبر وبدأت تكتب:

آلاف من اللحظات الجميلة التي أهديتها لي، لم تكن كفيلة لتجلي ظلام هذه

اللحظات، ذكريات جميلة بقيت عندما كنت أرتقي بين ذراعيك، في لحظة الألم، أو في لحظة الفرح، أظلمت الأيام، فهل تضاء لو ملئت كؤوسها بنور النجوم والأقمار؟...

ودعاء قلبي أن يعطّر دريّنا
لا تقلقي إذ لن يمْرَّق قربنا
صارت ضيا فلك يلحس حبّنا
قولي وأي الود يسري بيننا
تبقي بأفكاري ويبقى عهدا
روحـي محـاك البـديع فـرشـدـنا
أـلوـان وـدـخـالـصـ في جـوـنـا
هـذـي رسـالـاتـ تـخـلـدـ حـبـنـا
لبـدـايـتـي وـنـهـايـتـي وـقـتـا دـنـا
لـونـ الشـذـى الفـواـحـ تـرـقـصـ بالـدـنـاـ؟
سـقـتـ الفـؤـاد لـعـالـمـ، تـبـقـيـ أـنـاـ
بـخـواـطـريـ، نـسـيـانـ وـجـهـكـ لـاـ هـنـاـ
لـاـ تـقـلـقـيـ، أـبـداـ خـلاـصـيـ أـمـكـنـاـ
تـتـرـكـ هـنـاـ أـثـرـ اـحـتـرـاقـ بـيـنـاـ

ونـسـجـتـ أـثـوابـاـ تـبـارـكـ وـدـنـاـ
يـاـ روـضـةـ أـهـدـتـ لـقـلـبـيـ بالـدـنـاـ
لـحظـاتـنـاـ سـنـعـيـشـ فيـ أـكـنـافـهـاـ
سـلـمـتـ قـلـبـيـ ذـبـثـ فيـ ذـاكـ النـدـيـ
لـاـ تـحـزـنـيـ أـبـداـ يـاـ شـمـسـ المـنـيـ
قولـيـ وأـيـ مـبـاهـجـ أـلـقـتـ عـلـىـ
رـشـ الفـؤـادـ لـلـحـظـةـ أـحـلـامـنـاـ
قـرـبـكـ أـنـاـ، طـيفـيـ يـلـامـسـ وـجـنـتـكـ
أشـوـاقـ رـوـحـيـ عـطـرـتـ فيـ أـحـرـفـ
أـنـتـ الـحـلـمـ أـمـ باـقـةـ الـأـحـلـامـ فيـ
وـمـزـجـتـ إـحـسـاسـيـ بـحـرـ عـواـطـفـكـ
وـحـفـرـتـ كـلـ الذـكـرـياتـ - حـبـيـةـ
فيـ لـمـسـةـ الـحـبـ اـرـتـقـىـ لـونـ الـأـلـمـ
تـنـسـلـ أـشـوـاقـيـ وـبـيـنـ جـوـانـحـيـ

توقفـتـ لـلـحـظـاتـ، ثـمـ عـادـتـ تـكـتـبـ:

لم تعد للطبيعة الخلابة أية ألوان، لم تعد لزقة الأطياف أية أحان، كأن عيني يعاديها الضياء، ولوحات السرور بالقلب يعاديها الصفاء...

هل للقدر لوحه تبدي أمانينا؟
 هل تحلمين بأن نمسك أيادينا
 والود بيمني وبينك ساكن فينا
 أبقى أعيش به والحب راجينا
 وضاءة للذى قد سرّ ماضينا
 للشوق باتت بقرب القلب تكوينا
 مرّت ومحفورة ذكرى تلاقينا
 للابهاج؟ أرى علت مآسينا
 بنا لقد حلّ، شفائي في تلاقينا
 يا نبض قلبي، من الأفكار نادينا
 ترجو بريق هدى، نوره ينادينا
 والروح تُفضي أنين الشوق فاحمّينا
 والود بيمني وبينك بات يكوينا

هل للقدر خطة حتى يلاقينا؟
 هل نجتمع يا ضياء آسرا كلامي
 هل ترسمين نجوم الليل في خجل
 والذكريات سرت بالقلب يا فرحا
 إني أسرت تعابيراً أرث شهبا
 كيف ابتعدنا وزاد الحب في حمٍ
 سبحان ربى وأوقات مباركة
 راحت أنيسة قلبي، أين بادرة
 الوقت مرّ ولم يملاً فراغ جفا
 ما حيلتي غير أن أهواك يا فرحي؟
 في عتمة الليل دمعاتي تساريني
 في صفحة الفجر أرسم سرّ خاطرك
 ماذا سأفعل فراقك رجّ قافلتي

وظلت تكتب ما يجري بخاطرها حتى غلبتها النوم فنامت نوما عميقا.

بعد أيام قليلة من تلك الفاجعة، اتجهت إلى غرفة أمها لتنقل بعض الأشياء إلى غرف أخرى، بعد أن طلبت جدتها منها ذلك، فتحت إیستارا باب الغرفة برفق وب戴ات نسمات الذكريات الجميلة تداعب خاطرها، تحاملت على دموعها بصعوبة واتجهت إلى النافذة لتفتحها.

كان هبوب الرياح في الخارج يهب ببطء، وكأن الريح تلقى السلام فقط على الأزهار والأشجار. فجأة سمعت إیستارا صوت صفحات تقلب، لتجد أن الرياح المادئة تقلب

صفحات دفتر موضوع فوق سرير أمها.

جلست إيستارا على السرير، وما إن همت بحمل الدفتر بيديها الدافتين حتى قلبت الريح صفحة أخرى. بدأت إيستارا تقرأ:

هذا اليوم من أسعد الأيام، ذقت في نواحيه لحظات رائعة لأنني حفقت أمنية من أمنيات ابنتي الغالية، بعد أن ضممت جراح الببر الأبيض، وأنقذته من الموت، فلا شيء أغلى من شعاع فرح ييهج عيون ابنتي، لأن ذلك الشعاع نور في نواحي قلبي ييهج روحي. لم تستطع إيستارا حبس الدموع التي ملئت عيونها البدعة ما إن بدأت تقرأ مذكرات أمها، وبدأت بالبكاء بعد أن أغلقت ذلك الدفتر وضمه إلى نفسها.

اشتدت حرقة الألم في قلبها الصغير لتضممه بشدة، كأنها تريد أن تمتزج مشاعرها وكل أحاسيسها في مشاعر وأحاسيس أمها التي كانت تكتب تلك المذكرات في الوقت الذي كانت تطلب من إيستارا الذهاب للنوم، لذلك كانت تبقى غرفة إبني مضاءة بنور الشموع حوالي ساعة بعد نوم إيستارا.

قالت إيستارا: لم تجيئني عندما سألك لماذا نور الشموع يبقى لوقت متأخر في غرفتك، وعرفت الإجابة حين رحلت منابع الضياء. لو أني عرفت أنك سترحلين لما استيقظت أبداً، ولا أردت سؤالك أبداً، كنت لأمنع نوايا السؤال من التحليق في أفكاري.

خرجت تجري من المنزل متوجهة إلى المقبرة، لتجثو قرب قبر والدتها، وكلها دموع، وبنظر يدمي القلوب بدأت تقول:

يناديك قلبي، قال لا، لا لترحلي
ويا بحجي، إبني بعطرك أشعل
أرجي الألم قربك، أحبك فافعلي
أذيقيه ألوان العذاب فأحفل
وقلبي انتهى في حلم وصلٍ يؤمل
وكيف صفاء القلب بعدك يُقبل؟
وازكي التحايا في أمان سُرسل

تناديك دمعاتي أرتاك توسلي
أصبت نوى قلبي وذاك بدقة
وبعدك عني صار معنى تأمي
بقلبي الذي قد شئت وبليلتي
فمن لي سواك الليل تمسح دمعتي
وكيف سروري إن يقيّدني الوجع؟
وردي سلام الروح، لا، لا لصده

عادت إلى المنزل وراحت تكتب: حتى ولو نزعت عطر الورود وريح الزهور،
وعصرت أحلام اليقظة وأمنيات العمر لأمزجها في كؤوس شوقي إليك لقلت لا تبعق
من الكؤوس تلك غير رائحة الألم، لأنني فقدتك، ضاقت دنياي، وما ضيق الحياة
سوى الفراغ الذي بقلبي قد تركته.

كانت إيستارا غارقة في كتاباتها، أما جوساي فكانت غارقة في دموعها وهي تقرأ في
مذكرات خالتها.

لحظات ونادت على إيستارا قائلة: إيستارا: تعالى، تعالى وانظري ماذا وجدت، لقد
وجدت عقدا من الزهور بين الصفحات، انظري كيف انكمش بين صفحات الدفتر؟
فكترت إيستارا في نفسها: هل يعقل أنها رأتني عندما كنت أصنع في ذلك العقد،
وكيف عرفت أني كنت بصدده إهداءه لها؟ وبدأت هي وجوساي بقراءة الصفحتين اللتان
كان عقد الورود بينهما:

يوم رائع جدا، هذا اليوم أتت أمي وأختي، وزوجها، والرائعة جوساي، كانت إيستارا
في الحديقة تصنع في عقد من الورود، رأيتها من النافذة، لأنسعنها تقول: ستفرح أمي كثيرا
بهذا العقد... لكنها مجنونة، فما إن رأتهم، حتى تركته على الأرض وأسرعت نحوهم ناسية

إياه ...

كانت نيتها أن تهديه ليوها هو عندي، أما أختي، فقد عرفت أني تأخرت، لكنها فسّرت تأخري بأنني مجنونة، كأنها لا تعرف أن الأمهات مجنونات بحب أبنائهن وبنائهن. ذهبت إيستارا وجوساي مباشرة عند جدّهما وألقتا بوجهيهما في حضنها، بكتا بشدة وراحت ياريكا تحاول مواساتهما.

الفصل الرابع عشر: ضياعة شايريدي

" علينا أن لا نتوقف أبداً عن الاستكشاف، وسوف تكون غاية استكشافنا كله أن نصل

إلى المكان الذي منه انطلقنا، وأن نعرفه للمرة الأولى. "

توماس ستيرنر إليوت

تدرّجياً بدأت المياه بالعودة إلى مجاريها، بدأت أشعة فرح جديدة تطل، وهذا بعد اقتراب موعد عودة مالفي وكوريسى. بدأ الفراغ الذى تركه غياب إيمى في القلوب يملأ شيئاً فشيئاً.

قبيل الخيوط الأولى للفجر استيقظت الجدة ياريكا، وقامت بالخروج من البيت في هدوء وسکينة حتى لا توقظ الفتاتين. خرجت وهي تحمل مشعلاً بين يديها، وهذا بعد أن ساحت الباب دون أن تغلقه.

اتجهت إلى المقبرة وجثت أمام قبر إيمى ثم غرزت المشعل بالتراب، سقطت الدموع إلى التراب، وكأنما لم تكتف أبداً من البكاء ولم تكتف منها الدموع، وبينما هي كذلك حتى مرّ بالمقبرة ثلاثة شبان، يرتدون لباساً قروياً عادياً، واستوقفهم منظر ياريكا الباكى، فاقتربوا منها في محاولة لمواساتها.

قال أحدهم: خففي عنك يا أماه، إن الدعاء هو ما ينفع الميت، وليس البكاء. وجدت ياريكا المواساة من الشبان الثلاثة، وكانوا لطفاء جداً، ولما استفسرت عنهم أخبروها أنهم غرباء عن قرية هاسماي، وانتبهت ياريكا إلى أنهم دون زاد، فأعطتهم بعض الزاد، وشكروا لها معرفتها وإحسانها إليهم.

هذا وبعد أن كانت ياريكا قد خرجت لتذهب إلى المقبرة، كانت إيستارا قد نضخت من فراشها وخرجت من المنزل، خرجت وهي غير واعية، فقد كانت تمشي وهي نائمة.

ما إن انتبه الببر الأبيض خطوات إيستارا، حتى أخذ يتبعها، دون أن يحدث أية ضجة وظلت إيستارا تمشي دون أن تعلم، وابتعدت عن القرية، لتذهب في اتجاه الشمال الشرقي والذي ينتهي السياج المحيط بالغابة عنده، فدخلت الغابة وواصلت المسير.

لم يكن باطن الغابة هنا، مثل باطنها عندما دخلتها هي وابنة خالتها، ففي هذا الموقع كانت الغابة أشد خوفا خاصة ذلك الظلام الذي لم يكن معتادا، ولو أنارت شمعة لك لظننت أن زيتا أسود قام بدهن الأجواء ولم يترك بقعة صغيرة إلا وألقى عليها صبغته تلك، وشقت إيستارا تلك الغابة شقا وهي لا تدري.

أفاقت وكان الفجر على وشك أن يلون الأجواء بفرشاته العجيبة، ليترك عليها صبغة بلون أزرق مائل للسواد، تسارعت نبضات القلب لدى إيستارا، وتغيرت ملامحها ووضعت يدها على جبينها، وأخذت تمسحه ثم أخذت تقول: يا إلهي، أين أنا؟ ومن أتى بي إلى هنا؟ قبل أن تجيب على سؤالها وتقول: إيستارا هي من أتت بي إلى هنا!

أخذت تلف المكان بنظراتها وتنظر هنا وهناك عليها تجد طريقا للعودة، لكن في كل مرة كانت تصدها جذوع الأشجار وتقول: حاوي يا صغيرة من الجهة الأخرى، فأنا لا يمكن لي سوى أن أنه أملك في إيجاد درب يعيدك لمنزلك ولا يمكن لي سوى أن أذيب آمالك في السراب.

فجأة سمعت صوت حك فارتعدت جوانحها، وتبدد نور الحياة في عيونها، لكنها عادت واطمأنت لأن صوت الحك لم يكن إلا حك الببر لرقبته بإحدى قائمتيه الأماميتين. جثت إيستارا على ركبتيها وضمت الببر الأبيض إليها قائلة: كيف سنعمون الآن؟ فقدت أمي والآن فقدت نفسي في هذه الغابة؟

أضاعت نفسي، وكيف تكون حرقة جدي وجوساي عندما تستيقظان ولا تجدانني؟ لكنها استردت عزمها وقالت: يجب أن أجد طريقا للخروج، لا أريد الموت هنا منسية.

في تلك اللحظات كان الخوف يملأ قلب إيستارا، لكن ومجداً، تلاشى الخوف من قلبها ما إن رأى محياتها البديع. اختارت جهة عشوائية وانطلقت عساها تجد مخرجاً. بدأت تمشي وسط تلك الغابة، أحياناً تسرع وأحياناً تبطئ، والببر تارة يسير خلفها، وتارة أخرى يتقدمها، وأحياناً أخرى عن يمينها أو عن شاها. ركضت طويلاً وحين كادت تفقد الأمل في الخروج من تلك الغابة وجدت نهراً كان تياره المائي قوياً جداً.

قالت: حتى أنه ليس نفس النهر الذي غسلت منه في المرة الأخيرة، لا بد أنه نهر آخر. مشت بمحاذاة النهر قليلاً، فجأة لاحت جذعاً يصل بين ضفتي النهر فأسرعت نحوه لتعبر النهر رغم أن الضفة الثانية كانت تحفها الكثير من الأشجار إلا أن إيستارا تابعت الركض مع الببر الأبيض حتى انتهت إلى درب ترابي مطل على الهاوية، أشعرها أنها ولحت إلى عالم آخر.

الحمد لله، لقد خرجت من الغابة أخيراً، لكن الآن من أين أذهب؟ من اليمين أم من اليسار؟ أذهب من اليمين أم أذهب من اليسار أم يجب علي الانتظار؟ يجب أن اختار وإلا فسوف أنهار.

قالت: لا هذا ولا ذاك، تسحر الدرب عيناك، وينجحله محياك، انتظري فقط حتى يراك. لحظات وقالت: جربت كل الطرق التي أعرفها والتي لا أعرفها، أنهكنا التعب يا بري الأبيض الجميل، يجب أن نرتاح قليلاً ثم نواصل المسير.

ارتاح الجمال وببره الأبيض الجميل لفترة ليست بالطويلة، وهذا بالجلوس فوق صخرة على جانب الدرب، ثم اختارت الجهة الشمالية للدرب.

ركضت ومشاعر الفرح تعمّرها. ركضت وركضت حتى رأت عدة نسوة كل واحدة منها تحمل حرة فوق رأسها، والحرّة الأخرى في إحدى يديها.

قالت إيسستارا: حمدا لله فالقلب التقى رجواه.

كانت هناك امرأتان في العقد الثالث، والأختيارات عجائز لسن طاعنات كثيرا في السن، وكن يرتدين لباسا قرويا.

قالت في سرها: الخالق يحفظك ويرعاك، ها قد ظهرت تباشير دعواك. لحظات وأشارت للببر بالاختباء وسط الأشجار حتى لا يخيفهن، ثم اتجهت نحوهن فألقت عليهن التحية ثم قالت لواحدة من الإمرأتين اللتين كانتا في العقد الثالث من العمر: هل لي أن أسألك يا خالة عن القرية التي تدعى هاسمي؟.

تابعت: ضللت الطريق ولم أعرف طريق العودة، أريد معرفة إذا ما كان يوجد درب يعيديني لأنني وصلت إلى هنا من خلال الغابة، لذلك فالطريق الذي أتيت منه لا يعيديني، فقط يجعل الوحش تريدني.

فجأة انتبهت لنفسها وقالت: لا تأخذيني رجاء فأحياناً أقفي الكلام!

فهمت النسوة أن الفتاة أضاعت طريقها، وكانت المرأة التي كلامتها إيسستارا تشبه إيمى نوعاً ما، ونظرت إلى الأخريات وأشارت إليهن إن كن يعرفن القرية التي تكلمت عنها إيسستارا، فرفعن رؤوسهن وكل واحدة تمسك الجرة التي فوق رأسها إما بيدها اليمنى أو بيدها اليسرى.

أشرن بإشارة من شفاهن قليلاً بأنهن لا يعلمون عن هذه القرية فقالت تلك المرأة: للأسف يا صغيرة، نحن لا نعرفها.

لم تدرِ إيسستارا ماذا تفعل، هل تستأذنن أن تذهب معهن أو تمضي إلى المجهول رغم صغر سنها، فقالت لنفس المرأة التي كلامتها قبل قليل: هل لي أن آتي معكم يا سيدتي، فليس لي أي مأوى بعد الآن، يمكنك أن تقولي أني طائر شريد؟

نظرت تلك المرأة إلى النساء الأخريات اللواتي كن معها وكأنها في حيرة من أمرها ولا

تدرىي ماذا تقول، وترى أن تعرف رأيهن فابتعدن قليلا عن إيستارا بعد أن قالت لها:
انتظري قليلا يا ابنتي.

أشارت إحدى النساء لها لتتقدم نحوها، ولما دنت منها هاته الأخيرة قالت: أرى أن
نتركها لتتدار أمرها فنحن لو أخذناها لن نزيد إلا الطين بلة؟

ردت المرأة الأولى: أتفهمك، خاصة أنه لم يتبق الكثير على... فجأة قطعت كلامها
ثم تابعت: لكن إن تركناها هنا فهي في خطر كبير، كذلك، فالمسكينة لا تعلم إلى أين
تذهب فكيف نتركها وحيدة، ولا شك أنها لم تأكل شيئاً وتحاملت على جوعها.
كانت إيستارا تنتظر في ردهن لكنها بقيت صامتة، ردت نفس المرأة على كلام
الأولى: لأنأخذها معنا، وعند اقتراب ذلك اليوم نأمرها بالهرب، ما رأيك؟

فردت عليها المرأة الأولى: لا تكوني حمقاء يا سويريتا، فأنت تعلمين أن الهرب
مستحيل. ردت سويريتا وهي تنظر إلى النسوة الآخريات: دعونا إذن ننتظر زوجة أخي
وبعد ذلك نأخذ برأيها.

قالت المرأة الأولى: رأي سديد، واستدارت لإيستارا قائلة: اصبري قليلا يا ابنتي. قالت
إيستارا وجمالها قد أغرق الأرجاء من حولهم: لا بأس يا خالة.

بعد وقت قصير لاحت إيستارا امرأة آتية من الغابة، كانت تحمل كيساً امتلأ بالزهور
تعلقه وراء ظهرها.

قالت للنسوة: أتعلمن شيئاً، لقد بذلت جهداً كبيراً حتى حصلت على هاته الأزهار
الجميلة والورود الفواحة، فجأة نظرت إلى إيستارا قائلة: هاي صغيرة، ما خطبك؟
كانت ماوريسي متوسطة القامة، معتدلة الهيئة، بحية الطلعة، بيضاء البشرة، تضع
وشاحاً أيضاً على رأسها، ومن كلامها كانت تبدو أنها لطيفة للغاية.
نظرت إيستارا إلى ماوريسي، لحظات وعانتها قائلة: قد أكون عاطفية بزيادة، لكن

يجب أن أعصر من أحبّهم في اللاوعي ما إن ألتقيهم!

ابتسمت ماوريسي واعتصرت إيستارا بين ذراعيها قائلة: هذا يسمى الشوق في اللاوعي لأشخاص نعرفهم ولم نلتقهم، يحدث لقلة فقط يا صغيرتي!
لحظات وأخبرت إيستارا ماوريسي بالمشكلة التي هي واقعة فيها.

ابتسمت النسوة الأخريات ثم دنون من ماوريسي وقالت الأولى: ما الذي يجدر بنا فعله يا ماوريسي، فهذه مشكلة كبيرة، أليس كذلك؟
مشكلة، لكن هناك حل.

قالت ماوريسي: والآن يا ابنتي، أنت تريدين القدوم معنا لأننا لم نعرف قريتك، لذلك لن نمنعك، لكن إن أردت ألا تقعبي في مشاكل أكبر فانصحك بعدم القدوم، وللأسف فنحن لا نعرف أية قرية أخرى قريبة.

- ماذا سأفعل؟ أنت تبدين لطيفة جداً، وكذلك الآخريات وتقولين هذا الكلام.
- أجل، نحن لطيفات، وهذا الصدق يا ابنتي، وعندما نصل إلى قريتنا، كذلك الكل سيكون لطيفاً، لكن هناك شيء واحد فقط سوف لن يكون لطيفاً ونتمنى ألا تعرفيه، ونتمنى أن يجده أهلك عندنا هذا اليوم بالذات، أو أن تعرف أسرتنا قريتك هذا اليوم، لأنه بعد هذا اليوم ستتصبحين فرداً من أسرتنا ومن ثم تسري عليك قوانين أسرتنا.

ابتسمت إيستارا قائلة: سأأتي معك وأنا المسئولة عن هذا القرار يا حالة، ثم قالت إيستارا في نفسها بغرور: الفضول، الفضول، إنه الفضول... ألمى ألا يجدني أهلي، وأن لا يعرف أفراد أسرتهم بقريتي حتى أعرف ما هذا الشيء الوحيد الذي ليس لطيفاً!

قالت ماوريسي: حسناً يا ابنتي، لكن علينا أن نذهب ملأ جرار المياه من أحد الأنهر، فإن شئت تعالي معنا وإن شئت يمكنك أن تتنظرينا هنا، واعلمي أنك إن أتيت معنا فستتمشين كثيراً، وإن انتظرتنا فستتنتظرينا طويلاً، لك الاختيار.

- لا بأس يا سيدتي، سأتي معك، فأناأشعر بالعطش الشديد وكذلك الببر، لا بد أنه عطشان، فاستغربت النسوة وقالت إحداهن: أنت تهذين يا صغيرة، أين الببر؟ ما إن صفقت إيستارا للببر الأبيض حتى خرج، وما إن رأته النسوة حتى بدأ بالتراجع للوراء، شعرت كل واحدة منها بالقشعريرة على أديم جلدها، وملأت الدهشة وجوههن، تغيرت ملامحهن، واتسعت عيونهن وارتعدت الحاجب فوق العيون وامتزجت عواطف الخوف في قلب كل واحدة، لكن سرعان ما تلاشى خوفهن، فقد كان جميلاً ووديعاً، بفروعه الأبيض المخطط بالأسود وعي睛 الزرقاءتين الجميلتين وأنفه الوردي.

قالت إيستارا: لا تخفن، إنه غير مؤذٍ إلا إذا أمرته. هنا انكسر الحاجز الذي أقيم على إحساس كل واحدة منها لتقول إحداهن: من أين أتيت به يا صغيرة؟

- وجدته في الغابة، كان جريحاً يومها، فاعتنينا به وكثير حتى أصبح هكذا، لا أحد يستطيع إيزائي ولا أحد يستطيع إيزاءه.

ناولتها المرأة الأولى قربة الماء قائلة: هيَا اشربي يا ابنتي، وإن أردت المضي معنا إلى النهر فتعالي، أما إذا أردت الانتظار فانتظرني حتى نعود، فالآن لا تشعرين بالعطش.

قالت ماوريسي - وهي تشير إلى المرأة الأولى التي كلمتها إيستارا: هذه يا إيستارا، تدعى روميتا، وأختها تكون سويريتا وأشارت إلى سويريتا، ثم عرفت إيستارا بأسماء النساء الأخريات وقررت إيستارا الذهاب معهن إلى النهر ملأ جرار المياه.

بعين يتبادلن أطراف الحديث حتى وصلن إلى النهر، كانت مياهه شديدة البرودة ومنعشة جداً تشعر بنسمات برونته تتغلغل في أنحاء جسمك لتلامس روحك، حتى أن خرير مياهه المتعالي يبقى يثير في النفس حب الضجيج.

ألقت كل واحدة جرقها لتمالئها، وقالت روميتا لإيستارا: كما ترين يا إيستارا هنالك فرعان، الفرع الثاني لا علم لنا إلى أين يتوجه، ويقولون أنه بدوره يتفرع إلى فرعين، أما هذا

الفرع فيقولون أنه ينساب بين الغابات ولا يعلم أى أحد أين ينتهي، وأضافت قائلة: سمعت أبي مرة وهو يقول أن مياهه باردة في الصيف... وقبل أن تكمل قاطعتها أختها سويريتا وقالت: أخبرنا كذلك أنه في الشتاء تكون مياهه دافئة، لتنظر روميتا إلى أختها سويريتا وتقول: دائمًا تقاطعين الكلام وتصدقين خرافات أبي.

طلبت إيستارا من روميتا أن تعطيها جرة حتى تملأها، فنظرت روميتا إلى لأخريات وابتسمت قائلة: حسنا، سترك إيستارا تملأ هذه الجرة، موافقات. وافقت كل واحدة وجعلن ينظرن إلى إيستارا.

أعطت روميتا جرة لإيستارا، وقربت إيستارا الجرة من جانب النهر لتقوم بملئها، لكن ما إن لامس فم الجرة صفحة المياه حتى انفلتت الجرة من يدي إيستارا بفعل التيار القوي للمياه، الذي لا تظن أنه بمثابة القوة حتى تدخل راحة يدك، فتشعر بأن يدك على وشك أن تنزع.

شعرت إيستارا بالذنب لأنها أضاعت تلك الجرة، أما روميتا فابتسمت بوجه إيستارا قائلة: لا عليك فهناك جرار غيرها، وأحضرت جرة من عند ماوريسي وقامت بإمساك الجرة هي وإيستارا لتملاها. قالت: في أول مرة أتينا مليء الجرار عدنا بحرة واحدة لأننا لم نكن نعلم أن تيار الماء قوي جدا.

بعد أن ملئن جرار المياه عدن وقصّت إيستارا على مسامعهن ما جرى معها والأحداث الأخيرة في قريتها وتأسفت النسوة كلهن لما أخبرتن أن أمّها توفيت منذ فترة وجيزة، ثم تابعن الحديث حتى دخلن في درب مستوية تحفها الأشجار من الجانبين، كانت تلك الدرب مكسوة بالأوراق المتساقطة من تلك الأشجار، ويعتبر منظرها الراحة في النفوس، وبعد أن مشين حوالي عشرين دقيقة في تلك الدرب، حتى لاحت بوابة خشبية مقوسة. دفعت ماوريسي أحد مصراعي البوابة برجلها ودخلت، ثم تبعتها النسوة

الأخريات والجمال كان خجولاً بعض الشيء.

كانت إيستارا متجمدة عند البوابة في مقابلة ساحة كبيرة وفي نهايتها صف من الأشجار تخلله ثلاثة مداخل، لم تعرف إيستارا كيف تتصرف، ف فهي لم تصادف طيلة حياتها أناساً غير أناس قريتها، وإن صادفت أناساً من غير قريتها، فسيكون أحد أقاربها فضلاً عن اللصوص الثلاثة الذين لم تتضح لها تعابير وجوههم جيداً، لكن روميتا قالت لها: ما بك يا ابني؟ ستعتادين العيش، وأمسكت إيستارا من يدها قائلة:

منزلنا ضيعة صغيرة تحوي عدداً صغيراً جداً من الأفراد الذين يمكن عدّهم على الأصابع، تقع في قلب إحدى الغابات، بين أشجار كثيفة فارعة الطول.
أشارت إلى الجهة اليمنى من البوابة وقالت: تلك الجهة كما ترين يا صغيرتي تمثل غرف المعيشة.

كانت عبارة عن بيوت متواضعة من الطوب ذات أسقف قرميدية بها نوافذ صغيرة. ثم أشارت من جديد إلى الجهة اليسرى وكانت تتوزع بها ثلاثة حجرات لكنها تبدو كبيرة ثم قالت: الحجرة الأولى من اليمين تمثل حجرة الشورى، الثانية مخصصة لنا إذا ارتكبنا الأخطاء، أما الثالثة فتسمى حجرة الفائز أو حجرة المكافأة.

سألت إيستارا: وما تلك المداخل يا خالة؟

المدخل الأول من جهة اليمين به إسطبلان، واحد للأحصنة وآخر للأبقار والماشية، وهناك مرج فسيح للرعي، بركة للإوز، خم للدجاج، ولا تستغرب إن رأيت دجاجة تتجول في الساحة، أنت تعلمين أن الدجاج مشاكس، أما المدخل الثاني ففيه مساحة مخصصة لنا نحن النسوة لغسل الملابس، غزل الصوف، نسج الملابس والأفرشة، وهناك بئر لكننا لا نشرب منه، ثم ترين مساحة واسعة عبارة عن حقول نزرعها بما يكفي عيشنا، وهناك جزء مخصص للأطفال لكن لا يدخلونه إلا إذا أقيمت... فجأة قالت: حسناً... هكذا

يبقى المدخل الثالث الذي لا يعنىك يا ابنتي، أما الآن فتعالى معي لترى عائلتنا الصغيرة.
كانت الساحة فارغة، فجأة بدأ الأطفال يتذفرون من المدخل الأول وركضوا نحو
إيستارا يطلبون منها السماح لهم بأن يلعبوا مع الببر الذي كان بجانب إيستارا وز مجر ما إن
رأى الصغار قادمين نحوه، وأبان عن أنيابه الحادة.

قالت إيستارا: ما بك؟ أحسن التعامل ولا تكن فظا معهم.

كانت النسوة قد وضعن جرار المياه وعدن مع بقية الأفراد. قالت روميتا: لدينا ضيفة
تدعى إيستارا جايوكوي وهي من قرية هاسمای، فمن يعرف هاته القرية ليساعدها على
العودة إلى ديارها، ثم قالت: آه، لقد نسيت، كنا وجدناها بينما كنا متوجهات لملأ الجرار
بالماء، وقد ضلت طريقها.

نظرت إلى أحدهم، ثم قالت: هل تعرف هاته القرية يا أبي؟

نظر والد روميتا إلى إيستارا، ثم قال: قالت ابنتي أنك تقطنين في قرية هاسمای، أنا لا
أعرفها، لكن ربما يعرفها أحد أفراد العائلة، فاصبري قليلاً يا ابنتي.

سؤال والد روميتا أفراد عائلته عن قرية هاسمای، لكن لا أحد عرفها، وقال هذا الأخير
لإيستارا: إننا آسفون يا ابنتي، لا أحد عرفها.

في هذه اللحظات، شحيت وجوه النساء، لكن سرعان ما أخفين ذلك الشحوب.
قال والد روميتا: لا تقلقي يا ابنتي، يمكنك المكوث ريثما نجد قريتك، وسأرسل اثنان
من أفراد عائلتي ليبحثا عنها، ثم أمر ابنته روميتا أن تهيئ غرفة لإيستارا حتى ترتاح قليلاً،
أما الببر فكان يرسم ابتسامات عريضة للأطفال الذين طلبوا بقاء إيستارا للعب معهم، إلا
أن والد روميتا قال لهم: دعوها ترتاح، ألا تعرفون سوى اللعب؟

قالت روميتا لإيستارا: تعالى معي لتناول بعض الطعام، بعدها سأرشدك إلى إحدى
الغرف حتى تنامي وتستريحي، بعدها سيسألني لي أن أعرفك بأفراد عائلتنا.

تناولت إيستارا قليلاً، كان الطعام عبارة عن طبق من الأرز بالدجاج، وحساء الخضر، وبعد أن أنهت طعامها أرشدتها روميتا إلى إحدى الحجرات لتنام قليلاً، وفي ذلك الوقت كانت روميتا قد أخبرت أفراد أسرتها بالأحداث الأخيرة التي جرت مع إيستارا وقالت أن الفتاة قد فقدت أمها، فقال شايرويدي: يا للمسكينة، والدها لم يظهر له أثر منذ خمسة سنوات إذن، وماتت والدتها في الأيام الأخيرة، إن هذا أمر مؤسف حقاً.

بدت روميتا وكأنها انزعجت، لكنها أخفت تعاير الانزعاج، فقد شعرت أن والدها تعامل ببرود تام مع ما حصل لإيستارا.

استيقظت إيستارا من نومها وهي تحاول الاعتياد على وضعها الحالي، وبعد العصر تسبت لروميتا فرصة التعريف بعائلتها. أشارت أولاً إلى أبيها وقالت: هذا أبي ويدعى شايرويدي، كان شايرويدي قصير القامة نسبياً، يبدو في الخمسينيات من العمر، ليس ضعيفاً، ويتجه قليلاً إلى السمنة، يضع عمامة على رأسه، لذلك لن تعرف أن شعره قليل الكثافة وأسود اللون إلا إن نزع عمامته، ونظرت إلى آخر، كان متوسط الطول ومعتدل الهيئة، ليس بالسمين وليس بالهزيل، ذو شعر شائب، وقالت: ذاك عمي ويدعى ريوساي، وهم أعيان هذه الضيعة الصغيرة، وأشارت إلى أمها قائلة: هذه أمي واسمها لايفيتا، ثم وأشارت إلى زوجة ريوساي قائلة: هذه زوجة عمي ريوساي، وتدعى جودفيتا، وهناك عمي الأصغر وبجانبه زوجته، يدعى دوكيجووي وزوجته رياكشا. كان دوكيجووي معتمداً الطول، وبشرة بيضاء وكذلك زوجته رياكشا. بقي ثلاثة شبان، أحدهم طويل، واثنان معتملاً الطول، وقالت روميتا وهي تشير إلى الشاب الطويل: هذا يكون ابن عمي ريوساي، ويدعى جينيوسي، ثم وأشارت إلى شاب من الشابين الباقيين، كان وسيماً ذو شعر مجعد قليلاً. قالت هذا يكون زوجي، ويدعى آريناي، ثم وأشارت إلى الشاب المتبقى وكان ذا عينان خضراوتين. قالت: وهذا يكون زوج اختي سوبريتا ويدعى كايفيري. أضافت: أمّا

جينيوسي فيكون زوج ماوريسي. هذا وكانوا يرتدون لباسا قرويا، عبارة عن سراويل فضفاضة وقمصان طويلة تصل حد الركب.

قالت روميتا: الآن عرفت أفراد أسرتنا، أما الأطفال فستتعرفين عليهم أثناء اللعب.

بعد أن غربت الشمس أوقد الرجال نارا عظيمة، وتلونت الأجواء باللون المائل للبرتقالي، وعم الدفء كل شبر وقام بتحية أبواب المنازل، ليدخل ويترى في أركان كل غرفة، واجتمعوا على العشاء الذي لم يسبق لإيستارا أن رأت طريقة عشاء مثله، فقد فرشت قطعة قماشية عريضة نسبيا، وطويلة على الأرض الناعمة، في الجزء الأيمن من الساحة، وقامت النسوة بوضع المأكولات وبعد ذلك جلس الكل متربعين، الرجال في جهة وتقابلهم النسوة في الجهة الأخرى، كل رجل تقابله زوجته، أما الأطفال الصغار فقد جلس كل طفل إما بجانب أبيه أو بجانب أمه، وجلست إيستارا بجانب روميتا، وتنوع الأكل بين لحم مشوي وخضر مطبوخة وألوان من الفواكه، والطبق الرئيسي عندهم أرز بالدجاج، دون نسيان الماء طبعا.

أما الببر فقد كان ذهب قبل الغروب بحوالي ساعتين ليصطاد وعاد قبل أن تنذر الشمس بأنها ستغرب لتفسح المجال للقمر ويترى الليل خلفا للنهار.

كان عشاءهم طويلا جدا فقد كانوا يأكلون ببطء شديد وهذا ما جعل إيستارا تكثر في الأكل لأنها كانت تأكل أسرع منهم، ولو أنها لم تكن تسرع في الأكل حقيقة، وهذا ما جعلهم ينظرون إليها بأبصار منخفضة، لكن إيستارا لم تنتبه لهم أبدا.

بعد إنتهاء العشاء توجه كل واحد إلى غرفته، فقد كانوا ينامون بعد إنتهاء العشاء مباشرة، وهذا الشيء لم يعجب إيستارا، لكنها كتمت استيائها ولم تبده. ذهبت إلى إحدى الغرف التي أعدتها روميتا من أجلها وبقي الببر قرب باب الغرفة التي دخلتها إيستارا لكي تناول بداخلها وترى جسدها من التعب الذي نالها، وترى أحاسيسها من

الفاجعة التي ألمت بقلبها المكسور بعد كل ما ححدث.

استلقت إيسستارا على الفراش بعدما سحبت روميتا الباب عند خروجها، وبقيت تحدق بعينيها في ذلك الظلام حتى فاجأتها الدموع ما إن تذكرت الأيام الرائعة التي قضتها مع أمها إيمى واللحظات الجميلة معها، كذلك لحظاتها مع جدتها وابنة خالتها جوساي وتكلبت على جانبها الأيمن واضعة يدها على جانب رأسها، وهي تبكي بحرقة على غدر الحياة وكيف أن القدر يقلب صفحة السرور حزناً ويقلب صفحة الحزن سروراً ما إن تلون قلوبنا السعادة وما إن نظن أن السرور دائم لتكون المفاجأة أمواجاً من الحزن تتلاطم بين الجوانح لتكسر الكيان، وتحاول إيجاد طريقة لتكسر ضلوعنا، وعندما لا تستطيع كسر الضلوع نشعر أنها تشفق علينا ولو قليلاً.

توقفت إيسستارا عن البكاء ولم يكن النعاس قد داعب جفونها بعد، فقامت واتجهت نحو الباب لتفتحه، رمت بيصرها تلقاء النار التي كانت متقدة، كانت النار قد صارت حمراً لونه قريب جداً من الأحمر، وفي كل لحظة تسمع صوتاً يشبه صوت كسر حبة البندق، يصدر من قطع الخشب المحترقة، فتذكرت إيسستارا ابنة خالتها جوساي لتحاول إغراقها في الدموع من جديد.

اقتربت من الجمر الذي كان يصدر حرارة تكاد تجعل الجسد يتعرق، لولا البرد الذي يقف في وجه الحرارة تلك فيجعلها تخف وتكتفي بإلقاء الدفء فقط في الأجواء، وكان البر الأبيض قد مishi خلفها، وما إن جلست حتى جلس بقربها.

أخذت إيسستارا تنعم بذلك الدفء البديع وتمسح على عنق البر الذي كان يجد الراحة ما إن تمر إيسستارا يدها، وبين الفينة والأخرى تراه يرفع رأسه فينظر يميناً ويساراً ويعود ليترك رأسه على التراب الناعم، وإيسستارا تتذوق طعم تلك اللحظات التي لم يكتمل حسنها بعد أن غابت عنها وصارت بعيدة عن جدتها وابنة خالتها، وصارت سماء فكرها

حالكة تكاثفت فيها غيوم الفراق لكن عاد قليل من الصفاء عندما تذكرت قول شايريدي
أنه سيرسل أحدا للبحث عن قريتها.

فجأة قالت: لكنني أتمنى أن يعرفوها بعد أن أعرف ما هذا الشيء الذي ليس لطيفا
هنا!

بعد انطفاء الجمر، عادت لتنام، ونامت نوما عميقا، وهذه المرة حتى ولو خرجت
لتسير وهي نائمة فلن تضيع، لأن البوابة الخارجية تغلق، أما الأشجار فتعارض لها ألواح
خشبية مرتفعة حوالي متر ونصف عن الأرض.

الفصل الخامس عشر: لغز الضياعة

"الحياة يمكن فقط أن نفهمها بالعكس، لكن يجب علينا أن نعيشها إلى الأمام. "

سورين كيركجارد

في الصباح الباكر استيقظت إيزستارا وقامت من فراشها ولم تكن قد فتحت عينيها جيداً، وعندما فتحت الباب ونظرت إلى الساحة وجدت أن النسوة والرجال كلهم قد استيقظوا، وما إن رأتها روميتا حتى قالت لها: صباح الخير إيزستارا، أرى أنك استيقظت باكرا، أليس كذلك؟ أم أن الفراش لم يكن مهيناً جيداً؟

لترد إيزستارا: لا، نمت جيداً وشكراً على لطفك الكبير يا حالة، وأثناء الحديث استيقظ الصغار كلهم وأقبلوا نحو البئر لغسل وجوههم منه، وشكروا صفاً ليغسل كلّ واحد منهم وجهه، الأول فالأول، وما إن وضع أحدهم يديه بقرب الدلو وضمهمما، حتى أمسكت روميتا بيديه قائلة: انتظر يا بني، فإيزستارا استيقظت قبلك وهي أحق أن تكون أول من تغسل.

نادت روميتا إيزستارا لغسل وجهها، فقالت إيزستارا: لا عليك، دعيهم يغسلوا وبعدها أغسل، فنظرت إليها روميتا وقد رفعت حواجبها قائلة بابتسامة بشوسة: هيَا يا إيزستارا، كوني فتاة مطيبة يا صغيرتي.

وهكذا غسلت إيزستارا وجهها أولاً. وكانت هناك منشفة لكل واحد، معلقة، الواحدة تلو الأخرى على خيط متين مربوط بين شجرين.

بينما كان الجميع يتناولون فطور الصباح حتى قال شاعريدي لاريناي وكايفيري: هيَا قوماً وادهباً حتى تستفسرا عن القرية التي تقطن بها إيزستارا.

نظرت إليه إيزستارا وقالت بصوت مؤدب: أستاذنك يا عم، دعهم ينهون فطور

الصباح أولاً، هذا أفضل، ولنأخذ وقتا طويلا.

- لا يا ابنتي، إذ لا تكاد تسيغ لي لقمة واحدة وأنا أعلم أن في بيتي فتاة ضائعة عن قريتها، وأكباد أهلها تحترق عليها، ولو استطعت لذهبت البارحة لأستفسر عن قريتك، لكن للأسف فكما ترين أنا شيخ كبير ولا يمكنني المشي إلا بضعة أمتار، والجلوس بعدها للأخذ الراحة، وما إن أتم حديثه حتى أمر الاثنين مجدداً أن يذهبوا ويستفسرا عن موقع القرية ويخبراً أهل إيتارا أن هذه الأخيرة مقيمة عندهم وأنهم سيأتون بها، طبعاً، هذا إن وجدوا القرية.

قام الاثنين وقبلاً رأس شايرويدي ودعوا الجميع وانطلقوا، أما الباقيون فقد أتموا تناول الفطور وبعدها اتجه الصغار لكي يلعبوا وكانت معهم إيتارا وذهب جينيوسي ليرعى الغنم، واتجهت النسوة تقدم بعملهن إما حلب البقرات أو غسيل الأواني والملابس وما إلى غير ذلك، أما شايرويدي والآخرون فقد ارتشفوا كؤوساً من القهوة ثم اتجهوا إلى المرج المخصص لرعى الخيول والماشية.

كان شايرويدي يبدو شارد الذهن، فابتسم أخوه ريوساي قائلاً: ما بك يا شايرويدي، لا تقل أنك تذكرت تلك الرسالة قبل عامين؟

أجاب شايرويدي: لو كنت أنت المقصود فيها لما ابتسمت، على كل حال، أنا لا أفكّر فيها، وكل ما علينا فعله هو أن نبقى حذرين من ذلك الشخص، فقد نفذ قوله في العام الفائت، ولا بد أنه سيحاول تنفيذه هذه السنة حتى يتحقق ما قاله في الرسالة.

كانت الساحة كبيرة جداً وكانت لذلك المنزل نوافذ كثيرة. كان الأطفال يجرون ويهربون ومن دون شك أن إيتارا نسيت أحذانها وهي تلعب مع الصغار، وفجأة بينما كانت ترکض وراء إحدى الفتيات، وكانت ابنة سويريتا، حتى وصلتا إلى إحدى النوافذ وكان المدخل المؤدي لها هو المدخل الثالث، دون أن يتبه لهما أحد.

شدّت هاته الأخيرة على لباس إيستارا وجدبته برفق، فجأة قالت: عذرا يا إيستارا،
لكن ما يوجد في جييك؟

أجبت إيستارا: إنه عطر أهدته لي أمي، على أية حال، ماذا هناك؟

- شددت على لباسك حتى أقول لك أنه تحدّر بنا العودة. تابعت: هناك شيئاً،
الأول هو أن اسمي ميري، والثاني هو أنه لو رأنا جدي هنا لقام بضربي فهو لا يقبل أبداً
أن نأتي إلى هنا، علينا أن نكون حذرتين عند الخروج و إلا فسنقع في ورطة كبيرة.

كانت ميري بعمر إيستارا تقريباً، فتاة نحيفة، بيضاء البشرة، مشرقة الطلع، في طول
إيستارا، ذات عينان رماديتين وترتدي تنورة فضفاضة بقميص يتجاوز حد الركبة أحياناً
اللون.

- لماذا يا ميري، هل هناك خطر إذا أتينا إلى هنا؟ أنا أرى أنها مكان هادئ،
خصوصاً أنها بعيدة نسبياً عن النواحي الأخرى، أليس كذلك؟

فردت ميري عليها قائلة: حسناً سأطلعك على سر، لكن إياك أن تبوح به، أو
تخطي وتبوي به، ويستحسن أن تنسيه ما إن أخبرك به مباشرة، فوافقت إيستارا.
قالت ميري: حسناً، تعالى معني.

ركضتا مسافة قصيرة لتصلا إلى شيء كان مغطى كلياً بقماش أسود لا يعلم إن كان
بناء خشبياً أو حديدياً أو ترابياً أو شيئاً غير ذلك، لكن الخيارات الأولى هي التي تتبدّل
للذهن ما إن تقع على رؤيته العين، وكان ارتفاعه يفوق العشرين متراً بقليل.

قالت إيستارا: ما هذا يا ميري؟ أنا لا أرى إلا هذه القطعة القماشية السوداء، ما هذا
الشيء الذي خلف هذا القماش الأسود؟

- للأسف يا إيستارا، لا أحد من الأطفال يعلم، حاولنا مرات عديدة أن نعرف،
دون جدوى. الأمر الذي لم نفهمه كذلك هو كيف أن هذا القماش لا تقطعه السكين.

حاولت ساديت أن ترقه، لكنها فشلت في إحداث ثقب صغير. تابعت ميراي: حسنا، دعينا الآن نذهب فسينتهي أمرنا لو رأنا أحد، لكن بينما كانت ميراي تتكلم حتى أحست الاثنين بيد فوق كتفيهما.

ارتعبت ميراي، شحب وجهها وبدأت أصابعها الصغيرة بالارتفاع وتسارعت دقات قلبها حتى كادت تصرخ من شدة الرعب الذي أحاط جوانح قلبها، أما إيستارا فقد تحدمت في مكانها وشعرت بخوف شديد ما إن تذكرت قول ميراي حول ما سيحدث لو رآهما جدها، وكالعادة، ماذا يحدث للخوف إن رأى وجه إيستارا البديع، يتلاشى نهائيا!... سبحان الله... .

سمعتا صوتا خافتاً: ماذا تفعلان هنا أيتها المشاغبات، لو رآكمَا جدي سينتهي أمركمَا، والآن سينتهي أمرنا نحن الثلاثة لو رأنا هنا.

استدارت كل من إيستارا وميراي، ومن حسن حظهما أنه كان كايسو ابن ماوريسي. هدأت الافتتان وعادت الطمأنينة لتملاً نفسيهما.

قالت ميراي: ماذا تفعل هنا يا كايسو، يجب أن تكون مع الأطفال الآخرين تلعب؟ كان كايسو في الثانية عشر من العمر، قصير القامة، أبيض البشرة، ذو وجه وسيم، بعيدين بنطين، تكاد السمنة تحطفه. قال: حري بي أنا أسألكما أنتما الافتتان هذا السؤال، لكن لا بأس، دعونا نعد، بعد ذلك أخبرك يا ميراي عن السبب الذي حملني على أن آتي إلى هنا.

عاد الثلاثة وبدأوا باللعب مع الصغار وما هي إلا لحظات قليلة جداً حتى رأت إيستارا وميراي وكايسو، كلا من شايريدي وإخوته عائدين من المرج.

قالت ميراي: تخيلوا ماذا كان سيحدث لنا لو كنا لا نزال هناك. فقال كايسو: ببساطة، سيحدث لنا ما حدث لساديت منذ عامين، تذكرين؟

قبل أن تضيف ميراي أية كلمة، نظرت إيسستارا إلى كايسو وسألته عما جرى لساديت هذه.

قال: منذ عامين على ما ذكر، ذهبت ساديت إلى تلك الناحية وكانت شديدة الفضول لمعرفة الشيء المغطى بقماش أسود ومحكم عليه بشدة إلى درجة الظن أنه ملتصق به، كان هذا في إحدى ليالي فصل الصيف حين أخذت شمعة معها وتسليت خلسة إلى تلك الناحية وبدأت في محاولة تمزيق القماش الأسود الذي يغطي الشيء الغامض الذي لا نعرف ما هو.

تابع كايسو يقول: لم يكن باستطاعتها أن تمزقه أو تحدث فيه ولو ثقبا صغيرا وحاولت أن تنزعه من الأسفل وكذلك لم يجد ذلك نفعا، فقد كان القماش ذاك أقرب ما يكون مدفونا في الأرض، وبينما هي كذلك حتى رأها آخر جدي فصرخ في وجهها وانهال عليها بالضرب وفي صباح الغد تعرضت لضرب شديد، حبسها في إحدى الغرف، وصارت تضرب كل خمسة عشر يوما قبل الغروب بعضا غليظة، خمسين ضربة على يديها ومئة على رجليها لمدة عامين، وهذا العام فقط أين عادت حياتها إلى سابق عهدها وتوعدوها بعقاب أشد إن حاولنا الاقتراب من ذلك المكان، لذلك لا نقترب منه أبدا.

قالت ميراي: الآن يا كايسو، لماذا أتيت إلى تلك الناحية فقد سألك ولم تجب؟

- ميراي، أنت حقا بلهاء، كنت ألعب مع الأطفال وفجأة لم أركما، فبحثت عنكمَا في كل الأرجاء فلم أجدهم، تبقي خيار واحد ألا وهو تلك الناحية فأتيت ووجدتكمَا لكن لماذا ذهبتما إلى هناك، أقصد لماذا أخذت إيسستارا إلى هناك وأنت تعلمين العقاب؟

- لقد كنا نلعب لعبة المطاردة ولم أتبه بينما كنت أجري وإيسستارا تطاردني حتى وصلنا لتلك الناحية. قلت لإيسستارا أن نذهب لكنها بدأت بطرح الأسئلة علي وأنا أجيب حتى أتيت ونبهتنا، ومن ثم رجعنا لمتابعة اللعب.

كانت إيستارا شاردة الذهن قليلاً بعد أن أجبت ميراي كايسو، وبعدها ضربت على كتف كل من ميراي وكايسو قائلة: وجدتها.

بدأ الاثنان بالضحك وقال كايسو: ما الذي وجدته يا إيستارا، هل عرفت ما الشيء المغطى بقماش أسود، هيا تكلمي؟

أنصتا إلىّ. أنا ضيفة عندكم ليس إلا، ولذلك إن سرت صوب تلك الناحية لن أ تعرض للعقاب، وقد أضرب أو أطرد لا غير، وإذا طردوني سأتدير أمري، لذلك سأذهب إلى تلك الناحية وأحاول كشف الحقيقة التي تقع وراء القماش الأسود، ما رأيكما بهذا؟

قالت ميراي: لا بد أنك مجنونة، هل تظنين أنهم سيتسامحون معك وهم لم يتسامحوا مع ساديت؟ لم يتسامحوا مع القريب، فكيف يتسامحو مع الغريب.

قالت إيستارا: لا تكونا غبيين، أنا لا أعلم بأن تلك الناحية يعقوب من يذهب إليها، لذلك لن يقع علي العقاب، فهمتما الآن، فهذه تكون ورقتنا الرابحة يا أصدقاء.

قال كايسو: مستحيل، أنت ضيفتنا ولن نتركك تخاطرين من أجل معرفة شيء فيه خطر علينا فهم منعون لأنهم يعلمون أن هناك خطراً علينا إذا ما ذهبنا، لذلك دعونا منه وهيا نستأنف اللعب من جديد.

- أعلم تماماً أنهم يريدونكم أن لا تتعرضوا للخطر خصوصاً أنهم طيبون، لكن لا تنعوا أنها صغار والصغار فضوليون، لذلك بعد الانتهاء من الغداء هذا اليوم سأذهب عمداً إلى تلك الناحية وعندما يأتي الجد شايريدي أو غيره سأسأله عن الشيء المغطى بالقماش الأسود، بما أنه لم تتسن لكم فرصة السؤال، ثم قالت: لكن لماذا لم يضعوا حاجزاً على تلك الناحية إن رأوها خطيرة، فالاجدر وضع حاجز أو ما شابه، فهكذا لن يتجرأ أحد على الاقتراب وينتهي الأمر وهذا خير للطرفين.

فجأة سمعوا صوت فتاة تصرخ بصوت عالٍ، مشرعة ذراعيها وتجري بشكل متعرج

فالتفتت إيسستارا لترتها. قالت: من هذه؟

فأجابها كايسيو: إنها الفتاة التي تحلم أن تطير في كل لحظة لأنها فرحت يوما ما فرحة عارمة جعلتها تريد أن تطير من شدة الفرح، لكنها لم تستطع الطيران، فأخبرتنا أنها لم تستطع أن تعبّر عن فرحتها الحقيقية، لكنها ستبقى تحاول أن تطير ولو بالجري هكذا.

ما إن أتم هذا الأخير كلامه حتى وصلت هذه الفتاة ومدت يدها لإيسستارا لتصافحها.

صافحتها إيسستارا وقالت هذه الفتاة: اسمي ساديت... الأخت والصديقة الرئيسية لبطلة القصة، ابتداء من الآن وحتى نهاية القصة، ماذا تريدين أن تعرفي؟

نظرت إيسستارا إلى ساديت وقالت: إذن أنت هي ساديت.

كانت ساديت فتاة جميلة جداً، أطول من إيسستارا، بقضاء البشرة ذات عينين شديدين السواد، نحيفة قليلاً، في عمر إيسستارا أو تفوقها بأشهر.

اقربت ساديت من إيسستارا ثم أمسكت وجنتيها وأخذت تجذبهما برقة وسط دهشة إيسستارا. قالت ساديت: يا ذات العيون الزرقاء الواسعة... كأن ملمس بشرتك أزرق، كزرة عيناك!

قالت إيسستارا: رجاء لا تسترسليني في المديح، لو كان لي تؤام حقيقي لكنت أجمل منه، وما أريد أن أعرفه...

فجأة قاطعتها ساديت قائلة: انتظري، لا تكوني مغروبة فأصحاب الغرور لا يتعلمون، واثنان لا يتعلمان كما تعلمرين، الخجول والمتكبر.

ابتسمت إيسستارا وقالت: معك حق ولست من الصنفين، والآن أجيبني، لم يضعوا حاجزاً هناك وينتهوا من الأمر.

ارتسمت على وجه ساديت ابتسامة عريضة زادت من جمالها. قالت: للأسف لن أجيبك بما أَنْ لديك بعض الغرور.

- على كل حال الجاهل هو من لا يجيب، لذلك علينا الترفع عن جهله، وإطلاعه على السؤال الذي حاول التستر بمعرفة جوابه.

قالت إيستارا: قمة الطاعة أن نبقى بعيدين عما نهينا عنه حتى و لو كنا نستطيع القيام به، وما أرادوه منكم هو الطاعة، لكن بما أنهم يعنون الصغار دون اتخاذ الأسباب، فهذا يبعث على الكثير من الغموض حيال ما يخفونه.

قالت ميراي: جميلة وذكية، عليك الاعتراف يا ساديت أنها ذكية. قالت ساديت: معك حق، لكن يجب عليها التخلص عن غرورها هذا، لم أتق في حياتي شخصا يدافع عن غروره بكل بسالة!

قالت إيستارا: كنت أمزح فالتواضع رفة يا أختي، وهنا قالت ساديت بصوت تملأه الوداعة: هذه الدمية أختي!. لحظات وقالت: أنا جد فضولية يا أختي، تعالى لأريك شيئاً -رأيته وانتهيت. الآن أريد أن أعرف ماذا يوجد تحت القماش الأسود يا ساديت، لذلك يجب أن نستخدم ذكائنا حتى نرضي فضولنا.

- لستين وأنا أضرب، لكن لا بأس، من أراد أن يعرف فعليه أن يدفع الثمن، مسبقاً أو آخر. والآن ليست لدى أية فكرة يا إيستارا عما أفعله لكى أعرف، إذ لا شيء في ضياعتنا أكثر رعبا، غرابة وسرية، من هذا الشيء المغطى بالقماش الأسود.

قالت إيستارا: كانت لدى فكرة وقد أخبرت ميراي وكايسو عنها لكنهما رفضا أن أخاطر بنيفسي. أخبرتكم أنه بما أنني ضيفة هنا فسأذهب، وعندما يأتي جدكم سأله، أكثر شيء سيفعله حينها هو طردي، ما رأيك؟

قالت ساديت: لا، لا أريده أن تخاطري، لكن هذه الفكرة كانت لتنجح لو كان جدي شايريدي غبيا، والآن اقترب موعد الغداء.

كان في وسط الساحة جرس يقرع إذا حان وقت تناول فطور الصباح أو الغداء، أو

العشاء، وبعد الغداء كان الصغار مجبرين على أخذ القليلة بعد الظهيرة.

اجتمع الجميع كما جرت العادة ليتناولوا الغداء، وكان طعاماً متواضعاً وهذا بعد أن غسل الأطفال أيديهم وما إن انتهوا حتى اتجه الأطفال كلهم لأخذ القليلة وكان الببر قد عاد من صيده واتجه مباشرة نحو إيتارا، واحتار الجميع في ذلك التنازع بينه وبين إيتارا، وعاد الصغار كلهم نحو إيتارا ليحظوا بلمس الببر الأبيض، ففروعه الناعم كان يحرك المشاعر.

لحظات وقال شاعيريدي: اذهبوا يا أبنائي لأخذ القليلة، وبعدها يمكن أن تلعبوا معه إن رضيت إيتارا، ثم ابتسم في وجه إيتارا قائلاً: وأنت يا ابني كذلك اذهبي لأخذ قسط من الراحة.

قالت روميتا: كوني مطيعة يا إيتارا، حتى تستعيدي طاقتكم وتواصلني اليوم بنشاط. دخل الصغار الغرف واتجهت إيتارا نحو الغرفة التي نامت فيها بالأمس وكان الببر يمشي أمامها قبل أن يناديها شاعيريدي قائلاً: إيتارا، يمكنك القدوم معي للحظات فقط، إذا كنت لا تمانعين؟

- بالطبع يا عم شاعيريدي فلا يمكن أن أرفض لك طلب خصوصاً بعد معاملتك الحسنة لي، فقال لها: ارجعني فأنا لا أحسن بالمقابل.

قالت إيتارا: لست قادمة لأنك عاملتني معاملة طيبة، أنا آتية لأنك طلبت قدومي، وذكر معاملتك كانت اعترافاً بالجميل ليس إلا.

- ذلك واجب يا ابني. ما إن وصلت إليه إيتارا حتى أمسك يدها الصغيرة واتجها صوب تلك الناحية وقالت إيتارا في نفسها: لابد أنه سيقول لي أن لا أقترب من ذلك الشيء، لذلك لا بد أن أسبقه بالسؤال حتى أتمكن من الحصول على الإجابة. بينما هما ماشيان حتى قالت إيتارا: عم شاعيريدي إلى أين نتجه؟

رد شايريدي: ستعرفين يا ابنتي، لكن لا تسأليني بعد هذا السؤال أي شيء، اتفقنا.
ردت إستارا: حسنا اتفقنا، وهنا علمت إستارا أن شايريدي كان شديد الفطنة فقد

جعلها تخسر فرصة السؤال عن الشيء المغطى بقمash أسود.

قالت في سرّها: لكن لدى حل بدليل.

ما إن رأت إستارا ذلك الشيء المغطى بقمash أسود حتى قالت: ما ذلك الشيء يا عمّاه؟

- ألم توافقني على أنك لن تسأليني أي سؤال يا ابنتي بعد سؤالك عن المكان الذي تتجه إليه؟

- نعم وافقت، لكن نسيت، لذلك سألك ثانية فهلا أجبتني من فضلك؟

قال شايريدي: سؤالك الأول لم تحصلني على إجابته وهذا هي إجابته، لقد كنا نتجه إلى هذا المكان، أما سؤالك الثاني فقد ذكرتك أنك وافقت على أن لا تسألي أي سؤال آخر لذلك نحن متعادلان الآن.

ارتبتكت إستارا لوهلة، لكنها لم تستسلم. قالت: عمّاه، لماذا لا تتكرم علي وتحبني، فعندما كنت بحاجة إلى مأوى آويتني دون شروط، والآن عندما أردت إجابة عن سؤال بسيط لم تتكرم بالجواب.

- حسنا، سأجيئك عن سؤالك، لكن إستارا تفطنت إلى أنه من الممكن أن يكون بناء خشبياً أو ما شابه من مظهره الذي يبدو عليه، لذلك قد يجيئها شايريدي بالقول أنه بناء مغطى بقمash أسود، لذلك أسرعت بالقول: مهلا يا عمّاه، أن يكون الإنسان معافاً ليس لأن يقال له أنه معاف. لذلك ما رأيك أن تساعدني على رفع القماش لأعرف الإجابة بنفسي.

ما إن سمع شايريدي ما قالته إستارا حتى ضم أصابع إحدى يديه حتى صارت قبضة

كاملة وبعد ذلك أخذ نفسها عميقاً وأخرجها، وكأنه كظم غضباً عارماً تولّد في داخله.

قال شايريدي: ساحيني يا ابنتي، لكن لا يمكنك أن ترى ما يوجد هناك، لذلك الآن أنصحك أن لا تقتربي من هذا المكان أبداً، وإن حدث ورأيتكم هنا فلست مسؤولاً أبداً عن العقاب الذي سنلحقه بك، أما وقد عرفت أنه يجب عليك الابتعاد عن هذا المكان طيلة مكوثك هنا، فهيا نعد لتأخذني قسطاً من الراحة، وتستأنفي اللعب مع الأطفال الآخرين يا ابنتي، وأكرر اعتذاري لك مجدداً.

- لا، أنا من يجب عليها أن تعذر لأنك تريد النفع لي من وراء نصيحتك، ولو قلت لي من البداية أنه لا يجدر بي أن أعرف ما يوجد وراء القماش الأسود ذاك لما طرحت عليك أي سؤال، ولقلت لك سمعاً وطاعة، والآن أكرر اعتذاري فأرجوكم أن تسأحيوني.

تبسم شايريدي في وجه إيستارا وقال: شكراً لك يا ابنتي على تفهمكم. ثم عادا من تلك الناحية حتى وصلا إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وقال: أتمنى لك يا ابنتي نوماً هادئاً، فقالت إيستارا: شكراً لك يا عم وأكرر اعتذاري منك فأرجو أن تسأحيوني، فرد شايريدي قائلاً: لا عليك، لا عليك يا ابنتي. وذهب هو الآخر ليأخذ قسطاً من الراحة وقبل أن تغلق إيستارا الباب استدار شايريدي وقال: عدديني أن هذا سيقى سراً ولا تخبرني أياً من الآخرين من فضلك، فقالت: حسناً لن أخبر أحداً؟

- طلبت أن تعدديني بأنك لن تخبرني أحداً، فقالت إيستارا: أعدك يا عم شايريدي أني لن أبوح بأي شيء لأي كان، ولن أعود إلى تلك الناحية أبداً، أسعدك هذا؟
قال شايريدي: شكراً لك، وذهب، أما إيستارا فقالت في نفسها: سأرى فقط إن كانت ساديت ذكية أم لا؟

بعد حوالي ساعتين استيقظ الجميع من القيلولة واستيقظ الأطفال واتجهوا نحو الغرفة التي كانت إيستارا نائمة فيها وبدأوا بقرع الباب والمناداة عليها لكي تخرج، فقد كانوا

متحمسين جداً للعب مع الببر الأبيض، فخرجت إيزستارا إليهم وكأنها استيقظت للتو فقط، أما الحقيقة فهي أنها لم تغمض عينيها ولو مرة واحدة إلا إن كانت رمثة للجفون فقد ظلت تفكّر في ماهية الشيء المغطى بالقماش الأسود، ولماذا أراد شايرويدي من الأطفال ومنها أن يظلوا بعيدين عنه وأن لا يقتربوا منه خطوة واحدة، حتى أنها فكرت في طريقة تمكنها من المكوث عندهم وقتاً أطول، حتى تعرف السر المخباً وراء القطعة القماشية السوداء العظيمة تلك، فهي لن تهدأ حتى تعرف الإجابة.

بعد الاستيقاظ من القيلولة تعالت أصوات الصغار في الساحة الكبيرة الممتدة الأطراف، وببدأ الصغار يلحوذون على إيزستارا حتى تسمح لهم باللعب مع الببر الذي لم يسمح لهم البتة بالاقتراب منه عندما كان قرب باب الغرفة التي تنام إيزستارا فيها، فقالت: تعال يا بيري الأبيض الجميل، ولا تكشر عن نابك الطويل!. بدأت إيزستارا تمسح على فروعه، وألقت ساديت يدها على فروعه الرطب والناعم لكنه كسر عن أنيابه في وجهها فارتבעت كثيراً وتراجعت بسرعة للوراء، وهنا ضربته إيزستارا ضربة خفيفة على عنقه فجلس أرضاً كأنه يطلب السماح منها، قالت هذه الأخيرة: ساديت، تقدمي ولا تخافي.

فاقتربت منه ساديت ثانية وببدأت تقرب في يدها منه ببطء شديد. كانت لا تزال خائفة والأطفال الآخرون يتربّون بأعين خائفة. فجأة أمسكت إيزستارا يد ساديت وجذبّتها حتى جعلتها تلامس الفروع الناعم وقالت: قلت لك لا تخافي وانتهى الأمر، لن يؤذيك. بدأت ساديت تمسح على فروعه، لم تكن مصدقة كم أن فروعه رطب فعلى الرغم من وضوح رطوبة فروعه، إلا أنها عندما لامسته وجدته أرطب مما كانت تتوقعه.

أقبل كايسو والآخرون بعدما استيقنوا أنه لن يؤذي أحداً، وكانوا في أوج السعادة وكأنهم لم يسعدوا في حياتهم سعادة كذلك، ورأى شايرويدي فرح الأطفال فأقبل هو كذلك وقال لإيزستارا: هل سيؤذيني لو لمسته أنا يا ابنتي؟

- لا لن يؤذيك أبداً، فأقبل هو كذلك يداعب بيده الببر ورأته روميتا وسويريتا أثناء حلب البقرات.

قالت روميتا: لا يزال يلعب مع الأطفال كعادته.

لترد سويريتا: أجل، لكن يؤسفني أنه لم يستطع أن يتخلّى هو وأعمامي عن... وقبل أن تكمل كلامها وضعت روميتا يدها على كتف سويريتا وقامت بدفعها دفعة قوية جعلتها تسقط، لتجد هذه الأخيرة عمها ريوساي يلقي إليها يده ويعينها على الوقوف.

قالت روميتا: سأمحيني فقد فقدت توازني ووضعت يدي عليك دون قصد.

ردت عليها سويريتا: لا عليك، لكن في المرة القادمة احترسي.

قال ريوساي: هيا، لا تكونا مثل فتاتين صغيرتين، وقالت سويريتا: شكرًا لك يا عمي لأنك ساعدتنى على الوقوف بعد أن سقطت.

- هيا أكملا عملكم ولا تنسيا أنه يجب عليكم مخضه ليصبح لينا، ولا تنسيا ترك كمية كافية من الحليب فلدينا ضيفة يجب إكرامها.

وتوجه نحو شايريدي الذي كان لا يزال مع الأطفال يحمل هذا تارة ويحمل ذاك تارة أخرى وقال: هل تسمحون لي باللعب أم لا؟

فقال شايريدي: حاول أن تمسك أحذنا إذن، وكم كانت تلك اللحظات لحظات رائعة جعلت طيور الفرح تبسيط أججنتها مجدداً على قلب إيستارا وتشعره بالأنس وذوق الطمأنينة الذي فقدت طعمه في الأيام الماضية، ورأت شايريدي يجري وراء أحد أحفاده فسقط أرضاً واتجه الحفيد ليطمئن على جده فأمسكه شايريدي وضممه بين ذراعيه وقال: أمسكتك الآنأخيراً.

هنا استرجعت إيستارا ذكرياتها مع أمها، واسترجعت ذكرى مثل التي حدثت أمامها الآن تماماً، وكادت تسبقها الدموع لولا أن احتضنتها ميراي قائلة: نحن نلعب وأنت

شاردة الذهن.

قالت إيستارا: كنت أفكّر كيف أمسك بساديت، لترد ميراي: عند اللعب لا نفكّر،
للعب وحسب.

تابعوا اللعب أما سويريتا فقد شكرت أختها روميتا على دفعها وإلا لحدث شيء
سيء لها لو سمعها عمها، وغيرتها الموضوع مباشره، وتابعتنا حلب البقرات وما إلى غير ذلك
وبعد الانتهاء التحقتا بالنسوة.

في هاته اللحظات اتجهت ميراي نحو إيستارا قائلة: إيستارا، أريد أن أطلب منك
شيئاً صغيراً، أتمنى أن تتذكرني علي بتحقيق هذا الطلب الصغير.

ردت إيستارا: طبعاً يا ميراي، اطلبي فقط.

فهمست ميراي في أذن إيستارا، قبل أن تراهما ساديت وأتت مسرعة إليهما، و أول
ما قالته ساديت هو: ماذا همست في أذنك يا إيستارا، قولي لي رجاء؟
ردت إيستارا: لا، هذا مستحيل.

قالت ميراي: أحسنت يا إيستارا، لا تخبريها ودعني الأمر سراً بيننا.

قالت إيستارا: فالجملة وجّهت لكليكم وليست لساديت فقط!

قالت ميراي: إنه طلب صغير جداً، لماذا تبالغين؟. وقالت ساديت: لكن أخبريني يا
ميراي، ما هو هذا الطلب الصغير؟

- دعك، دعك يا ساديت، فلو أخبرتك ستقولين أن إيستارا فتاة أناانية.

قالت إيستارا: لست أناانية... لو كان شيئاً آخر للبيته دون تردد، لكن طلبك هذا لا
أستطيع تلبيته، أنا آسفة، آسفة جداً. وعانتها قائلة: يوماً ما إن شاء الله سأهديك شيئاً
أجمل منه بكثير فافرحي.

ابتسمت ميراي وشعّت عيونها فرحاً وقالت: حقاً ما تقولين، ما هو، ما هو؟

- يجب أن يكون مفاجأة وإن لم يكن جميلاً ولن يفرح قلبك. قالت ساديت:
حسناً، سأعطيكم هدية الآن!

نظرت كل من إيسستارا وميراي إلى ساديت وقالت ميراي: ما هذه الهدية فلا أتذكر
أنك قدّمت لي هدية من قبل؟

فجأة تلقت الاشتنان ضربة خفيفة على رأسيهما من ساديت وقالت: ولا واحدة أرادت أن تخبرني، ما رأيكما بمحديتي أليسست جميلة؟

قالت ميراي: لا تزالين هنا، ستأخذين مني هديتين!. ما إن همت ميراي برد الضربة
لساديت حتى صرخت ساديت: ميراي، تعالى إلى هنا.

ارتبت میرای وتحمدت في مكانها، لتضربها ساديت ضربة ثانية خفيفة. قالت: أيتها الحمقاء!

همّت ساديت بالركض قبل أن تجد يد إستارا تمسكها. قالت إستارا: نسيت أمري يا أختي، ماذا ستفعلين الآن؟

قالت ميراي: انتظري حتى أريها من أكون... فجأة تركت إيستارا يد ساديت قائلة: لتمسكي بها إن أردت الثأر، فأنا أمسكتها لأجلني لكنني قررت مسامحتها.

قالت میرای: يااااه... ما أرق قلبك!

عادت میرای وقالت لایستارا وسادیت: لا تسألاني، فلن أخبركما بأي شيء.

قالت لساديت: لست مهتمة!

الفصل السادس عشر: الشاب الصامت

"العدالة دون قوة عدمة الجدوى، والقوة دون عدالة استبداد."

بليز باسكال

بعد عصر ذلك اليوم بوقت قصير أتى لتلك الضياعة شاب يرتدي لباساً رمادياً، طويل القامة ومتعدل الجسم، وسليم الوجه ذو لحية خفيفة، ممتلئ العضلات حسب ما يوحى منظره، ذو بشرة بيضاء وعيون واسعة شديدة السوداد، ولعل أكثر ما يميزه هو شعره الطويل الأسود المنسدل على كتفيه، رفع يده اليمنى محياً شايرويدى وأخاه وبقى بعيداً عنهم حوالي ثلاثة أمتار.

رفع شايرويدى وأخوه يده اليمنى لرد التحية عليه، وأرسل شايرويدى كايسو إلى النسوة فأحضر كيساً ليس بالصغير وليس بالكبير، كان كايسو قادراً على حمله دون مشقة أما الكيس فقد كان مملوءاً بالصوف على الأرجح أو شيئاً آخر من خيوط النسيج.

تقدم كايسو نحو الشاب، لكن إيستارا طلبت من كايسو أن يسمح لها بحمل الكيس إلى الشاب فوافق. حملت إيستارا الكيس لذلك الشاب، ووضعت الكيس أمامه. انحنى واضعاً على الأرض قطعاً فضية، وبينما هو يتفحص محتوى الكيس، حتى اخترت إيستارا لتحمل القطع الفضية.

قال الشاب بصوت منخفض: أحذري من الألعاب دون أن تقلقي. لحظات وقام واضعاً الكيس على كتفه، وهم بالmigration. استدار وبدأ يمشي، كانت في مشيته هيبة كبيرة، أما إيستارا فحملت القطع الفضية في حين كان الشاب لم يتوار بعد عن الأنظار، فجأة. توقف واستدار ثانية.

نظر إلى شايرويدى وريوساي ثم رفع يده مودعاً إياهم، وذهب بعدها مباشرة.

أما إيسستارا فكانت تسترجع الكلمات التي قالها لها - أحذري من الألعاب دون أن تقلقي - ثم توجهت إلى شاييريدي وسلمته القطع الفضية وواصلت اللعب.

غربت الشمس، واجتمع الجميع على العشاء كالعادة، وانتهى العشاء كالعادة، والتغيير الوحيد هو أن إيسستارا طلبت من روميتا أن تسمح لها بالنوم في غرفة ساديت وميري، وهو الشيء الذي وافقت عليه روميتا برحابة صدر.

لم تكن إيسستارا تطلب ذلك عبثاً، بل كانت تزيد أن تضع خطة مع ساديت وميري لكشف الشيء المغطى بالقماش الأسود واجتمعت الفتيات في غرفة واحدة، وبدأن يخططن لمعرفة الشيء دون أن تتعرض أي واحدة للتعذيب، ودون أن يكشف أمرهن أو حتى أن يُشكّ في نواياهن.

كانت الغرفة مضاءة بأنوار ثلاثة شموع كل واحدة موضوعة في صحن حديدي وعلقة في وسط ثلاثة جدران من البيت إلا الجدار الذي كانت الباب، جلست كل واحدة في مكانها وبدأن يتحدثن بصوت خافت حتى لا تصدر أية ضجة.

قالت إيسستارا لساديت: كان معك حقّ، فجدرك ليس غبياً، إن كنت ذكية فافهمي. ردت ساديت: كنت أعلم أنه ليس غبياً وأن خطتك السابقة ستفشل، ولا بد أنكمما ذهبتما لتلك الناحية وأخبرك بعدم الاقتراب.

قالت إيسستارا: جيد أنك فهمت، والآن من منكمما لديها خطة لأرى إن كنا سننجح في تنفيذها أم لا؟

قالت ساديت: لدى خطة، لكن لا أدري إن كانت ستنجح أم لا. لتقول ميري: أخبرينا بها فقط، وبعدها نقرر إن كانت ستنجح أم لا.

قالت ساديت: اسمعاني، ذلك الشاب الذي أتى اليوم هو الحل، ونظرت إلى ميري قائلة: أنت تعلمين أنه يأتي كل ثلاثة أيام ليشتري الصوف منا، لذلك عندما يأتي في المرة

القادمة تذهب واحدة منها لتهيئهم، فجدي والأعيان سيكونون حاضرين، لأنهم دائمًا ما يكونون هناك عندما نسلمه الصوف، واثنان تذهبان لتلك الناحية وتحاولان معرفة الشيء المغطى بقطعة القماش الأسود، ما رأيكما؟

قالت ميراي: أحسنت، هكذا ستمكن من معرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود.
قالت إيستارا: فكرة سيئة، تذكرني أن ساديت وجدت القماش وكأنه ملتصق، لذلك سيكون الوقت قصيراً جداً لنرفع القماش، ونعرف إن كان بناء مشيداً بالطوب أو بلبنات حجرية.

قالت ميراي لساديت: لقد أخبرناها بالقصة، ثم نظرت إلى إيستارا وقالت: بما أن هذه الفكرة ليست سديدة، لدى فكرة أخرى، لكن يجب أن ننتظر حوالي خمسة عشر يوماً أخرى للأسف، وهنا قامت إيستارا من مكانها وأسرعت نحو ميراي قائلة: أخيراً، ربما فكرة جيدة، هيأخبرينا بها يا ميراي؟

بعد خمسة عشر يوماً من الآن ستقام الألعاب - وذكرت إيستارا أن الشاب كان قد أخبرها أن تحذر من الألعاب - في ذلك الحين كانت ميراي تواصل حديثها قائلة: لكن دعينا من الألعاب الآن، ما أقصد هو أنه خلال التحضيرات تتسلل واحدة أو اثنان إلى تلك الناحية وهكذا نعرف السر، أما الثالثة فتبينها إن كان هناك شخص ما قادم.

قالت ساديت: فكرتك سيئة كذلك، أنت تعيشين هنا، ألا تعلمين أنه لا توجد إلا طريق واحدة للعودة، والتنبيه لا يجدي نفعاً حينها.

عادت إيستارا إلى فراشها وهي تفكّر كيف يمكن التسلل ومعرفة السر، وبينما هي تنظر نحو السقف حتى رأت رقاً ملصقاً في السقف، ومكتوب عليه بعض الجمل لكنها لم تستطع قراءتها، حتى بعد أن قامت ورفعت بصرها.

قالت لساديت وميراي: ماذا كتب على هذه الرقا؟ إذ لا أستطيع القراءة من هنا.

فردت عليها ساديت: في كل غرفة هناك رق كهذا، لكنهم لم يخبرونا عن محتوى أي منهم، جدي أخبرنا بأنها قوانين هذه الأسرة التي تطبق على كل من يخطأ، كبيرا كان أو صغيرا، ونحن لا نعرف القراءة لذلك لم نفكّر بشأنها.

لحظات وقالت إيستارا: حسنا، أحملاني لأحاول قراءة محتواه، فوافقت الاثنتان وقابلت كل واحدة الأخرى وضمتا أيديهما وصعدت إيستارا فوق أيديهما، لكنها سرعان ما سقطت وسقطت الاثنتان.

قالت إيستارا وهي تحاول أن تكتم الضحك: قلت أحملاني، ولم أقل دغدغاني!

قالت ساديت: تحملني الأمر، تعلمين أن راحة القدم موضع من مواضع الدغدغة.

قالت ميراي: تذكري أن هذا الوقت ليس وقت الضحك يا إيستارا، وبهذا لن تشعري بأي دغدغة.

- ربما. قالت إيستارا.

رفعت كل من ساديت وميراي إيستارا مرة أخرى وتحاملت هذه الأخيرة على رغبتها بالضحك وبدأت تقرأ. ما إن انتهت من القراءة حتى فقدت توازنها وسقطت على الفراش المعد لساديت وكذلك سقطت ساديت وميراي.

سرعان ما بدأن بالضحك بصوت خافت ولحسن الحظ، لم تتعرض أيٌّ منهن للأذى.

قالت ميراي: أخبرينا يا إيستارا، ما الذي كان مكتوبا على الرق فربما كان فيه شيء يساعدنا على معرفة الشيء المغطى بقطعة القماش السوداء.

- إنها بعض القوانين التي يجب أن لا تنتهك من قبل أي فرد كما قال الجد شايريدي، وغير هذا لا شيء مهم. الآن دعونا ننام فقد تأخر الوقت وإن علم أحد أننا لم ننم، فسيحدث شيء لا يحمد عقباه، ثم نامت الفتيات نوما عميقا.

استيقظت إيستارا في الصباح قبل كل من ساديت وميراي اللتان استيقظتا بعد

استيقاظ إيتارا بوقت قصير، وسرعان ما بدأنا بالتأهب، وتضع كل واحدة يدها على فمهما، ونظرت كلتاهم إلى إيتارا.

قالت ساديت: لماذا لم تغسل وجهك بعد يا إيستارا؟

- ما بك؟ لم يدق جرس الاستيقاظ بعد. الآن اسمعوا ما سأقوله، خاصة أنت يا ساديت: عند اجتماعنا لتناول فطور الصباح قولي لأمك أن قرطا من الأقراط التي أضعها قد ضاع مني، لكن اهمسي في أذنها لأنك لو قلت ذلك مباشرة سيُشك في أنها اتفقنا على هذا لأننا نمنا في الغرفة سوية، وبعدها لا تتفوهي بأية كلمة، أما أنت يا ميرياني فسوف أقول لك ماذا ستفعلين.

نرعت إيستارا قرط أذنها اليمني و قالت لميراي: تفضلي، خبيه في مكان آمن، إياك
أن يُكتشف مكانه وتذكرى، يجب ألا يعلم أي أحد بمكانه إلا أنت، وتذكرى أنك
ستعيدينه لي ما إن ننفذ فكرتنا.

قالت ساديٰ: ظننت أنك نسيت أمر ذلك الشيء، أما ميراي فقالت: هل تصنعين الأفكار عندما تكونين نائمة؟.

أجبت إيسناراً: لكي أعرف يجب أن أخاطر، والأفكار لا أصنعها عندما أكون نائمة، بل أصنعها عندما أكون أفكراً!

أمسكت ميري القرط وقالت: لا تقلقي، يمكنك أن تسألي ساديت عني، إذا خبأت شيئاً فسأموت ولن يُعرف مكانه إلا إن بحث بمكانه.

قالت إيزستارا: رائع يا ميراي.

لحظات قليلة فقط، واسترجعت إيسستارا القرط من يد ميراي قائلة: لا، لا، لن نكذب، يجب أن نضيئ القرط.

تابعت تقول: لا يهم فهو مجرد قרט، صحيح أنه هدية من أمي، لكن ماذا سأفعل؟

أنا جد فضولية، أنا هكذا ولا أستطيع تغيير نفسي!

ما إن فرغت إيستارا من كلامها حتى قرع الجرس، فخرجن مسرعات ومن شدة تداععهن على من تخرج أولا سقط القرط الذي كانت تحمله في يدها ولم تنتبه له وسط تلك الأجراء الرائعة الأخوية بينها وبين ساديت وميري، واتجهن لغسل وجوههن وكانت ساديت قد سبقتهما.

غسلت وجهها أولا، وعندما حان دور إيستارا لتغسل وجهها انتبهت إلى أن القرط ضاع منها، وطارت من الفرحة وأخذت ترش في ميري بالماء من شدة الفرحة التي غمرت قلبها، وقالت ميري: توقيفي يا إيستارا ماذا دهاك؟. فهمست إيستارا في أذنها: ضاع القرط مني!. نادت ميري على ساديت التي كانت تمسح في وجهها بالمنشفة، قائلة: تعالى يا ساديت، تعالى. مبشرة أقبلت ساديت قائلة: ماذا جرى؟

قالت ميري: ضاع القرط ولم يتبق سوى أن تفعلي ما أخبرتك به إيستارا.

أخذت كل واحدة ترش في الأخرى بالماء وهي تقول: مرحى... مرحى... وما إن أتى كايسو والأطفال الآخرون واصطفوا لغسل وجوههم حتى توقفت الفتيايات الثلاث عن رش بعضهن البعض، واتجهن لمسح وجوههن بالمناشف.

في هذه اللحظات قالت ساديت: ستذهبين مع جدي إلى تلك الناحية ثانية على أساس أن القرط ضاع هناك، لكن بالأمس ذهبتما. وقالت ميري: كلامها صحيح تماما، فأي خطة هذه يا إيستارا؟

- لو كان لي توأم حقيقي لكنت الأجمل، لذلك انتظروا فحسب، فأنتم لا تعرفون إيستارا جايكيوي، حتى إيستارا نفسها ليست أفضل مني!

اجتمع الجميع لتناول فطور الصباح، وبينما هم يتناولون إفطارهم حتى نظرت إيستارا إلى ساديت وأشارت لها أن تقول كما أخبرتها في الغرفة.

همست ساديت في أذن أمها: أمي انظري، إن أحد قرطي إيستارا مفقود، لا بد أنه سقط منها أثناء اللعب؟. نظرت روميتا إلى إيستارا قائلة: إيستارا ابنتي، هل فقدت أحد قرطيك ولم تتفطنني بأنه سقط؟

رفعت إيستارا كلتا يديها وكان شاعرiddy ينظر إليها بعيون واسعة. لمست إيستارا أذنها وقالت: معك حق فأحد قرطي مفقود يا حالة. قامت وبدأت تتصنع البحث عنه، وهي تقول: إنه هدية من أمي، كيف ضاع مني؟ لا بد أن أجده.

قال شاعرiddy: لا تقلقي، سنبحث عنه يا ابنتي، ونجد له، فنحن نعلم أنه ضاع منك هنا، هل كان معك ليلة البارحة؟

أجبت إيستارا دون تفكير: لا أذكر، أظن أنه سقط مني عندما كنت منغمسة في اللعب، ثم قالت في سرّها: آسفة يا أمي، إنه الفضول!

الفصل السابع عشر: الألعاب المسنونة في الضياعة

"ليس الفنان شيئاً بدون الموهبة، لكن لا تعني الموهبة أي شيء بدون العمل."^{١٠}

إميل زولا

علِّمت الفتيات أن القرط قد ضاع، لكن تمنياتهم كانت أن لا يكون قد ضاع في الغرفة التي نُمِنَ فيها، وإن كان فيها، فتمنين أن لا يظهر لعين أحد، أما إِيسَتَارَا فـكانت قد فتشت جيبي تنوّرها جيداً حتى تتأكد أن القرط ليس معها. لما انتهوا من تناول فطور الصباح قاموا للبحث عن القرط، في حين انزلقت إِيسَتَارَا، لكنها سرعان ما استعادت توازُّنها. بدأ الجميع بالبحث عن القرط وبدأوا بالغرفة التي نامت فيها الفتيات.

فتشوا كل ركن منها وكل شبر ولم يعثروا على أي أثر للقرط، وفتشوا كل الأماكن وبقيت ناحية وحيدة، وهي تلك الناحية التي أمر شايِريدي إِيسَتَارَا أن لا تذهب إليها. قال شايِريدي: حسناً ليذهب كل منكم إلى عمله، وليدياً الصغار باللعب في الساحة، أما أنا وإِيسَتَارَا فـسنبحث عن القرط.

توجهت إِيسَتَارَا مع شايِريدي إلى تلك الناحية وقال هذا الأخير: تعالى يا ابنتي، سنبحث عنه في تلك الناحية فربما سقط منك البارحة هناك ولم تتبهي عليه.

ما إن وصلَا حتى قال شايِريدي: أولاً يا ابنتي، أريد أن أطمئن إلى أن جيوبك فارغة؟ كانت جيوب إِيسَتَارَا فارغة تماماً، إلا واحداً فقط، فقد استخرجت منه قرطاً بكل ثقة واطمئنان!

ابتسم شايِريدي ابتسامة خفيفة، وابتسمت إِيسَتَارَا كذلك!

قال شايِريدي: هل تعلمين لماذا لم أطلب تفقد جيوبك أمام الجميع؟
أجبت إِيسَتَارَا قائلة: لكي لا تحرجني أمامهم!

- أخطأت، فعلت ذلك كي أعلم هل كانت نيتك هي القدوم إلى هنا مجدداً أم لا، وما إن أتمت كلامه حتى دفع إيستارا دفعه قوية أسقطتها أرضاً، واحمررت وجنتها البديعتان لاءِ إرادياً.

لحظات وأمسكها من عضدها وأخذها مباشرة إلى الساحة الرئيسية ونادى على لافيتا، وجودفيتا ورياكشا، وانهلن عليها بالضرب.

كان شايرويدي يفور غضباً، وهو يقول: أرادت خداعنا فقط لكي تذهب إلى المكان الذي أخبرتها أن لا تقترب منه...

بعدها تقدم ريوساي وقال: هذا يكفي. ثم نظر إلى إيستارا وقال: هل هذا جزاءنا بعد أن تكررنا عليك وأويناك بصدر رحب، وجعلناك مثل فرد من عائلتنا. كانت إيستارا تشعر بألم شديد، كانت عيونها الزرقاء البدعية تدمعان لاءِ إرادياً، وتنبت لو أنها لم تقدم على تلك الخطوة...

لحظات وابتسمت. قالت: لا تنفكّ همس لي بعد أن توقعني في المتاعب... أية قصة هذه التي ترضى فيها الشمس بألم قمرها! يجب أن تحرقهم حالاً... أقصد أن تمحيهم من القصّة!!

مباشرة همس لونفiro لإيستارا: دمية مشاكسة، دعك من التذمر أيا قمري الحبيب، يا أشمس شمس أشرقت في حياتي، يا أقمر قمر بزغ في حياتي، تعلمين جيداً أنه لا يوجد من يستطيع ملسك، وهذه المرحلة تكشف أنّك شخصية محبوبة بالفطرة، وملاحظةأخيرة، أرجوك، أرجوك لا تتجاوزي حدود القصّة!

سأتجاوزها متى يحلو لي ذلك، أنت الكاتب وأنا البطلة...ها... بطلة لونفiro كيمراي! قالت نيماسولة الصباح والمساء: والآن، يمكنك أن تواصل!

بصوت صامت أجاب لونفiro: من لؤلؤات ولا لؤلؤات عيوني!... أذبت عقريتي كلها في

بحار برائتك... لذلك أرجوك، لا تتضايقى للحظة!

كانت جوانحها ترتعد وهي تقول في سرها: توقفوا، توقفوا أرجوكم...إن لونفiro
مجنون... سينهـي كل من يتجرأ على لمسـي!

لم تنطق بكلمة واحدة، بقيت مطأطأة رأسها وسط ذهول الأطفال وتعاطفهم معها، أما ساديت وميري فكانتا تبكيان على ما تتعرض له، وللأسف فالببر الأبيض كان قد غادر الضيعة ليصطاد فلم يستطع أن يمنع الأذى الشديد عنها.

تقدمت جودفيتا منها وقالت: ارحلـي من هنا قبل أن أفقد صوابـي... وفي غمرة غضـبها، دفعت إيسـتارا دفعـة قـوية، لتسـقط نـيمـاسـول الصـغـيرـة عـلـى الـأـرـض ثـانـيـة. ثم حدثـت مـفـاجـأـة لم يـتوـقـعـها أحد وـصـدمـ الجميع عـنـدـمـا قـالـت رـومـيـتا: قـرـطـهـا الثـانـي يا أـبي أـين هـو؟ وهـنا تـكـلـمـت إـسـتـارـا وـقـالـت بـابـتسـامـة: إـنـه فـي يـدـه!

كانت صدمة الجميع كبيرة، بقي شايريدي يحرك في رأسه يميناً ويساراً، وهو يقول بذهول: لا يمكن، هذا لا يمكن... .

قالت إيسنارا: عندما رأيت أن القرط الأول قد ضاع مني، نزعت الثاني ووضعته في جيبي كي لا يسقط هو الآخر مني.

في تلك الأثناء كان الأخ الأصغر لشايريدي يستظل تحت ظل شجرة بعيداً عن الساحة ولم يعرف بما يجري، خاصة عندما أنهكه التعب في البحث معهم عن القرط. فجأة لمح شايريدي يتقدم نحوه. قال شايريدي: عندما أنهينا الفطور ماذا فعلت استار؟

قال دوكيجواي: أختت فطورها وقامت وانتعلت نعلها الصغير، ثم نزعت قرطها الثاني ووضعته في جسها.

تغيرت ملامح شاربدي، وشعر بالخزي تجاه ما فعله عندما تيقن أن إستارا بريئة

تماماً، وببدأ شعور الذنب يعذب ضميره بقصيدة وقال: لقد ظلمنا الفتاة، وقبل أن يكمل قال دوكيجواي وهو يتلعلعثم: ما... ماذا قلت... ظلمنا إيستارا، ماذا جرى؟

- نعم ظلمناها، وأسئنا الظن بها، ثم قصّ له ما جرى.

عاد شايريدي دوكيجواي إلى الساحة وقال شايريدي: لقد ظلمنا إيستارا. وببدأ الجميع يعتذر إليها، بدأت جودفيتا ورياكسا تمسحان على وجهها البديع، ولايفيتا تنفض الغبار عن لباسها.

قالت روميتا مخاطبة والدتها وهي متحسرة على ما فعله أفراد عائلتها: سترتدى لباسا آخر، لا بأس يا أمي.

في هذه اللحظات همست ساديت ميراي: أشعر بغيرة طيبة، نقية وصفافية تماماً تجاه الذكاء الذي تملكه أختنا المجنونة هذه، لتقول ميراي: وأنا كذلك.

تابعت ساديت: لكن يا ميراي، لست أفهم ما الذي تنوّي فعله حتى الآن؟

قالت ميراي: ليست لدى أية فكرة عما تريد فعله!

قال شايريدي: ساحيني يا ابنتي، لكن لماذا لم تقولي أنه قرطك الثاني وبقيت صامتة حتى أنك ابتسمت عندما استخرجت القرط من جيبك؟

- كانت لديك فكرة مسبقة أني أحاول خداعك ولم تعطني فرصة التكلم ولو للحظة،
فماذا كنت سأفعل؟

انتبه شايريدي وقال: لكن عندما سألك عن السبب الذي دفعني لعدم تفقد جيوبك أمامهم، لماذا قلت لي حتى لا تشعري بالإحراج؟

أجبت إيستارا: حتى لا تكتشف أنك تسيء الظن بي، لكنك لم تفهم قصدي للأسف!

مسح شايريدي على رأس إيستارا وضمتها زوجته، وقاموا بالاعتذار منها مجدداً.

قال شايريدي: للأسف، ظلمنا ضيفتنا وابنتنا، وأستنا الظن بها، وأنتم تعلمون ما الواجب فعله الآن، فأحنى الجميع رؤوسهم وطلبت روميتا من ابنتها ساديت أن تعطي لباسا آخر لإيستارا بعد أن اتسخ لباسها، واتجه الجميع ما عدا الأطفال إلى إحدى الغرف الكبيرة ودخلوا، وأمرروا الأطفال أن يغلقوا الباب من الخارج وكان ذلك بمثابة عقاب على الخطأ الذي ارتكبوه مع إيستارا.

بعد أن اغتسلت إيستارا، ارتدت تنورة بيضاء تصل إلى كعبها وقميصا حريرا بالأكمام يمتد أسفل الركبتين، قدمته لها ساديت. قالت هذه الأخيرة: لقد صرت أكثر جمالا، أصبحت مثلنا تماما... فشرّعت إيستارا ذراعيها وقالت: مهلا يا أختي، جمالي لا يتأثر بالتغييرات التي تطرأ علي؟!... لحظات لتقف إيستارا على أصابع قدميها حتى تصبح في مستوى طول ساديت، ثم قبلت جبينها قائلة: بوركت يا أختي. لحظات وآتت ميراي ببابوج جميل لتنتعلمه إيستارا، فقبلت إيستارا جبين ميراي هي الأخرى قائلة: بارككما الله يا أختاي، أنتما أختاي اللتان فقدتما منذ زمن... جعلكما الله أحمل عروستين، وحفظكما من كل عين شريرة، سأبقى أدعوك ليدرك عنكم العين الحاسدة... يا رب آمين.

قالت ساديت مباشرة: مهلا، للآن لا زلت لا أفهم كيف فعلت هذا، لكن أعلم أن الطريق أمامنا مهيأ لمعرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود.

قالت إيستارا: آسفة لكننا لن نذهب إلى تلك الناحية، ولن أدع أي أحد يذهب، لأننا ابتعدنا عن الكذب لنقع فيه من خلال التحايل على الجد شايريدي، كنت أعلم أن القرط لم يضع متي في تلك الناحية، لكنني تحايلت حتى أخذني إلى هناك مجددا، أضيفا إلى أني قطعت له وعدا بعدم الذهاب، لذلك لن نذهب إلى تلك الناحية.

قالت ميراي: أنت مجنونة يا إيستارا، نحن متशوقون جدا لمعرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود، ماذا دهاك؟

- إذا ذهبا ستكون خيانة. قالت ساديت: لم أعد مهتمة لما يوجد تحت القماش الأسود، لكن كيف فعلت هذا؟

قالت بصوت منخفض: لست غبية حتى أخبرك خطتي أمام الكل، هم صغار وإذا علموا خطتي سيفضلوني لدى أهلهم لذا انتظري حتى ينسوا كل شيء، بعدها أخبرك أنت وميري.

لعب الأطفال فيما بينهم، وكانوا مضطرين لطبخ الطعام بأنفسهم، تناولوا طعاما من صنع أيديهم، وبعد أن انتصف النهار، قالت إيسستارا: لنصلّي أولا، بعدها سأخبركم بالخطة التي نسجتها.

قالت: الخطة بسيطة، من بين القوانين التي قرأتها في الرق المتصق بسقف الغرفة هي أنه إذا قام أحد منهم بظلم طفل صغير، فإن الكبار كلهم سيقولون مدة خمسة أيام في حجرة العقاب وهي الحجرة الوسطى من الجهة اليسرى، كانت أخبرتني أمك يا ساديت بأن تلك الحجرة مخصصة لهم إذا أخطأوا ولذلك سيقولون دون أكل، فقط يمكنهم شرب الماء عند الغروب، لذلك أردت منهم ظلمي، أضعنا القرط الأول، ثم وضعت الثاني في جيب فستانى ليظن الجد شايريدي أني لم أفقد القرط. بعد أن ضربوني وجدوا أنهم ظلموني وحبسوا أنفسهم، وبذلك صرنا قادرين على رؤية الشيء المغطى بالقماش الأسود، قبل أن أتراجع لأنني لا أريد كسر الوعود الذي قطعته، والآن ما يحيرني هو أن القوانين تلك منها ما هو مكتوب بلغة أفهمها ومنها ما هو مكتوب بلغة لم أفهمها، حاولت مرارا وتكرارا قراءتها، لكن هذا كان دون فائدة، على أية حال، هذا لا يهم الآن.

مضت الأيام بسرعة كبيرة بالنسبة للصغار، أما بالنسبة للرجال والنسوة فقد كانت الثواني تبطئ حتى تحول إلى دقائق، وتبطئ الدقائق حتى تحول إلى ساعات، أما الساعات فكانت كأنها لا تزيد أن تودع يومها ذاك وتستقبل الغد، لكن رغم بطء الوقت

إلا أن الأيام الخمسة انقضت، وحان وقت خروج الرجال والنساء، ففترة العقاب انتهت وقد كفروا عن ذنبهم الذي اقتربوه مع إيستارا، واتجه كل طفل يعانق أباه وأمه، فقد كان الاشتياق يمزق الأكباد، أما إيستارا فبقيت في مكانها ولم تتحرك، إذ لم يكن لديها أي شخص هناك حتى تذهب إليه. فجأة رأت لايفيتا مشرعة ذراعيها. قالت: ألن تأتي إليّ يا ابني؟. فرحت إيستارا وانطلقت بسرعة لتعانقها، وضممتها لايفيتا بحنان. لحظات وقالت إيستارا: كنت ساحتكم، وبذلك يكون ذنبكم قد سقط، لماذا عاقبتم أنفسكم؟

- للأسف يا ابني، لم نرد أن تسأمينا دون أن ندفع الثمن. ثم أمسكت إيستارا من يديها الصغيرتين برفق وقالت: تذكرني دائماً أنك لست بعيدة عن أهلك، أنت بين أهلك ريشما يعاد جمع الشمل. فابتسمت إيستارا ثم قالت: شكرًا لك، ولكن سأحيي على هذا لأنني أظن أن أهلنا لا يعاقبونا، إنما يحاولون شرح الأمور لنا وإنقاونا.

قالت لايفيتا: لكن يا ابني، في بعض الأحيان هناك أفعال تجعلنا لا نفكر في الحل وقد نفقد صوابنا ونفقد السيطرة على أنفسنا، لأن مشاعرنا المكبوتة في قلوبنا أشبه بحمم داخل بركان، والبركان قد يصدر دخاناً في أول الأمر وهذا بمثابة أننا غضبنا، لكننا كبتنا الغضب في داخلنا، والبركان قد ينفجر مباشرةً، وهذا بمثابة غضب لم نستطع أن نكتبه في داخلنا.

لحظات وقام شايريدي فيهم قائلًا: والآن هيا لنأكل شيئاً، فإننا نعاني من شدة الجوع، وبالفعل كانت بطونهم خاوية وكانت ملامح وجوههم كأنها تداخلت قليلاً، كانوا لا يتحركون إلا وهم يمسكون ببطونهم، وكانوا لا يخطرون الخطوة الواحدة إلا بصعوبة كبيرة لأن طاقتهم كادت تكون قد نفذت، بسبب أنهم لم يأكلوا طيلة الأيام الخمسة المنقضية، ولم يداعب أي ذوق أستثنى حتى ولو كان مرا.

أسرعت النسوة لتحضير فطور الصباح بمساعدة الصغار، فكل النسوة كنّ متعبات

خاصة أن العقاب سرى عليهم كذلك، وأخيراً وبعد مضي وقت قصير انتهوا من تحضير فطور الصباح الذي كان متكوناً من الحليب وقطع من الرغيف أعدته النسوة على عجل. شبعوا وارتوا، وقبل أن يهموا بقضاء اليوم كما كانوا يقضون الأيام الأخرى، كان قد قام شايريدي وقال: ألم تستجتمعوا قوتكم بعد؟ هيا قوموا ففي المستقبل القريب لن تكون الأيام عادية، وفي لحظة قفز الأطفال كلهم إلا إيستارا فهي لم تكن تعلم ما هو الشيء المميز الذي ينتظرون في الأيام القادمة، أما الرجال الآخرون والنساء فقد قاموا متبسمين وقالت إيستارا في سرها: كأن ابتسامتهم تلك ابتسامات مصطنعة لا غير، وكأنهم يخفون شيئاً سيئاً، ويحاولون أن يظهروه جيلاً، لكنها عادت وقالت: لا يا إيستارا، لا تسيئي الضن بجمهم هكذا، وأردفت تقول: حقاً أنا فتاة سيئة، نسيت أنهم لم يأكلوا شيئاً بسببي وهذا يعني أنهم بالكاد يستطيعون الابتسام من شدة الإرهاق، لماذا لا أرى الجانب المشرق منهم وهو أنهم ابتسموا رغم إرهاقهم؟

هل أنا سيئة لهذا الحد يا ترى؟ وتركـت حديثها مع نفسها عندما وضعت ساديت وميراي يديهما فوق كتفـي إيستارا وقالـتا: ابتهجي يا إيستارا ففي الغد إن ظلـلنا على قيد الحياة سيدأ التـحضـير للأـلـعـابـ، الفـائزـ فيـها لـديـهـ الحقـ فيـ لـعـبـ اللـعـبـةـ الثـانـيـةـ، والـذـيـ يـفـوزـ فيـ اللـعـبـةـ السـابـعـةـ سـيـكـونـ عـلـىـ موـعـدـ معـ أـشـهـىـ المـأـكـوـلـاتـ، والـرـحـيلـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ الضـيـاءـ التـيـ ماـ إـنـ تـطـأـهـاـ قـدـمـاهـ حتـىـ تـتـمـلـكـهـ روـعـتهاـ، فـلاـ يـجـبـذـ أـنـ يـرـحلـ مـنـهـاـ أـبـداـ حتـىـ يـمـوتـ هـنـاكـ وـيـدـفـنـ فـيـهـاـ، وـماـ إـنـ أـنـهـتـ سـادـيـتـ كـلـامـهـاـ حتـىـ قـالـتـ إـيستـارـاـ: عـمـ شـاـيـرـيـديـ، سـأـشـارـكـ أـنـاـ كـذـلـكـ فـيـ الـلـعـابـ.

لحـظـاتـ وـقـالـ شـاـيـرـيـديـ: لاـ ياـ اـبـنـيـ، سـاحـمـيـنيـ، لاـ يـمـكـنـكـ المـشارـكةـ.

قالـتـ إـيستـارـاـ: أـرجـوكـ، أـرجـوكـ. فأـصـرـ شـاـيـرـيـديـ عـلـىـ أـنـهـاـ لـنـ تـشـارـكـ، وـكـانـتـ رـوـمـيـتاـ جـالـسـةـ بـالـقـرـبـ مـنـهـمـ، لـكـنـ مـاـ إـنـ نـظـرـتـ إـيستـارـاـ نـوـهـاـ كـيـ تـطـلـبـ مـنـهـاـ أـنـ تـجـعـلـ شـاـيـرـيـديـ

يُوافق على أن تشارك في الألعاب حتى وجدت أن روميتا قد ذهبت دون أن تلحظ ذهاجا.

قالت إيستارا في نفسها: بقي لدي ما أقنعه به مباشرة ولن يمانع مشاركتي في الألعاب. قالت: عم شايرويدي هل سيشارك كل الأطفال في هاته الألعاب التي ستقيمهونها؟

طأطاً شايرويدي برأسه للأمام كناءة على أن كل الأطفال سيشاركون، ثم قالت إيستارا: الأطفال هؤلاء وسط أهلهم وكنت قلت لي أني مع أهلي، إذن، يمكنني المشاركة وإن كان السبب أني غريبة ولذلك لم تقبل مشاركتي، فقد قطعت الخيط ذاك بكلامك.

تبسم شايرويدي وقال: ما أشد فطنته يا إيستارا، حسناً استطعت إقناعي، ستشاركين في الألعاب، وعائق الأطفال كلهم إيستارا.

قالت ساديت: احذري يا إيستارا لأنني لست سهلة، والتغلب علي صعب.

قالت إيستارا: الفوز لا أريده لكنه يريدي. لتقول ميراي: يا لك من مغورة طيبة!

قالت ساديت: أتحداك إذن أن تغلبني، وكذلك قالت ميراي، فنظرت ساديت إلى ميراي وقالت: ميراي، أبقي مكانك رجاء.

صمنت ميراي وقالت إيستارا: من الأفضل لو أنك تحديتي في ذلك لن تخسرني أمامي، على الأقل تبقى لديك فرصة التعادل ولو أنها فرصة صغيرة، وهنا وضعت ساديت يدها اليمنى على رقبة إيستارا وأحتتها للأسفل برفق، وقالت: مغورة، حقاً أنت أختي وصديقي، ثم التجهن للعب والمرح.

كانت النسوة قد اتجهن لأعمالهن، والرجال كذلك لأعمالهم، أما شايرويدي والأعيان الآخرون فاتجهوا كعادتهم وجلسوا تحت ظلال إحدى الأشجار.

قال ريوساي: تلك الفتاة ذكية جداً وفطنتها يجعل المرء يختار.

قال شايريدي: لكن ذكائهما وفطنتها أوقعها في الفخ بسهولة، فالإنسان في بعض الأحيان يقول أمورا طيبة للذكي حتى يُسْهِل طريق قوته، لم أقل لها أنها أهلك إلا لتسهيل وقوعها في الفخ، ولم يبق سوى أن تفوز، أليس كذلك؟

قالت لايفيتا: لكن لماذا لم تقبل مشاركتها من البداية، وبقيت مُصِّرا على رفض طلبها في المشاركة؟

نظر شايريدي إليها وقال: في بعض الأحيان تكونين أقرب للغبية، إنما ذكية جدا، لو وافقت مباشرة على طلبها لشَكَّت في نوايانا، ثم تأخذ في سؤال نفسها لماذا وافق مباشرة على الرغم من أنها كانت السبب في معاقبة أنفسنا، وعلى الرغم من أنها غريبة، ستتفطن إلى أن هناك شيئاً كامناً وراء الألعاب.

قال ريوساي: أتظن أنها ستتغلب على الأطفال الآخرين، لا تنس أن ساديت بارعة، وكادت تفوز العام الماضي، كذلك ميري التي بالرغم من أنها بلهاء قليلا، إلا أنها تحدث المفاجآت، فقبل ثلاث سنوات كادت تفوز.

تبسم شايريدي وقال: اسمعني جيدا، هي الآن سترکر على الفوز فقط، وتصرف نظرها عن كل شيء، صدقني، ذكائهما س يجعلها تفوز حتما، وسيجعلها تقع في شراكنا، وأنت تعلم، لو وجدنا الغرباء في كل عام لأشركناهم مباشرة وتنينا فوزهم، ولو لا أن الغش سيء لكننا لجأنا إليه لجعلهم يفوزون، ثم تابع: نحن سيءون، لكن في هذه الفترة فقط.

لحظات وقال دوكيجوبي: أخشى أن ذكائهما سيدمر كل شيء.

فجأة غضب شايريدي غضباً شديداً ونظر إلى دوكيجوبي نظرة قاسية وقال بنبرة شديدة: لن يحدث أي شيء، كل شيء سيسير كما أخطط له، هل فهمت كلامي، هي مجرد فتاة صغيرة، ذكائهما لا يقدم ولا يؤثر في خططنا.

قال ريوساي: اهدأ، اهدأ يا أخي، واعتذر دوكيجوبي من شايريدي الذي قال في

سرّه: لن أسمح بانخيار كلّ شيء.

أثناء فترة لعب الأطفال نادت روميتا ابنتها ساديت، فهرعت هذه الأخيرة إليها، وقالت روميتا: ادخلني إلى الغرفة، سأتي بعد دقائق. وكان الببر الأبيض نائماً قرب تلك الغرفة.

انتظرت ساديت بعض دقائق حتى أتت أمها روميتا. أغلقت الباب ثم انحالت بالضرب على ساديت وهي تقول: لماذا... لماذا تسرعـت وقلـت ذلك الكلام لإيـستارا حتى طـلبت المشاركة في الألعـاب، ألم أقل لك أن لا تـتفوهـي بأـي شيء عن الألعـاب.

كـانت سـادـيت تـبـكي وـتـقـول: سـاحـمـينـي ياـ أمـيـ، لـقدـ نـسـيـتـ، لـكـنـ مـاـذـا لـاـ تـرـيـدـيـنـهـاـ أـنـ تـشـارـكـ إـذـاـ كـنـاـ نـخـنـ كـلـنـاـ سـنـشـارـكـ فـيـ الأـلـعـابـ؟

انـهـارتـ رـوـمـيـتاـ عـلـىـ الـأـرـضـيـةـ، بـكـتـ بشـدـةـ وـراـحتـ تـقـولـ: لـوـلاـ الـوـعـدـ الـذـيـ جـعـلـونـاـ نـقـطـعـهـ لـعـلـمـ، وـلـعـلـمـ كـلـ الـأـطـفـالـ، لـكـنـ لـلـأـسـفـ أـنـتـمـ تـفـرـحـونـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ وـتـسـلـوـنـ وـبـعـدـ اـنـقـضـائـهـاـ تـنـتـظـرـونـ قـدـومـهـاـ بـفـارـغـ الصـبـرـ فـيـ الـعـامـ الـقـادـمـ، تـتـمـنـونـ الـعـيشـ لـكـيـ تـبـلـغـوهـاـ، أـمـاـ نـحـنـ فـتـنـقـطـعـ قـلـوبـنـاـ، تـمـزـقـ أـوـصـالـنـاـ وـتـدـمـعـ عـيـونـنـاـ سـرـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ، وـتـنـمـنـيـ الـمـوـتـ لـأـوـلـئـكـ الـأـعـيـانـ حـتـىـ لـاـ تـمـزـقـ قـلـوبـنـاـ مـجـدـداـ.

مسـحـتـ دـمـوعـهـاـ ثـمـ أـمـسـكـتـ سـادـيتـ بـشـدـةـ وـقـالـتـ: إـيـاكـ وـقـولـ شـيـءـ عـمـّـاـ قـلـهـ لـكـ الـآنـ، وـجـعـلـتـهـاـ تـقـطـعـ وـعـدـاـ لـهـ بـأـنـ تـبـقـىـ صـامـتـةـ.

انتـظـرـتـ رـوـمـيـتاـ حـتـىـ عـادـ وـجـهـ اـبـنـهـاـ بـشـوـشـاـ، ثـمـ تـرـكـتـهـاـ تـعـودـ لـتـلـعـبـ معـ الـأـطـفـالـ وـقـالـتـ إـيـسـtarـa: لـقـدـ أـطـلـتـ الـغـيـابـ يـاـ سـادـيتـ، مـاـذـاـ جـرـىـ؟

أـجـابـتـ سـادـيتـ بـأـنـهـاـ أـعـانـتـ أـمـهـاـ فـيـ تـحـيـةـ إـحدـىـ الـغـرـفـ، ثـمـ أـتـمـواـ الـلـعـبـ، وـكـانـتـ سـادـيتـ تـشـعـرـ بـأـنـ حـمـلاـ ثـقـيلاـ يـشـقـلـ كـاهـلـهـاـ، أـلـاـ وـهـوـ كـلـامـ أـمـهـاـ الـذـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـدـعـ أـحـدـاـ يـشـارـكـهـاـ فـيـ بـسـبـبـ الـوـعـدـ الـذـيـ قـطـعـتـهـ.

تناول الجميع غدائهم، حل الظلام وبعد العشاء اتجه الجميع لغرفته، واتجهت كل من ساديت وميراي وإيستارا إلى نفس الغرفة. تبادلوا أطراف الحديث قليلاً، ونامت ميراي أولاً فقد كانت متعبة جداً، أما ساديت وإيستارا فتبادلتا أطراف الحديث قليلاً، قبل أن تقول ساديت: إيستارا، ماذا لو قطعت وعداً لشخص ما بأنك ستحفظين وعده خصوصاً أن ما وراء ذلك الوعد شيء سيء؟

- لا شك أنه يجب أن نحفظ وعودنا، لكن في بعض الأحيان، هناك أشياء تغطي بثوب الوعود، فيجب الحذر بين أن الإنسان يقطع وعداً وبين أن الإنسان يتستر عن الأشياء السيئة ويقى يدنس رداء الحقيقة ويقول أقطع لي وعداً، وهنا همّت أن تقول ساديت لإيستارا ما قالته لها أمها، لكن قاطعتها إيستارا قائلة: لكن يا أخي، مثل هذه الوعود حسب الشخص الذي جعلنا نقطعها، فإذا كان عزيزاً وصادقاً، فإنه يجب حفظ الوعود الذي قطعناه له لأن نقض وعدنا له سيتسبب في مساوى أكثر من المساوى التي كانت ستحدث إن حفظنا وعدنا له، وإن كان الشخص شيئاً فذلك لا يسمى وعداً.

- لولا استثناءك الأخير يا إيستارا لقلت لك شيئاً صار يثقلني وأتمني لو أنني أستطيع مشاركته مع أحد.

قالت إيستارا: ومن قال لك أني لا أشاركك حملك الثقيل يا أخي.
كانت إيستارا وساديت متربعان ومتكتتان على الحائط بجانب بعض، ومبشرة تحولت ساديت لتقابل إيستارا. قالت وهي تشير بسبابتها إلى إيستارا: إذن أنت على علم بما قالته لي أمي، لكن كيف عرفت؟

قالت إيستارا: ليكن في علمك أني معاذ الله أن أكون قد تجسسـتـ، لكنـيـ عندـماـ لمـ أـرـ بـيـ الرـيـاضـ الجـمـيلـ بدـأـتـ بالـبـحـثـ عـنـهـ وـكـانـ بـقـرـبـ الغـرـفـةـ نـائـماـ فـسـمعـتـ ماـ قـالـهـ أـمـكـ.ـ الآـنـ قـوـلـيـ أـنـكـ فـرـحـتـ لـأـنـيـ أـعـلـمـ.

عانت ساديت إيسنارا بشدة وضمتها إليها وهي تبكي بشدة وتقول: ماذا سنفعل؟
ماذا سنفعل؟...

قالت إيسنارا وهي تضم ساديت إليها وتمسح برفق وحنان على رأسها: كوني قوية يا أخي.

ثم قالت مازحة: وتدكري أن اللباس الجديد وارتديته قبل أيام قليلة، وأنت الآن تبكين فوق كتفي، هذا يعني أن أنفك الصغير يسيل، لذلك رجاء امسحي دموعك، هذا أولاً.
ثانياً علينا اكتشاف الحقيقة قبل فوات الأوان، ومعرفة ما يخاطرون له، هذا قبل أن يقع أحد في براثنهم مجدداً.

مسحت ساديت الدموع من عينيها، وقالت إيسنارا: انظري منديلاً وامسحي أنفك الصغير الذي لا يزال يسيل، فجأة ضحكت ساديت وشعّ الجمال في محياتها الباكي.

قالت ساديت وهي تنظر إلى ميري: ميري نومها كالدبر، إذا نامت فلن تستيقظ!
تابعت: مهلاً يا إيسنارا، لماذا لا نفرّ من هنا نحو مكان مجهول، نحن والصغرى الآخرون وبذلك نتخلص من هذه الصور السوداء العالقة في أذهاننا.

- ليست صوراً سوداء، إنها صور يكسوها الضباب ما دامت هناك حقائق، والحقائق لا بد أن تكتشف، لا أن نتركها ونذهب، الهرب مع جميع الأطفال من هنا أمر مستحيل، يجب أن نقطع رأس الشّر.

أنا وأنت صرنا نعلم أنكم في هذه الفترة يصبحون سيئين، لكن تدكري أن معاملتهم لكم وكذلك لي كانت معاملة حسنة ورائعة، لذا لا بد لنا من أن نعلم الشيء الذي يجعلهم سيئين في هذه الفترة.

قالت ساديت: إذن، ما رأيك أن تجعلني الببر الأبيض يقتل الأعيان وبعد ذلك نسأل أمي عما يوجد وراء كل هذا، أليس حلاً رائعًا؟ أرجوك وافقني فليس لديك أي عذر

الآن.

رفعت إيستارا ذراعيها جيدا حتى أصدرت عظامها صوتا ثم قالت: اسمعي يا ساديت، الحلول المباشرة قد تكون فخاً لهم ليسوا أغبياء حتى يدعوا الببر معى دون أن تكون لديهم خطة إن هاجمهم، وثانياً انزعجي من رأسك فكرة القتل، إياك والتفكير بهذه الأمور مرة أخرى.

قالت ساديت: ماذا ستفعل إذن؟ وكان صوتها علاً قليلاً فقالت إيستارا: تكلمي بصوت خافت، فربما استيقظت ميراي التي أشعر بالشقة عليها أكثر من أي أحد، فرغم أنها بلهاء قليلاً، إلا أنها طيبة القلب وصادقة، كذلك ربما يكون أحدهم ما يستمع في الخارج، لذلك يجب أن نحذر جيداً.

قالت إيستارا: هل سألكم الجد شايريدي كيف هي تلك الجزيرة التي يذهب إليها الفائز ولم يرسلونه إليها وليس إلى مكان آخر؟ وتابعت قائلة: جزيرة الضياء، اسم جميل، لكن ما الذي يخفيه وراءه؟

الفصل الثامن عشر: جزيرة الضياء

"لن يصب أحد الحقيقة داخل عقلك، هي شيء يجب أن تكتشفه بنفسك."

نعمون تشومسكي

لحظات وقالت ساديت: أجل، سألت جدي ذات مرة، فقال:

إنها جزيرة رائعة وخلابة يقيم بها أقارب لنا وهم من أحفاد جدنا الأول، وتقع في مكان بعيد نسبياً، وقال أن جدنا الأول كان له أخ وحيد فقط، جدنا الأول هذا لديه ثلاثة أولاد، أما أخوه فلم يكن له أولاد، وكانوا يسكنون في جزيرة الضياء، كانوا يرتحلون ثلاثة مرات في العام لرحلات تجارية، وفي أحد الأيام عندما حان يوم ذهابهم لرحلتهم الثانية في فصل الشتاء كان الأخ الذي ليس لديه أولاد مريضاً جداً، فذهب جدنا الأول مع أبناءه الثلاثة، وعندما كانوا عائدين من رحلتهم التجارية صادفthem ريح عاصفة وأمطار شديدة الغزارة فاحتموا في هذه أرض هذه الضياعة.

أخبرنا أن جدنا الأكبر وأبناءه الثلاثة احتموا في هذه الأرض لمدة تقارب الشهر، وخلال فترة إقامتهم قرر جدنا الأول أن يعمرها، فقد كانت بها منازل قليلة، ثم بني منازلاً أخرى، وقال أنه كما آوتهم في ذلك الجو الماطر، فإنهم سيعمرونها، وبهذا فلن تبقى مهجورة.

عادوا إلى جزيرة الضياء قصد أن يرحلوا منها ويأتوا إلى هذه الأرض، لكن عند عودتهم كان الأخ قد مات، وكانت هناك عادة وهي أنه إذا توفي الزوج في أرض ما فإن زوجته لن تغادر تلك الأرض حتى تموت.

فكانت قرار الجد أن يأتي بزوجته إلى هذه الأرض، وينزوج زوجة أخيه المتوفى، يقضي أياماً هنا، وأياماً هناك، ولما شعر أن العمل في الجزيرة أصبح صعباً جداً عليه مع تقدمه في

السنّ، قرّر إقامة مسابقة بين أبناءه الثلاثة الموجودين في الضيعة، والفائز يذهب معه إلى جزيرة الضياء ليعينه هناك.

قالت إيستارا: أظن أن هناك الكثير من الأكاذيب، فزوجة أخيه المتوفى التي أصبحت زوجته الثانية، كان يمكنها العيش بمنأء مع وجود جيران طيبين أثناء غيابه، ولن يخلوا عليها بتقديم يد المساعدة.

كانت الساعة حوالي منتصف الليل، وبعد وقت قصير سمعت إيستارا وساديت صوت خطى في الخارج، فجأة سمعنا صوتا يقول: تعاليا من هنا ولا تصدرا أي ضجة فالصغار نائمون، آريناي تعال من هنا، كايفيري تحرك بيظء.

قالت ساديت: لقد عاد أبي، وزوج خالي، لا بد أفهم عرفوا مكان قريتك يا إيستارا؟

قالت إيستارا: جدك كان مخدعا، لكن لن أستعمل الخداع معه.

قالت ساديت: لم أفهم؟

قالت إيستارا: لم يرسلهما بتاتا، ومن حسن حظك أنت وميراي أنه لم يرسلهما، جدك كان كاذبا، لقد خدعني، لكنني لن أخدعه، فأنا لم أكسر وعده حين تستنت لنا فرصة معرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود، لكن جدك، مخدع منذ البداية.

- لم أفهم أي شيء، كيف يكون من حسن حظي أنا وميراي أنه لم يرسل أبي وزوج خالي للبحث عن قريتك؟

قالت إيستارا: لو أرسلهما لكنت تسببت في قتلهم، وهنا قالت ساديت: لا تقولي فقط أنه إن عاقبوا أنفسهم وكان أحدهم غائبا فإنه سيقتل عند عودته؟

أجبت إيستارا: أحسنت، هذا يعني أنه كان يريدني أن أبقى هنا منذ البداية، والآن أصبحت متأكدة من أن جدك يريدني أن أكون الفائزة في الألعاب.

تابعت: لذلك عندما التقيتُ أمك تحاورت مع النسوة كثيرا في شأن أخذني معهن أم

لا، ولذلك ماوريسي قالت لن ننبعك من القدوم لكن أنسحوك بعدم القدوم، وقنت أن يجدني أهلي يومها عندكم، والشاب حذرني من الألعاب، أي سِّرٌ هذا الذي يخفيه جدك شايريدي وراء الألعاب، ولماذا يريدني أن أكون الفائزة؟

قالت ساديت: أشعر بالأسف عليك يا إيستارا، وأشعر بالحزن من هذا الذي يخفيه جدي والآخرون.

ابتسمت إيستارا وقالت: لا تشعري بالأسف وتمني أن يعود المخطأ إلى رشده وإلى الطريق السوي، من يدرى، ربما جدك مجرر.

قالت ساديت: لا تحاولي جعله بريئا يا إيستارا.

لترد إيستارا: أحارو أن أحسن الظن به، لا تبرئته، وهناك أمر يا ساديت، أريد أن تقطعي لي وعدا بتنفيذها، فوافقت ساديت.

قالت إيستارا: إذا انحصرت المنافسة بيننا نحن الاثنين فدعني الفوز ليكون من نصيبي، اتفقنا. ولا تنسى، يجب أن نبذل قصارى جهدنا للفوز، فالآخرون لا يعلمون شيئاً عن الخطر الكامن، و كذلك ميراي، يجب أن لا تفوز مهما كلفنا الثمن، أفهمت؟

- فهمت، يجب أن نفوز نحن الاثنين وبعدها أدع الفوز لك. لماذا تريدين المخاطرة بنفسك دائماً؟ ساحيني، لن أخاطرك يا دميي البدعة أبداً، لونفiro يأتمنني عليك!

قالت إيستارا: لن تخاطري بي، لكن إذا فرت، فستكون فرصة نجاتي أكبر من فرص نجاتك أنت إذا فررت، تعلمرين أني بركة لونفiro، نيماسولة الصباح والمساء، طائره الحبيب وكوكبه المشرق، سيفعل المستحيل لإنقاذي، سيدمر كل شيء... سينسف معالم القصّة عن بكرة أبيها، والجميع يتضرر ما سيفعله لونفiro لأجلني... لذلك أرجوك... أرجوك... وأخيراً وافقت ساديت على طلب إيستارا.

قالت إيستارا في سرها: لم يبحثوا عن قريتي حتى، وأنا فكرت أن أسئلهم عن قرية

ريتومي لرها عرفوها وأخذوني إليها، على أية حال، بهذا لن أندم حتى على عدم سؤالي للعم مالفي عن اسم قريتهم الجديدة، لكن لا بأس، سأرى ما يمكنني فعله، فشايريدي لم يكن ليأخذني إلى قريتي أو إلى آيراغسيكوناس، أو حتى إلى القرية التي تقطن بها خالي كوريسي وزوجها.

على أية حال، لونفيرو يعلم جيداً ماذا يفعل، أنا البطلة الرئيسية، نيماسولة الصباح والمساء، لو طلبت منه إكماء القصّة الآن، سينهيتها!

أرجوك، دعينا نكمل القصّة، أنت شمس القصّة... بالله من سواك ينير عوالمي !!
في الصباح، قال شايريدي لإيستارا أن زوجي ابنته قد ذهبا ولم يعرفا مكان قريتها، لتمثل إيستارا أنها حزنت بعد سماعها هذا الخبر، فهي علمت ليلة البارحة أنه لم يرسلهما. قال ريوساي: لا تقلقي يا ابنتي، واصبري، فنحن لن نيأس من البحث عن قريتك.

قالت إيستارا: شكرًا لكم، وآسفه على التعب الذي أسببه لكم.
قال شايريدي: لا، أنت لا تسبّين لنا أي تعب يا ابنتي.

اتجهت إيستارا بعدها للعب وقالت لساديت: إنّي أعيش أسعد لحظات حياتي، لم أكن أعلم أن هناك من يكذب علي وأنا أعلم كذبته، وأستطيع التحكم في ملامحي !
تابعت: أخبرني جدك أنه أرسل والدك وزوج خالتك للبحث عن قريتي لكنهما لم يعرفا موقعها، لذلك كان يجب أن أ مثلّي حزنت، فغيرت ملامحي، وجعلت وجهي البديع يدو شاحبا حتى كدت أذرف الدموع !

قالت ساديت بنبرة حزينة: أكرههم وأمقتهم، يكذبون علينا على من يعلم كذبهم.

الفصل التاسع عشر: النباريس الخامسة

" فقط هؤلاء الذين سيخاطرون بالذهب بعيدا، من الممكن أن يجدواكم أن الماء يستطيع الذهب بعيدا. "

توماس ستيرنر إليوت

قضت إيستارا أيام قليلة في هذه الضياعة، وبعد الإعلان عن اقتراب موعد الألعاب، لاحظت أن شايريدي ولايفيتا وأخوه ريوساي وزوجته جودفيتا ودوكيجواي وزوجته رياكشا كانوا يجلسون تحت شجرة كبيرة ويستظلون بظلها وخمسة منهم يحملون بين يديه شيئا لا ينفك يمسحه بقطعة قماشية شديدة البياض، لتحمل رياكشا تلك القطعة لرميها، وتعطى لهم واحدة أخرى نقية، وظلوا يفعلون هذا مرات عدّة.

ولما رأتهم إيستار قالت في سرّها: ثُرى، ما تلك الأشياء التي يفرطون في الاعتناء بها طوال الوقت، منذ الصباح حتى حلول وقت الغداء، في الأيام الأولى كانوا يجلسون تحت الشجرة ليستظلون بظلها، لكن ليس لوقت طويل، أما الآن فجل ما يفعلونه هو الاعتناء بتلك الأشياء التي لم تتسع لي فرصة رؤيتها.

رغم فضولها إلا أنها لم تسألهما، واكتفت بسؤال نفسها لا غير، قائلة: هذا ليس من شأنني وأنا مجرد غريبة عندهم فكيف أسائل؟

سألت ساديت وميري و كان جواب الأخرين هو أن شايريدي نهاهم عن السؤال عنها وبذلك لم تُرفع ستارات تساؤلاتها خاصة أنها كانت فتاة فضولية جدا، ولا يمكنها كبح فضولها طويلا.

رأتهم إيستارا على تلك الحال لثلاثة أيام فقررت أن تسأل شايريدي عن تلك الأشياء التي لا يتذكرونها من بين أيديهم إلا فترات قصيرة من النهار، حين يتناولون فطور الصباح أو

حين الغداء، وحين لعبهم مع الصغار.

وفي اليوم الثالث اتجهت إيستارا نحوهم وقالت: عم شايريدي، هل لي أن أطرح عليك سؤالاً يحول في رأسي وبات يحيرني كثيراً هذه الأيام؟ طرأها رأسه، فقالت: أريد أن أعرف ما هذه الأشياء التي تظلون تمسحون عليها أغلب الأوقات؟

في هذه اللحظة أسقط دوكيجواي قطعه القماشية البيضاء وقالت إيستارا: حسناً، لا تجني، إنها نباريس مضيئة لا غير، لماذا كل هذا الاهتمام؟

قال شايريدي: إيستارا ابنتي، نسيت أن أخبرك شيئاً آخر بعد أن أخبرتك أن لا تقترب من تلك الناحية، وهذا الشيء هو أن لا تسألي مجدداً هذا السؤال، ولا تتكلمي عنه أمام الأطفال الآخرين، ولا تقولي أي شيء، كأنك لم تر أي شيء، هل فهمت ما أقوله لك؟

قالت إيستارا: إنها مجرد نباريس لا غير، ولأحيطك علماً، كنت سألت الجميع قبل أن أسألك وكلهم يجهلون ماهيتها، فسألتك، لذلك لا تغضب.

نظر شايريدي إلى إيستارا نظرة حادة وقال: لقد سمعت قولي فكوني فتاة مطيعة وعودي لتلعب مع الأطفال، إنهم في انتظارك.

- حسناً، سأذهب لأنني قد عرفت لوحدي ولن أكثر الكلام، سألتكم ببلادة ولم أكن وقحة، لكن أنت هكذا، أحياناً تكون رائعاً وأحياناً لا!

ابتسم شايريدي من الصراحة المهدبة لإيستارا وقال: إيستارا ابنتي، هناك أشياء يكون الخير في جهلها، لذلك قلت لك ذلك، واعذرني إن كنت فظاً معك، فمحاولة معرفة كل شيء قد يأخذنا إلى ما لا يحمد عقباه.

- لا أوفقك تماماً، فمن المستحيل أن يكون الخير في الجهل، هذا أولاً، وثانياً محاولة

معرفة كل شيء يأخذنا إلى معرفة اتخاذ القرارات الصائبة، لكن لا بأس سأذهب للعب.
عادت إيستارا إلى الآخرين لتلعب معهم أما ريوساي فقال: جيد أنها قالت نباريس
ولم تعرف الكلمة التي تأتي بعد النباريس، إنها شديدة الذكاء وعلينا أن نعترف.
قال شايريدي: قالت نباريس، وهذا لا ينفي أنها عرفت نصف الاسم، لأن الكلمة
التي تبعه غير متوقعة البتة.

بينما كانت إيستارا غارقة في اللعب مع الأطفال حتى نادت عليها ماوريسي،
فأسرعت إيستارا إليها.

قالت إيستارا: ها قد أتيت يا ماما، هل من طلب أنفقده برحابة صدر؟
قالت ماوريسي: لنذهب إلى حجرتي الخاصة يا دميتي البديعة، أرجو منك مساعدة
بسقطة وبعدها ستعودين للعب.

قالت إيستارا: ها... من عيوني يا ماما!

الفصل العشرون: سهم أخطأ المدف

"لو أمكن تحويل كراهيتك إلى كهرباء، لأتمكننا إثارة كوكب الأرض بأكمله."

نيكولا تيسلا

لم يكن قد تبقى على بداية الألعاب المنتظرة سوى ستة أيام على الأرجح، فكان الصغار متحمسون جدا حتى أنهم كانوا يجرون هنا وهناك دون كلل ودون ملل، فيسقطون تارة ويعاودون النهوض تارة أخرى والبهجة تملأ صدورهم، إلا إيستارا وساديت اللتان كانت تراودهما شكوك مريرة حول الألعاب وما ورائها، خاصة بعدما قالته روميتا لابنتها ساديت والذي سمعته إيستارا.

مضى هذا اليوم كالعادة، لكن في الليل، وبعد أن نام الأطفال كانت هناك حركة غير مسبوقة وهذا ما جعل إيستارا تستيقظ من نومها.

قامت من الفراش وعيناها شبه مغلقتين، فاستمرت بحّكمها برسغي يديها حتى ترى الباب.

بعدما بدأ نور الشموع ينسل إلى عيونها، وبدأت ترى اتجهت نحو الباب وقامت بفتحه، وكانت ساديت وميري تغطان في نوم عميق.

ما إن فتحت إيستارا الباب حتى رأت الرجال قد أتوا بخزم كثيرة من الأخشاب. رفعت سبابتها وحّكت وجنتها الناعمة برفق، وهي تقول: لا بد أنهم يحضرون لاستقبال فصل الشتاء؟

اتجهت إلى شايريدي الذي كان جالسا على كرسي خشبي يراقب الآخرين وهم ينقلون حزما من الأخشاب إلى المدخل الأول الذي به الإسطبلات.

قالت: السلام عليكم يا عمّاه، أرى أنك لم تنم بعد، أم أنك استيقظت بسبب هذه

الجلبة؟

- لا يا ابني، أرى أنك لم تستطعي النوم، أو لنقل أنّ نقل الأخشاب تسبب بجلبة كبيرة جعلتك تستيقظين من نومك؟
- أجل، لكن لا بأس فلست بحاجة إلى النوم، هل تذخرون كل هذه الحزم لفصل الشتاء؟ طبعاً إذا لم تمانع بإجابتني.

قال شايرويدي: أجل يا ابني. تابع: هل تحضرين حتى تكونين الفائزة في الألعاب أم لا؟

- لا أعلم طبيعة الألعاب، لذلك فلا أعلم كيف أحضر، ولم أتبه حتى أسأل الأطفال عن طبيعتها، ربما تسارع الأحداث في هذه الآونة الأخيرة جعلني أنسى أن أسألكم.
- لا عليك يا ابني، ستكون العابا عادية جداً، تتسبقون فيما بينكم، وتحتبر كذلك قدراتكم على التحمل، إنما الألعاب عادية، لكنها ليست سهلة خصوصاً أنكم لا تزالون صغاراً نسبياً، والآن اذهبي وأكملي نومك يا ابني لتبدي بالتحضير للألعاب، فكما تعلمين كل الصغار قد بدأوا بالتحضير وكل واحد منهم متخصص للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

فجأة قال شايرويدي مخاطباً ريوساي: حسناً، ارتاحوا قليلاً الآن بعدها واصلوا العمل.

ثم قال مخاطباً إيستارا: عودي للنوم الآن يا ابني، وكما أخبرتك، قومي بالتحضير للألعاب، فكل واحد متخصص للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

ما إن أتم شايرويدي كلامه هذا حتى تمنت إيستارا بشفتيها: لا، أنت مخطئ، ليسوا كلهم أيها الشرير الهدى، أتمنى أن تعرف الصواب، هذا لأنّ لدى مشكلة واحدة، وهي أني مثل لونفيرو، ماذا سنفعل إن كنا نعاني من داء الحب المستمر!

- ماذا تقولين يا إيستارا، هلا أسمعني ما تقولينه؟

- لا شيء يا عماد، سأذهب وأكمل نومي، لكن قل لهم رجاءً أن يحاولوا عدم التسبب بأية بخلبة تجعلني أستيقظ من جديد، عمت مساء وأتمنى لك ليلة هادئة وأحلاما سعيدة.

فقال شايريدي: عمت مساء يا ابنتي.

فجأة قالت إيستارا: مهلا يا أبناه... اندھش شايريدي حتى أنه أسقط دمعة من عينيه، فهذه المرة، استقرّ وقع الكلمة في صميمه.

قال بانتباه شديد: ماذا هناك يا ابنتي؟

قالت إيستارا: أبناه... إذا فرت، هل أعود لقريتي أم أذهب إلى جزيرة الضياء؟

ارتبك شايريدي، وبقي مشدوها للحظات وهو ينظر إلى إيستارا، بدا وكأنه يفكّر ثم قال: لهذا السبب لم أوفق على جعلك تشاركين في الألعاب عندما طلبت مني الموافقة، لكن بما أنك جعلتني أوفق فستذهبين إلى جزيرة الضياء يا ابنتي، هذه هي القواعد، لكن لا تقلقي، الجميع يتمنى أن يعيش هناك ولو للحظة واحدة فقط، من تطأ قدماه تلك الجزيرة سينسى كل أقاربه، تمنى الفوز فقط!

ومباشرة عادت إيستارا لتنام.

في الصباح الباكر استيقظ شايريدي وإخوته وأبنائهم، وذهبوا لاصطياد السمك من إحدى البحيرات، وعادوا قبل شروق الشمس.

استيقظت إيستارا، ساديت وميراي فجراً كعادتها، صلين ثم تبادلن أطراف الحديث قليلاً، في حين استيقظ الأطفال الصغار الآخرون عند عودة شايريدي، وبعدما أنكوا فطور الصباح اتجهوا للعب والفرحة تملأهم إلا إيستارا وساديت اللتان كانتا تلهوان مع سائر الأطفال لكن أجواء السعادة في قلبيهما كانت جافة.

قالت ساديت: سئمت اللعب، دعينا نذهب إلى المرج، سيكون منظر الخيول والماشية

ترعى منظرا رائعا، هيأ تعالى.

كان شايريدي هناك، يقوم بإحكام طرق الأرجوحة وما إن انتهى حتى رأى الفتاتين تركضان، فابتسم ابتسامة صادقة وقال: من تصل أولا إلى جدها، تصعد الأرجوحة أولاً. ركضت كل من ساديت وإيستارا بأقصى سرعة، وسبقت إيستارا ساديت بخطوات. فقال شايريدي: سبقتك يا ساديت، الدور الأول سيكون لها.

بدأت إيستارا تتأرجح، وشايريدي يدفعها، وفي كل مرّة كانت إيستارا تقول: أعلى... أعلى... وشايريدي يقول: أحكمي قبضتيك جيدا على طرق الأرجوحة يا صغيرتي... تلك اللحظات ذكرت إيستارا بطيبة قلب شايريدي في أيامها الأولى في هذه الضيعة، فيما كانت ساديت تقول: جدي، لقد حان دوري الآن... وشايريدي يقول: انتهى يا إيستارا... أما نيماسولة الصباح والمساء فكانت تقول في كل مرة: إنها الأخيرة يا أبتاه... وفجأة تغير كل شيء.

في الوقت الذي كان فيه شايريدي يدفع الأرجوحة، ثم يمسكها ويعيد دفعها من جديد، كان هناك شخص مختبئ في الصف الشجري الكثيف المواجه لشايريدي، ويراقب هذا الأخير. كان وجهه مغطى بلثام ولا يمكن للمرء إلا أن يلاحظ جمال عينيه. كان محضرا قوسه ويمسك السهم بين إبهامه وسبابته ووسطاه، ينتظر فقط في اللحظة المناسبة ليطلق سهمه.

وبالعودة إلى المرة الأخيرة التي كان شايريدي سيدفع فيها الأرجوحة، لم يتمكن من رفعها عاليا، فقد تعبت ذراعاه من دفعها في المرات السابقة.

ظن الشخص الملثم أن شايريدي سيدفع الأرجوحة عاليا، ليصبح شايريدي في مجال رمايته مباشرة، وما إن هم شايريدي بدفع الأرجوحة حتى انطلق السهم من أصابع ذلك الشخص يشق الهواء شقا، انساب السهم بأناقة، لكن للأسف، لم يستطع شايريدي دفع

الأرجوحة بقوة كافية، ليخترق السهم إيستاراً مباشرةً.

أفلتت إيستاراً حبال الأرجوحة تلقائياً، وسقطت على الأرض المعشوشبة مثل كوكب سماوي انتشر عن مداره.

تحمّلت ساديت في مكانها، وهرع شايريدي إلى ذلك الطير الذي كان قبل لحظات طائراً محلقاً، وصار الآن طائراً جريحاً بدأ ضياء عيونه يخفت.

سقطت إيستاراً على الأرض دون حراك، ليحملها شايريدي بين ذراعيه، وبدأ هو وساديت بمناداة الجميع بصوت عالٍ.

أقبل الجميع رجالاً ونساءً وكذلك الأطفال الذين لم يصدقوا ما تراه أعينهم، وكأن الزمن توقف.

تحسست روميتا نبض إيستاراً، لحظات وقالت: لم يخترق السهم قلبها، لا زال قلبها ينبض، وأسرع ريوساي وانتزع السهم بسرعة خاطفة.

نزعـت روميتا وشاحـها بـسرعة وقامت بلـفـه في موضع الجـرح بـسرعة كـبـيرة، حتى يتـوقف النـزـيف، ولا تـفـقد إيـستـارـاـ المـزيد من الدـماء، ثم أـسـرـعـت وأـخـذـت إيـستـارـاـ إلى إـحدـى الحـجـرات، وـحـضـرـت ماـورـيـسيـ، طـبـيـةـ الـضـيـعـةـ، مـلـكـةـ الـعـطـورـ وـالـسـمـومـ، وـمـعـهـ بـعـضـ الـأـعـشـابـ وـالـزـيـوـتـ الـنـبـاتـيـةـ، وـهـذـا لـتـعـقـيمـ الـجـرحـ تـحـسـبـاـ أـنـ يـكـونـ السـهـمـ مـسـمـوـمـاـ.

ضـمـدـتـ جـراحـ إيـستـارـاـ، وـبـقـيـتـ روـمـيـتاـ وـماـورـيـسيـ بـقـرـبـهـاـ، أـمـاـ إيـستـارـاـ فـكـانـتـ لاـ تـزالـ فـاقـدةـ لـلـوعـيـ، بـيـنـ الـحـيـاـةـ وـالـمـوـتـ.

جلس الأطفال، الحزن يمزق قلوبهم وهم يدارون في دموعهم التي كانت تنسكب من عيونهم لا سيما ساديت وميري، أما الرجال والنسوة فقد تأثروا كثيراً، وأصبحت قلوبهم تتقطّع على إيستاراً، أما شايريدي فقد ذهب إلى غرفته وأغلق على نفسه وأخذ يبكي وي بكى بحرقة على ما أصاب إيستاراً، وجعل يفكّر ماذا لو أنّ السهم أصاب قلبه ولم

يصب إيسنارا، إذ أن السهم كاد يخترق قلبها.
الكل كان يتمنى نجاة إيسنارا، وفي نفس الوقت كانوا يحاولون معرفة الشخص الذي أطلق السهم وحاول قتل شاعريدي، خاصة أن هذه هي المرة الثانية التي يُراد شاعريدي فيها بسوء فقد حدث أمر مشابه في السنة الماضية، وفي الأخير قال شاعريدي: علينا البقاء حذرين وانتهى الأمر.

مررت على إيسنارا أوقات عصبية، وما إن حل الليل حتى استفاقت، وكانت تتصرف عرقا وارتفعت عليها الحمى وأسرعت روميتا وأتت بقطعة قماشية وبعض الماء البارد وأخذت تبللها وتضعها على جبين إيسنارا.

أقبلت النسوة الآخريات لإعانة روميتا وماوريسي، وأحضرن بعض الأشربة المفيدة التي كانت تدخل جوف إيسنارا بصعوبة كبيرة بعد أن تضع سويريتا يدها تحت ظهر إيسنارا وتقوم برفعها ببطء شديد لتجعلها تشرب ولو قليلا، فذلك يجعلها تتحسن.

لطف الله سبحانه وتعالى بإيسنارا وتعافت بعد أيام قليلة، وكان الجميع يعتنون بها على أكمل وجه، أما شاعريدي فقد كان شديد الحرث عليها وصار يعني بها أكثر من أي شخص، حتى قالت إيسنارا أنه يبالغ في الاعتناء بها فقد تعافت، لكن شاعريدي كان لا يتركها تقوم من مكانها ويقول: لا تتحركي، جل ما عليك فعله هو أن تأمري.

مضت حوالي عشرين يوما، وكانت الألعاب قد تأجلت بسبب الحادث الذي تعرضت له إيسنارا، وعندما استعادت عافيتها بالكامل، اجتمع الرجال والنسوة في غرفة المشورة بعد الظهر، وكان الأطفال قد اتجهوا لغرفهم لأخذ القيلولة، وكذلك إيسنارا. قبل أن تدخل إيسنارا الغرفة نادتها روميتا وطلبت منها أن لا تنام إلا بعد حوالي ساعة لأن لديها أمرا تريد أن تطلعها عليه، فوافقت إيسنارا.

اجتمع الجميع يترأسمهم شاعريدي وافتتح الكلام بقوله: بعد تلك الحادثة نعود الآن إلى

الألعاب التي كان من المقرر إجرائها قبل أيام مضت، لكن كما تعلمون فقد كنت على مقربة من الموت، لو لا أن السهم أصاب إيستارا، أما الآن فأنا في حيرة كبيرة من أمري فأنا أريد رد الدين لها، لكن لم أجده أي حل، فمن منكم يدلي على حل يجعلني أرد ديني هذا؟ قال ريوساي: قبل كل شيء، ألا تملك أدنى فكرة عن الشخص الذي رمى السهم، أكان يريد إصابتك أنت، أو إصابة إيستارا؟

قال شايريدي: ريوساي، ذلك الشخص لم تلتحقوا به ولم نر وجهه ونحن ليست لدينا أية مناورات مع قري أخرى، لذلك وفيما يخص هذا الموضوع يجب علينا تبني الأفضل فقط، والآن أعود إلى سؤالي: من يدلي على طريقة لأعيد بها ديني؟

قالت روميتا: أرى يا أبي أن لا نجعلها تشارك في الألعاب وهكذا تردد ذينك كاملا، ثم طأطأت رأسها وقالت: أجل سترد الدين كاملا.

- لكن يا ابتي، كانت قررت بنفسها أن تشارك، لم أضغط عليها أبدا ولذلك لا يمكنني أن أمنعها من المشاركة مع الأطفال الآخرين.

قال ريوساي: صحيح أن روميتا ذهبت ذلك اليوم، لكنك تذكر كيف أقنعتك إيستارا، صحيح أنها لم نضغط عليها، لكن الحقيقة هي أنها أردنها أن تشارك بأية طريقة.

- حسنا، سنأخذ رأيها، إن قررت العدول عن المشاركة ردت ذيني كاملا، لكن إذا قررت المشاركة فماذا سنفعل حينها، تكلموا؟

قالت روميتا: انتظر قليلا يا أبي، سنأخذ رأيها ثم نفكّر فيما سنفعله إن بقيت مصرة على المشاركة، سأذهب الآن لأعلم رأيها.

- لكن ألا تظنين أنها نائمة، دعينا نأخذ رأيها بعد أن تستيقظ يا رومي، سيكون أفضل.

لكن روميتا قامت وقالت: سآخذ رأيها فقط وأعود، انتظروني قليلا ريشما أرجع

بقرارها.

خرجت روميتا وشعّ بصيص الأمل في عينيها، خصوصاً أنها كانت خائفة من أن لا يسمع أبوها شايريدي رأيها. قالت في سرّها: لم يبق سوى أن أقنع إيستارا بعدم المشاركة في الألعاب، بهذا تنجو من ورطتها هذه.

طرقت روميتا الباب بأدب ففتحت لها إيستارا الباب وقالت: تفضلي يا خالة بالدخول.

- شكرًا لك يا إيستارا، ومن الرائع أنك لم تتنامي بعد، فقد خفت أن تنسني ما قلته لك وتتنامي نوماً عميقاً وأضطر بعدها لإيقاظك.

- لكن يا خالة، لم قلت لي أن أنتظر حوالي ساعة حتى أنام، كذلك ما الأمر الذي أنت بصدّد إخباري به، وعذراً إن كنت متسرعة؟

- لست متسرعة يا إيستارا، أما جواب السؤال الأول فقد طلبت أن تنتظري حوالي ساعة لأرى إن كنت سأتمكن من إقناع أبي برأيي، ومن الجيد أنه سمعه، فلو لم يسمعه مني لما أتيت إليك، ولما كان هناك أي شيء لأخبرك به.

تابعت: الآن أرجو أن تسمعني جيداً يا ابنتي. إن تلك الألعاب ستقام، ونتيجتها جدّ خطيرة وبما أنك غريبة فلا أريد أن تتعرضي للخطر، وبصعوبة أقعمت أبي أن نعطيك فرصة الانسحاب من الألعاب ولو لم يحدث ذلك الحادث لك لما استطعت أن تنسحي، الآن أرجوك يا ابنتي قولي بأنك موافقة على الانسحاب، ولا تنسى أنك أصبت قبل أيام قليلة، لذلك فلن تكوني قادرة كفاية على اللعب، هيا، أجيبيني يا ابنتي؟

قالت إيستارا: لدى سؤال يا أمّاه. ماذا هناك وراء هذه الألعاب، فهي مجرد ألعاب ليس إلا، وقد سألت الجد شايريدي عنها وفهمت أنها ألعاب جد عادية.

أمسكت روميتا بإيستارا من عصديها برفق وقالت: اسمعني، نتيجتها جد خطيرة، وأنا

آسفة إذ لا أستطيع سوى أن أخبرك بهذا، أرجوك وافقني على الانسحاب، إنه خير لك،
و فوق هذا، لو كان بيدها كيف نلغي هذه الألعاب لأغينها، أرجوك انسحب يا ابني.
قالت إيسستارا: من الصعب جداً أن لا تستطيع الأم إنقاذ ابنتها، وكم هو جميل أن
تحاول إنقاذ فتاة غريبة عوض إنقاذ ابنتها، أمّا، أنت لا تستطعين إنقاذ ابنتك، ولو لم
تقولي لي في كلامك الأخير يا ابني، لكت انسحبت، ساحميكي يا أمّا، سأشارك مهما
كان الثمن، وأعدك بأبيّ سأحاول الفوز بأي طريقة.

ضمت روميتا إيسستارا إليها ولم تستطع أن تحبس الدموع التي غلبتها وقالت: ابني...
لحظات ومسحت روميتا دموعها قائلة: إيسستارا، هذه ليست مزحة، هل أنت مجنونة،
قلت لك أن الألعاب خطرة ولا تزالين متشبثة بقرارك، نفدي أمري، انسحب من
الألعاب، دون أيّ كلمة.

ردت إيسستارا: إن لم تكن مزحة، فأريد أن أعرف الكذبة، أما الجنون فلا تقلقي، هو
من سيصاب بي ولست من ستصاب به!
كان الجميع يتضرر عودة روميتا، وعندما أطالت الغياب قام شاييريدي ليذهب عندها،
وما إن فتح الباب حتى رأها وقال: أخيراً عدت يا ابني، ما كان جوابها؟
قالت روميتا بحسنة: لقد وافقت يا أبي.

أخذ شاييريدي نفسها عميقاً جداً ثم قال: رائع، يا لهذا الخبر الرائع، وأخيراً يمكن أن
أقول أنه لا دين لي الآن على إيسستارا، لقد استرحت حقاً.

قالت روميتا: وافقت يا أبي على أن تبقى من المشاركون في الألعاب التي ستقام، هي
لم توافق على الانسحاب أبداً.

تغيرت ملامح شاييريدي في تلك اللحظة، اندهش، واتسعت عيناه قليلاً. قال:
ماذا؟... أبت أن تنسحب حقاً؟

- أجل، حاولت إقناعها بكل الطرق، لكن دون جدوى، إنما مصّرة على المشاركة ومحاولاتي لإقناعها بضرورة الانسحاب باءت كلها بالفشل.

شعر شاييريدي بخيبة كبيرة، ولم يصدق الآخرون أن إيستارا لا تزال ترغب بالمشاركة وببدأ شاييريدي يمشي يميناً ويساراً وهو يفرك في لحيته التي كاد ينزعها من ذقنه، قائلاً: ماذا أفعل الآن؟ ماذا سأفعل؟ كنت أعلم أنها عنيدة، ماذا سأفعل؟

قال ريوساي: دعوها إذن تشارك ما دامت مصّرة على المشاركة، ودعونا نتمنى أن تخسر، هذا كل شيء.

اتجه شاييريدي نحو أخيه وعلامات الغضب تملأ وجهه، ثم جعل يضغط على ظهر أخيه بكل قوته، وهو يقول: ذلك الدين أثقل علي من هذا يا أخي، هل فهمت؟

قالت روميتا: ماذا لو ألغينا الألعاب يا أبي، سيكون هذا حلاً جيداً، أليس كذلك؟ ما إن سمع شاييريدي هذا الكلام حتى قال لروميتا: تعالى يا ابنتي، تعالى. تقدّمت روميتا نحو والدها بخطوات مرتبكة. لما أصبحت في مواجهته قال شاييريدي: قلت نلغي الألعاب، أليس كذلك؟

- أجل يا... وقبل أن تكمل كلامها نظر إليها شاييريدي نظرة قاسية وباردة، ثم دفعها بيده لتصطدم بالحائط وتسقط على الأرض.

أسرعت أختها سويريتا نحوها، وقالت بصوت خفيض: لحسن الحظ أنك لم تتأذى. قال شاييريدي وهو في فورة الغضب: لحسن الحظ أنها لم تتأذى، إياك، إياك أن تعidi هذا الكلام يا ابنتي الحبيبة، رجاء لا تعidiه.

تابع شاييريدي قائلاً: والآن اخرجوا من هنا، ودعوني أفكّر، فعدم إقامة الألعاب ليس حلاً، وإن شراكها ليس عدلاً، لكنها ستشارك في الألعاب.

بقي شاييريدي في الغرفة الرئيسية لوحده منذ الظهيرة واستيقظ الأطفال من القيلولة،

وهو لا يزال جالسا في تلك الغرفة لوحده.

كان الأطفال يمرحون كعادتهم، وقالت إيستارا لساديت: أتعلمين أن أمك طلبت مني الانسحاب من الألعاب؟

قالت ساديت: حقاً ما تقولين يا إيستارا؟

- صدقيني، طلبت مني الانسحاب وقالت أن نتيجة الألعاب جد خطيرة، لكن لن يهدأ لي بال حتى أعرف السر الكامن وراء هذه الألعاب. ثم تابعت إيستارا قائلة: ساديت، أين ميراي، فلست أراها؟

- كنت رأيتها مع الخالة ماوريسي قبل قليل، بعدها عادت إلى الغرفة، أتوقع أنها ذهبت للنوم من جديد. قالت إيستارا: سأذهب لأوقظها.

اتجهت إيستارا إلى الغرفة مباشرة وما إن فتحت الباب حتى رأت ميراي متدثرة بغضائها.

قالت إيستارا: خرجت ثم عدت للنوم، هيا بنا نخرج يا ميراي.

قالت ميراي: أريد النوم يا إيستارا، لا تكوني مزعجة. لكن إيستارا أبى إلا أن توقيظها.

قامت ميراي، وقالت: يوماً ما ستعرفين أنني ذكية، وستعترفين. احتارت إيستارا، لحظات وأحاطت رأس ميراي بيديها قائلة بحنان ورقة: حرارتك معتدلة ولم تسقطي على رأسك أو ما شابه، أتمنى أن لا تكوني قد فقدت عقلك! ثم عانقتها قائلة: دعينا نخرج يا صغيرتي... الجميع بانتظارنا.

كان الأطفال كلهم غارقون في اللعب، أما شايرويدي فكان يتمشى في الأرجاء، فاتجهت ساديت وميراي وكايسيو وإيستارا نحوه ليسألوه عن الشخص الذي يحاول قتله.

قالت ميراي: جدي، ألمست خائفاً من عودة الشخص الشرير الذي حاول قتلك في

العام الماضي، وحاول مرة أخرى قبل أيام قليلة فقط؟

نظر شاييريدي إلى ميراي وقال: فكرت كثيراً كي أهتدى إلى هذا الشخص لكن دون جدوى، خوفي فقط أن لا أعرف من هو ولم يربد أن يقتلني.

عاد شاييريدي بذاكرته إلى الوراء، حينما كان جالساً مع أخيه ريوساي في المرج وسقط بقرب قدميه سهم كانت قد ربطت حوله مخطوطة صغيرة.

..... قبل عامين من الآن

قال شاييريدي: ما هذا يا ريوساي، كأن أحدهم أرسل لنا رسالة؟

قال ريوساي: افتح المخطوطة ودعنا نقرأ ما هو مكتوب بداخلها.

فتح شاييريدي المخطوطة تلك ليجد مكتوباً عليها:

أولاً: في لحظة تسعذك إني سأغادر بك.

ثانياً: أعاهدك، ما حبيت، لا مخارج لك.

ثالثاً: فقط مرة في العام أرمي، لأقتلك.

رابعاً: إذا مت قبلك فالبديل سيقتلوك.

قال ريوساي: رسالة تحديد يا أخي، لكن من يا ترى؟ هل هو قاتل مأجور وأخطأ في الشخص الذي وكلت إليه مهمة قتيله؟

- لا أظن هذا يا ريوساي، لا بد أن هذا الشخص يقصدني، لكن لماذا يقصدني يا ترى؟ لا أذكر أي شخص يعتقد علي.

- بما أن السهم انطلق من خلف الأشجار الخلفية لضيعتنا فلا أظن أنه قد ابتعد كثيراً، ولا بد أنه رأنا حتى رمى السهم في موضع قديميك، لذلك سأذهب مع الآخرين للتفتيش بين الأشجار، وربما وجدنا هذا الشخص.

قام ريوساي من مكانه وما إن استقام واقفا حتى أمسك شايريدي يده وقال: اجلس يا ريوساي ولا تكن غبيا، لا بد أنه رحل، كل ما علينا فعله هو توخي الحذر، ومحاولة إيقاعه في الفخ في اليوم الذي ينفذ فيه قوله. رجع شايريدي بذاكرته إلى الحاضر.

قال كايسو: أتمنى أن يموت هذا الشخص الذي يحاول قتلك يا جدي.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: حتى أنا لا أريده أن يموت، فكيف تتمني موته؟ تمنى لو أستطيع معرفته فقط، هذه محاولته الثانية، إذ في العام الماضي حاول وكاد يقتلني لولا أن الطائر ذاك مرّ في مستوى قلبي على بعد قليل فقط، وأصاب السهم ذلك الطائر المسكين ونجوت، وهذه السنة كاد يقتلني لولا أن السهم أصاب إيستارا، كل هذا يدل على أن هذا الشخص رام ماهر، وليس من الرماة الذين يخطئون أهدافهم، بل من الرماة الذين لا يوفدون في مبتغاهم، لكن على هذا النحو سيأتي اليوم الذي ينال فيه مبتغاه دون شك.

لحظات وقال في سره: حذري أنه سيحاول الغدر بي في لحظة الفرح، وكان معه حق، وقد وعد بأنه سيرمي سهما واحدا كل عام ولا زال معه حق، كأنه يلمح إلى أنه قاتل شريف، يا لهذا الأمر العجيب!؟

لحظات وقال: دعونا من هذه القصة يا أبنائي وأتموا اللعب.

الفصل الواحد والعشرون: إقامة الألعاب

"نمت و أنا أقرأ كتاباً مملاً و رأيت في المنام أني لا زلت أقرأه فاستيقظت من الملل." ١١

هاینریش هاینه

وأخيرا حل الصباح الذي كان يتنتظره معظم الأطفال بفارغ الصبر، وهو صباح اليوم الذي ستشهد عشيّته فائراً ليذهب إلى جزيرة الضياء على حسب قول شاعريدي، واليوم الذي لا تمناه روميتا والنسمة الأخريات خصوصاً بعد ما قالته روميتا لابنتها ساديت. استيقظ الأطفال في ساعة مبكرة من الفجر، وبسرعة غسلوا وجوههم وتوجهوا لتناول فطور الصباح، لكن هذه المرة تناولوه مع الأمهات، فالرجال كانوا قد تناولوا الفطور مع الفجر وتوجهوا للناحية التي سيقيمون فيها الألعاب لإتمام التحضيرات الأخيرة وكانت في المدخل الثاني.

اتجه الجميع بعد إنتهاء فطور الصباح إلى مكان إقامة الألعاب ليجدوا شاعريدي والرجال الآخرين هناك في انتظار قدومهم.

ما إن وصلوا حتى رأوا بساطاً من الأعشاب الخضراء ممتدة طولاً وعرضًا، مفروشة على الأرض، واتجه كاسيو نحو الأعشاب يجري وما إن كادت قدماه تلامس تلك الأعشاب حتى أمسكه شاعريدي من يده وقال: انتظر، لم أعلن البدء بعد، إليك والتسع إذن.

طلب شاعريدي من الأطفال أن يصطفوا على خط واحد وهو ما فعله الجميع بما فيهم إيستارا التي كانت متشوقة للمرحلة الثانية.

كانت ميراي على الجانب الأيمن لإيستارا، وساديت على الجانب الأيسر، وقالت إيستارا: يجب أن نمر إلى المرحلة الثانية مهما كلفنا الثمن، لذلك يا أخيّ، ابدلاً قصارى جهدكم، باسم الله توكلنا على الله.

قال شايريدي: استعدوا، وعندما أقول انطلقوا، انطلقوا يا أبنائي، والفائزون سينتهبون للمرحلة الثانية.

لحظات وقال شايريدي انطلقوا، فانطلق الجميع بأقصى سرعة، لكن حدث ما لم تتوقعه النسوة ولا الأطفال، فاللعبة الأولى كانت تظهر أنها سباق والأوائل يتأهلون للمرحلة الثانية، لكن الذي يبقى هو الذي يتأهل للمرحلة الثانية، فالأرض تحت الأعشاب الخضراء كانت ملوءة بالحفر وكل صبي يسقط داخل الحفرة يُقصى.

ما إن بدأ الأطفال بالسقوط حتى ارتعب الأطفال الذين كانوا فوق العشب الأخضر ولم يسقطوا. في هذه اللحظات التفت شايريدي إلى روميتا والآخرين ثم قال: هكذا ديني يسد والحظ فقط هو المسئول عن الفائزين، وإن فازت إيستارا فلا دخل لي، حظها فقط هو المسئول عما سيحدث لها إن فازت، تغيرت الألعاب والحقيقة أنها لم تتغير أبداً، ستفهمون، لا تستعجلوا واصبروا فقط.

أقصى الأطفال الذين سقطوا وعشرة فقط لم يسقطوا من بينهم إيستارا ورفيقتيها وقد عبروا فوق العشب إلى الطرف الآخر ونجوا من السقوط، وكذلك الصبي كايسيو، أما روميتا فالتفتت إلى النسوة الآخريات وقالت: أليس من العجيب أن من سقط حظه جميل، ومن لم يسقط فحظه سيء؟

فردت عليها ماوريسي: إنّ والدك يحيرني بدهاءه، من أين يأتي بهذه الأفكار، جعل الألعاب مختلفة عما كانت عليه من أجل إيستارا، لكن من توقع أنه سيجعلها ألعاباً احتمالية؟

وهنا سمعها شايريدي فقال: جعلتني إيستارا غير الألعاب، لذلك هناك قليل من الذكاء، انتظروا فقط، لا يزال هناك الكثير. تابع: صحيح أنها احتمالية، لكن سيتخللها بعض الذكاء لأننا غيرنا نمط الألعاب وفي النهاية ستتجدون أنها لم تتغير!

قال شايريدي: حسنا يا أطفال، دعونا نواصل فلا تزال الفرحة مبكرة، هيا استعدوا للعبة الثانية، ولا تقلقا، لن تكون كسابقتها التي كانت تخطف الأنفاس عند السقوط داخل حفرة من الحفر.

طلب من أخيه ريوساي أن يعصب عيون الدين اجتازوا المرحلة الأولى وهذا لبده اللعبة الثانية التي كانت سهلة.

صُمم طريق طوله حوالي عشرة أمتار وعرضه حوالي ثلاثة أمتار، وكانوا قد وضعوا قطعا خشبية مربعة الشكل في نهايته وتم تغليفها بقماش أسود، وطروا الطريق مغلق بألواح خشبية لكي لا يجد أي من الأطفال الفائزين عن الطريق.

أما اللعبة فهي كما يلي: ينادى على أحد الفائزين ثم تعصب عيونه ويترك ليسير في الطريق، ويتوقف حين يسمع اسمه، وهذا يعني أنه وصل إلى نهاية الطريق، كل ما يتبقى عليه فعله هو نزع العصابة وحمل قطعة خشبية من تلك القطع الموجودة في نهاية الطريق ذاك بمحض إرادته، وفعل الأطفال الذين فازوا كما تقول شروط اللعبة.

كانت كل الألواح مغلفة بقطعة قماشية سوداء، ولا ينزع القماش حتى يختار كل من تأهل لوحدة من الألواح، وكان عدد القطع الخشبية أحد عشر قطعة، هذا لكي لا يكون الأخير مجبرا علىأخذ اللوحة الأخيرة المتبقية ويختار بين لوحتين.

بعدها أموروا أن ينزعوا القماش عن القطع الخشبية، وهو ما فعله كل واحد على مرأى من الجميع الذين كانوا ينتظرون ما ستسفر عنه هذه اللعبة التي لا تعطي أي تلميحت عن فائز أو خاسر، وما إن نزع الأطفال القماش الأسود حتى وجدوا أن تلك الألواح الخشبية ملونة إما بلون أحمر أو أزرق أو أخضر، وكانت اللوحتان اللتان تحملهما كل من إيستارا وساديت ملونتان باللون الأحمر، أما ميري وكيسيو وآخران فكانت ألواحهما ملونة باللون الأزرق، والأربعة الباقون فكانت لوحاتهم ملونة باللون الأخضر، ولم يفهم الجميع ما

الهدف من هذه اللعبة التي ظن الكل أنها دون جدوى، سوى شايرويدى الذى افترحها، وكان يبدو أنه لم يطلع إخوته عن الهدف من هذه اللعبة، حتى قال: إذن، لدينا إيستارا وساديت في اللعبة الثالثة، لن تلعبا اللعبة الثانية، أما الآخرون فسوف يواصلون اللعبة الثانية.

استغرب الجميع كلام شايرويدى وقال ريوساي: ما هذه اللعبة يا أخي، هل لأن إيستارا وساديت هما نفس لون اللوحة تتأهلاً ولأن عددهما هو الأقل؟ سامحني لكن هذا لا يقنعني.

ابتسم شايرويدى قائلاً: عندما لا تفهم، اطلب الشرح ولا تفسر الأمور بنفسك وتعطي تأويلاً خاطئاً حسب نظرتك. لحظات وقال آرينى مخاطباً ريوساي: لا بد أنه وضع في ذهنه أن الفائز هو من تكون لوحته ملونة بالأحمر؟

- لا، ونظرتك الأخيرة تجعلنى أظلم الآخرين إذا اخترت لوناً أقرر به الفائز، حينئذ يصبح لي دخل في اللعبة، هذا يجعلنى مخادعاً لأنى قلت أن الألعاب احتمالية، ولا يتدخل فيها سوى الحظ، اصبروا.

اتجه شايرويدى إلى إحدى الجهات وقال اتبعوني. نصب سبعة أبواب خشبية بجانب بعضها ثم علّم باباً باللون الأحمر، وثلاثة أبواب باللون الأزرق وثلاثة باللون الأخضر. قال كايسو مخاطباً ميراي:

أحمر - أزرق - أزرق - أحمر - أحمر - أحمر

تابع كايسو قائلاً: لكنني لم أفهم بعد ما الذي يريد جدي من خلال هذا.

قال شايرويدى: اللعبة الثانية مقررة كما يلي: لدينا ثلاثة مجموعات، مجموعة اللون الأحمر ومجموعة اللون الأزرق ومجموعة اللون الأخضر، ولدي ثمانية أوراق مطوية، أربعة منها فيها أسماء الذين كانت لوحاتهم زرقاء، وأربعة من كانت لوحاتهم خضراء. سأسحب

عشوائيا ورقة من كل مجموعة وبعدها أقرأ الاسم، والشخص الذي وقع عليه الاختيار يبقى في مكانه، أما الآخرون من مجموعة فيه فيدخل كل واحد منهم بابا عُلِّم بنفس لون لوحته.

قال: لدى هنا أربعة أوراق مدونة فيها أسماء من تحصلوا على لوحات زرقاء، سأختار ورقة. اختار شايرويدي ورقة وقام بفتحها وقرأ الاسم. كان الاسم المدون هو اسم ميري. قال شايرويدي: روميتا، اعصبي عيني ميري والثلاثة الباقون الذين كانت لهم لوحات زرقاء فليدخل كل واحد منهم إلى باب قد عُلِّم بلون أزرق.

فعل الأطفال ما قاله لهم شايرويدي، ثم اختار من بين الأوراق الثلاثة الباقية اسماً عشوائياً وكان الاسم هو كايسو.

نزع شايرويدي العصابة عن عيون ميري وقال: افتحي بابا واحداً من الأبواب المعلَّمة بالأزرق، إن كان كايسو خلفه تأهلت للمرحلة القادمة، إن لم تصبِّي فانتظرني حتى يكون لك دور ثانٍ، هذا إن لم يُصبِّ أي أحد بعده، وإذا كان لك دور ثانٍ وأخفقت مجدداً فإنك ستُقصىين مباشرةً، ونفس الشيء بالنسبة للآخرين، فهمت؟

قالت ميري: نعم فهمت يا جدي، واختارت ميري بابا عُلِّم بالأزرق، وما إن فتحته حتى طارت من الفرحة وقالت: أصبحت، لقد أصبحت يا جدي. تجاهل شايرويدي فرحة ميري وقال: الثلاثة الباقون أقصوا من اللعبة تلقائياً، لأن ميري أصابت من أول فرصة.

قالت روميتا: فهمت الآن لماذا قال أبي أنه لدينا متأهلتان، هذا يعني أنه إذا كانت إيزستاراً أمام الباب ستكون ساديت فقط وراء الباب، وإذا كانت ساديت أمام الباب ستكون إيزستاراً هي الوحيدة خلفه، وبذلك تصيب كل واحدة منهمما وتتأهل إلى المرحلة الثالثة، أما الآخرون فيضطرون للاختيار. لم يرد شايرويدي على قول ابنته، فالأمر صار بدبيها بعد أن اتضحت لهم قواعد اللعبة.

كان قد تبقى أربعةأطفال لهم لوحات خضراء، ولم يفلح أي منهم في التأهل، في

الدور الأول أخفقوا كلهم، وفي الدور الثاني كذلك أخفقوا كلهم، ولا أحد تمكن من فتح الباب المناسب.

بهذا تأهلت إيستارا وساديت وميراي للمرحلة الثالثة وقالت إيستارا في نفسها: سأكون الفائزة دون شك؟

أما اللعبة الثالثة فكانت كذلك لعبة عشوائية، وهي أن تختار كل واحدة الفتاة التي تريدها أن تفوز، ما عدا نفسها وأن تكتب اسم الفتاة التي اختارتها في ورقة وتطويعها ثم تعطيها لشايرويدي.

اختارت ساديت أن تفوز إيستارا وكذلك ميراي، اختارت أن تفوز إيستارا، أما إيستارا فقالت في سرها: بما أن الفائز لن يرى إلا الشر فلن أخاطر بأي من ساديت أو ميراي، إذا كان شايرويدي وضع أن الفائز هو الشخص الذي يختاره اثنان فهذا يعني أبي إذا اخترت أي واحدة منهما قد أكون السبب في فوزها لذلك خياري هو عدم الإختيار. ففتح شايرويدي الأوراق الثلاث وتفاجأ عندما رأى أن إيستارا لم تقم بالاختيار.

قال: يا لذكائك يا إيستارا. إذن تأهلت إلى المرحلة الأخيرة من الألعاب، فقد اختارت كل من ساديت وميراي أن تكوني أنت الفائزة، هذا يعني أنك حتى ولو اخترت واحدة منهما، كنت ستتعبرين إلى المرحلة الأخيرة، على أية حال، أنت ستختارين.

قال شايرويدي: عليك أن تختارني منافسة لك في اللعبة الأخيرة، إما ساديت... وبدون تفكير قالت إيستارا: أختار ساديت، وهذا واضح لأنها كانت قد اتفقت مسبقاً مع ساديت على أنه إذا انحصرت المنافسة بينهما، فإن ساديت ستدع الفوز ليكون من نصيب إيستارا.

ما إن أتمت إيستارا قوله بأنها تختار ساديت حتى ابتسم شايرويدي وقال: انتظري يا ابني فالاختيار ليس هكذا وليس بهذه السرعة.

كتب شايريدي اسم ساديت في ورقة صغيرة وكذلك اسم ميري في ورقة أخرى صغيرة ثم قام بطي كل ورقة، و وضعهما على الأرض.

قال: الآن يمكنك الاختيار يا إيستارا، فاختاري واحدة، التي يكون اسمها مكتوباً في الورقة التي تختارينها ستكون منافستك، فكما قلت سابقاً إن الألعاب ستكون ألعاباً احتمالية في جزئها الأول.

حملت إيستارا ورقة من الاثنين وقامت بفتحها، سرعان ما انتابتها فرحة غامرة وسلمت الورقة لشايريدي.

قال شايريدي: حسناً، نكاد ننتهي من معرفة الفائز، انحصرت المنافسة بين إيستارا وميري، ولم تبق سوى مرحلة واحدة سنكملاها بعد تناول الغداء، فهذا سيكون مريحاً واتجهت النسوة مباشرةً لتحضير طعام الغداء.

أكل الجميع على مضض، فالكل كان ينتظر في اللعبة الأخيرة وما ستسفر عنه وكان أغلب الأطفال يريدون فوز إيستارا ولعل ميري كذلك كانت تريد لإيستارا الفوز، أما ساديت فكانت تمنى أن لا يكون هنالك أي فائز.

انتهى الغداء سريعاً جداً وعاد الجميع إلى مكان إقامة الألعاب. عبروا المدخل الثاني واتجهوا إلى الجزء المخصص للأطفال والذي لا يدخلونه إلا إذا أقيمت الألعاب.

قال شايريدي: إيستارا، ميري، هل أنتما مستعدتان لخوض غمار اللعبة الأخيرة؟
قالت ميري: أجل يا جدي. أما إيستارا فبقيت صامتة.

- حسناً، اسمعاني جيداً. قبل كل شيء، هذه اللعبة فيها خدعتان، ثم جش على الأرض و وضع راحة يده اليسرى على الكتف الأيمن لإيستارا وراحة يده اليمنى على الكتف الأيسر لميري. قال: هناك خدعتان... وفي تلك اللحظة همت إيستارا بقول شيء قبل أن ينزل شايريدي يده عن كتفها ويضع سبابته على شفتيها قائلاً: أصمتني يا ابني فلم

أكمل كلامي بعد.

تابع شايريدي كلامه: كما قلت، خدعتان، والطريق السهل خدعة، وهناك شيء يعتمد على الذكاء فاحذرنا. ثم قال لإيستارا: ابنتي، ما الذي كنت تريدين قوله؟ ردت إيستارا بابتسامة تحفي في ثناتها حزنا دفينا: لا شيء... لا شيء... - حسنا، لا عليك يا ابنتي، أما اللعبة فتكون كال التالي. أشار إلى حبلين موضوعين على الأرض، كل حبل منهما متداخل مع بعضه تداخلا شديدا لكنه ليس معقودا، وكان لونهما أسود فاحم.

قال شايريدي: جلّ ما عليكما فعله يا ابنتي هو فك التداخل الذي هو في غاية التعقيد.

توسط شايريدي بين ميراي وإيستارا وأمسك بأيديهما وقال: تعاليا معى الآن. سار مسافة قصيرة حتى وصل إلى بئرين جافين وكانت في قاع كل واحد منها نار متقدة، وقال: من تتمكن من فك التداخل في حبلها، يجب أن تأتي إلى هنا وتقوم بإلقاء طرف من طرف الحبل في النار، بعدها تخرجه وتضعه على الأرض ومن يحترق حبلها أولا... وقبل أن يكمل قالت إيستارا: فهمنا يا أبناه، من يحترق حبلها أولا تكون الفائزة، هيا بنا يا ميراي.

حملت إيستارا حبلا من الحبلين وكذلك ميراي، وقبل أن تبدأ كل فتاة في محاولة فك التداخل. قالت ميراي مخاطبة إيستارا: أرجوك يا إيستارا، أعطني حبلك، فهذا الحبل جد متداخل. وسمعها شايريدي فقال: إن كلامها متداخل جدا، لكن إن أرادت إيستارا أن تعطيك حبلها فلا مانع عندي.

قالت إيستارا: تفضلي يا ميراي، وكانت إيستارا شبه متأكدة أن ميراي لن تستطيع فك التداخل الذي بين الحبلين، سواء الحبل الذي اختارته أولا أو الحبل الذي كانت

تحمله في يديها قبل أن تعطيه لها، فمیرای بلهاء قليلا رغم أنها يمكن أن تحدث المفاجآت أحيانا.

بدأت الاثنان في محاولة فك التداخل وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخطأت میرای وشكلت في حبلها عقدة وأخذ جميع الأطفال يضحكون عليها إلا إیستارا التي قالت لها: حاوي أن تفكى العقدة التي شكلتها فلا يزال الوقت متاحا لك يا میرای.

أما إیستارا فكانت تدخل طرفا تارة وتخرجها تارة أخرى حتى أزالت التداخل، وصار الحبل حبلا عاديا دون تداخل ودون أية عقدة فيه، واتجهت مباشرة إلى أحد البعيرين ولم تتسرع نبضاتها وهي ترى نفسها على مقربة من الفوز.

أمسكت طرفا من الحبل بيدها وألقت بالطرف الآخر في البئر لكي تقوم بحرق الطرف ذاك وتخرج الحبل بعدها وتتركه يحترق على الأرض، لكنها تفاجأت بأن الحبل لا يصل إلى قاع البئر وحتى السنة النار لم تتمكن من إمساك الطرف ولسعه ولو قليلا.

احتارت إیستارا ماذا تفعل وأخذت تدinya أكثر وأكثر للأسفل لكن دون أية جدوی، وكان جليا أن الحبل لن يصل إلى النار التي تتأجج في قاع البئر.

نظرت إلى شایریدی قائلة: أبتاه، من المستحيل أن يصل هذا الحبل فإنه قصير جدا، وكان الكل قد ذهب بصره نحو شایریدی الذي كان يستظل تحت ظلال إحدى الأشجار بالقرب من موقع الألعاب، إلا میرای التي كانت لا تزال تحاول أن تفك العقدة التي شكلتها في حبلها.

نظر شایریدی إلى إیستارا ورفع كلتا يديه قليلا وكفى بشفتيه على أنه لا يعلم شيئا، لم ينطق بكلمة، ونظر إلى الآخرين قائلا: لا تحاولوا أن تستفسروا، قلت كل ما لدى، وجميل منكم أن تبقو صامتين، شاهدوا فقط.

بقيت إیستارا تحاول دون جدوی إلى أن تركت الحبل من يدها، جلست على الأرض،

ثم قالت: هل يعقل أنه كان يستهزئ بنا أم أن هذه خدعة من الخدعتان اللتان تكلم عنهما قبل أن نبدأ؟

في تلك اللحظات كانت ميراي قد فكت حبلها لكن تركت فيه عقدة وحيدة وكانت قد سمعت من إيستارا أن الحبل لا يصل إلى البئر فاتجهت نحو حبل إيستارا وحملته وأخذت تحاول ربط إحدى طرفيه مع طرف من طرفي حبلها.

كانت إيستارا غارقة في التفكير: ما الحل كي تحرق الحبل، فجأة أتتها فكرة، فقامت مسرعة لكنها رأت أن ميراي قد ربطت الحبلين بعضهما، وتم بإلقاء طرف من طرف حبلها في قاع البئر الذي تتقد النار داخله، وألقت طرف حبلها لأنها تعلم أن الفائز هو من يحترق حبله أولاً وبذلك تفوز.

أسرعت إيستارا، وأخرجت الحبل قبل أن تتذوقه ألسنة النار. قالت ميراي: قال أن هناك خدعتان والخدعة الأولى هي التعاون، وما أنك ربطت حبلينا فهذا يعني أننا تعاوننا، وبذلك نقع في الخدعة الأولى، فالحل السهل خدعة.

تابعت: والآن يا ميراي دعينا نكمل اللعب وأرجو أن تفهمي عما قريب أنك أختي، والأخت لا تحب لأخواتها إلا الخير، وإلا فإنها ليست أختاً أبداً.

فكت إيستارا الحبلين وأخذت حبلها وقالت لا بد أن الذكاء الذي تكلم عنه يكمن في الحبل، فجأة انتبهت إلى أنّ الحبل عبارة عن أكثر من حبلين قد تم ضfferهم مع بعضهم البعض واللون الأسود هو ما منعها من ملاحظة أن الحبل مضفور.

بدأت إيستارا بفكه أما شايريدي فقد قام وهو يقول: أحسنت. ابتسم الجميع وهم مندهشون مما تفعله إيستارا.

ففكـت إـيستارـاـ الحـبـلـ لأـربـعـةـ حـبـالـ وـبـدـأـتـ بـعـقـدـ أـطـرافـ الـحـبـالـ الأـربـعـةـ حـتـىـ صـارـ حـبـلاـ واحدـاـ طـويـلاـ كـفـاـيـةـ ليـصـلـ إـلـىـ أـلسـنـةـ النـارـ أـمـاـ مـيرـايـ فـكـانـتـ العـقـدـةـ التـيـ تـرـكـتـهاـ عـائـقـاـ فـيـ

فلَّا جُبْلَ المُضْفُورِ وَأَخْذَتْ تَحَاوُلَ أَنْ تَفْكِي الْعَقْدَةَ الَّتِي شَكَلْتُهَا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ إِيْسَتَارَا قَدْ أَحْرَقَتْ طَرْفَ الْجُبْلِ وَأَخْرَجَتْهُ تَارِكَةً إِيَّاهُ عَلَى الْأَرْضِ يَحْتَرِقُ.

لَمْ تَمْضِ إِلَّا لَحْظَاتٍ حَتَّى احْتَرَقَ الْجُبْلُ تَامًا وَاتَّجَهَ الْأَطْفَالُ كُلَّهُمْ نَحْوَ إِيْسَتَارَا يَعْانِقُونَهَا وَيَهْنِئُونَهَا بِفُوزِهَا، كَذَلِكَ مِيرَايِ فَقَدْ تَرَكَ حَبْلَهَا، وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ إِيْسَتَارَا تَهْنِئَهَا، أَمَّا إِيْسَتَارَا فَكَانَ بِالْهَا مُشْغُولًا بِالْخَدْعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تَكَلَّمُ عَنْهَا شَايِرِيدِي.

اتَّجَهَ شَايِرِيدِي نَحْوَ الْأَطْفَالِ وَقَالَ: حَسَنًا يَا أَبْنَائِي، وَالآنَ أُعْلَنُ الْفَائِزَةَ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ شَايِرِيدِي اسْمَ الْفَائِزَةِ قَالَتْ إِيْسَتَارَا: عَذْرًا يَا أَبْتَاهُ، لَكِنَّ مَا هِيَ الْخَدْعَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي كَلَمْتَنَا عَنْهَا، أَظُنُّ أَنَّهُ لَا تَوْجُدُ إِلَّا خَدْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا غَيْرُهُ أَمْ أَنَا مُخْطَطَة؟

أَجَابَ شَايِرِيدِي: الْخَدْعَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ التَّعَاوُنُ يَا ابْنَتِي، قَرِيبًا سَتَفْهَمِينَ كُلَّ شَيْءٍ.
قَالَ بَعْدَهَا: أَمَّا الْآنُ، فَالْفَائِزَةُ فِي الْأَلْعَابِ هَذِهِ السَّنَةِ وَالَّتِي سَتَذَهَّبُ إِلَى جَزِيرَةِ الْضَّيَا... فَهِيَ مِيرَايِ.

كَذَّبَ الْجَمِيعَ مَا سَمِعَتْهُ آذَانَهُمْ... لَيُؤَكِّدَ شَايِرِيدِي ثَانِيَةَ بِقُولِهِ: نَعَمُ، الْفَائِزَةُ هَذِهِ السَّنَةِ هِيَ مِيرَايِ!

هُنَا ذَهَبَتْ سُوِيرِيتَا وَأَنْهَمَتْ دَمَوْعَهَا، وَكَذَلِكَ زَوْجَهَا كَايِفِيرِي، وَكَانَ جَلِيلًا أَنْ سُوِيرِيتَا ذَهَبَتْ إِلَى الْعَرْفَةِ لِتَبْكِيَ وَكَايِفِيرِي لِمَوَاسِيَّتِهَا.

صُدِمَ الْجَمِيعُ، ذَهَلُوا وَكَذَبُوا آذَانَهُمْ، وَالْتَّفَتَ كُلُّ شَخْصٍ إِلَى الْآخَرِ يَسْأَلُهُ هُلْ صَحِيحٌ أَنْ شَايِرِيدِي قَالَ أَنْ مِيرَايِ هِيَ الْفَائِزَةُ هَذِهِ السَّنَةِ.

نَظَرَ شَايِرِيدِي إِلَيْهِمْ قَائِلًا: أَجَل... أَجَل، لَا تَحْتَارُوا، فَمِيرَايِ هِيَ الْفَائِزَةُ.
قَالَتْ إِيْسَتَارَا بِنَبِرَةِ صَوْتٍ حَادَةٍ وَنَاقِمَةٍ عَلَى شَايِرِيدِي: مَا هَذَا، أَنْتَ تَغْشَّ، قَلْتَ أَنْ مِنْ يَحْتَرِقَ حَبْلَهَا أَوْلًا هِيَ الْفَائِزَةُ، ثُمَّ تَقُولُ أَنْ مِيرَايِ هِيَ الْفَائِزَةُ، وَهِيَ لَمْ يَحْتَرِقَ حَبْلَهَا بَتَّاتًا، حَتَّى أَنَّ السَّنَةَ النَّارِ لَمْ تَدَاعُبْ حَبْلَهَا، وَبَانَ عَدَمُ الرَّضْيِ عَلَى قَرْارِ الْجَدِ شَايِرِيدِي

من الجميع وحتى من ميراي نفسها.

قال شايريدي: أولاً أنت يا إيستارا من قلتِ: فهمنا، الفائزة من يحترق حبلها أولاً، ولست أنا القائل.

قبل أن يكمل قالت إيستارا وهي في أوج الغضب: لا تحاول التلاعب بالكلمات، فحتى ولو لم أقل أنا ذلك الكلام، كنت ستقوله، لذلك لا تحاول التذاكي عليّ، أنا الفائزة وليس ميراي، وعليك الاعتراف بهذا حالاً بدل هذه المهزلة التي تقوم بها.

اندهش الجميع من ردة فعل إيستارا، وكيف لا، وهم يرون الجمال المتجسد في محياناً البديع غير راضٍ.

قال شايريدي: جعلتك تصمتي في المرة الأولى ووضعت سبابتي على شفتيك تصميتي، وفي الثانية تسرعت ولم يكن بمقدوري جعلك تصمتيين. تابع: على أية حال، كنت قلت لك دعني أكمل كلامي في المرة الأولى، لكنك لا تعلمين، فماذا أفعل لك؟

كانت نيماسول الصغيرة غير راضية البتة، وبقيت تستميت ليعيّر شايريدي قراره، وقالت بنبرة صوت حادة: لنفترض إذن أنك لم تكن تريد قول من يحترق حبلها أولاً ستفوز، ماذا كنت ستقول إذن؟... أخبرنا دون تردد أو تفكير حتى نرى إن كنت صادقاً.

قال شايريدي بهدوء تام: ببساطة كنت سأقول أن من يحترق حبلها أولاً، ثم أفسح لك المجال لتكملي الجملة، لأنك متسرعة دائماً، وتلك الخدعة الأولى وقعت فيها، والتعاون كان الخدعة الثانية وحسبته الخدعة الأولى، ولعل الجميع فكر أن التعاون هو الخدعة الأولى. الآن، ما رأيك؟ ألمست مبدعاً يا ابني؟

نظر شايريدي إلى الجميع وقال: حتى لا تقولوا أني مخطئ، كنت ساختار الخاسر ليكون فائزاً، لأنني جعلت الألعاب تعتمد على الحظ، ونحن نعلم أن الحظ يجعل أنساناً

تستحق الخسارة تفوز، وأنسا تستحق الفوز تخسر، وهذا ما دفعني لاختيار الخاسر.
اندهش الجميع لطريقة تفكير شايرويدي وقالت روميتا: لكن يا أبي، لماذا جعلت
المرحلة الأخيرة تعتمد على الذكاء وجعلت فيها خدعتين؟
ظن الجميع أن روميتا أوقعت أباها في الفخ أخيراً، وقال ريوساي: أجل يا أخي، لماذا
جعلت اللعبة الأخيرة لعبة ذكاء إذن؟

ابتسم شايرويدي ثم قال: غيرت طبيعة الألعاب، كيف لا أضع فيها عنصر الذكاء
والتمويه، هل فقدتم عقولكم يا ترى؟ غيرت الألعاب لذلك وجب أن أدخل الذكاء، ولو
لاحظتم، فالألعاب لم تتغير.

قال: كنا نختار الفائز، تغيرت طبيعة الألعاب، فمن البديهي أن نأخذ الخاسر! في
الألعاب القطعية نختار الفائز، وفي الألعاب الاحتمالية نختار الخاسر، هذه هي العدالة!
لحظات وأسرعت إیستارا بالذهاب إلى غرفة النوم. لم تكن غاضبة لأنها لم تُفرز، بل
لأن میرای قد وقعت في ورطة كبيرة، قياساً على كلام روميتا حول الألعاب، وما أخبرتها
به ماوريسي عند أول لقاء، وما أخبرها به الشاب الذي يأتي لشراء الصوف، وردة فعل
والدي میرای عند إعلان شايرويدي اسم الفائزة.

تسارعت نبضات قلبها، وأصبحت تتنفس بوتيرة مضطربة. قالت وهي تضغط على
رأسها: مخادع... مخادع... يالني من غبية... استطاع أن يوقع بي في فحّه... كيف لم
أنتبه... والآن، ماذا سأفعل لأنقذ میرای... يالني من حمقاء... يجب إنقاذه میرای بأي
ثمن... حتى لو كلفني ذلك إيقاف القصة!!

فجأة تردد صوت خافت حولها: كم مرّة عليّ أن أقول لك اهدئي، لا تنفكّين
تحاولين بكلّ الطرق القفز من عالم الرواية إلى هذا العالم، لازلت هنا!!
قالت إیستارا بابتسامة: صدقني، سأقتلوك يا لونفيرو لو حدث شيء لمیرای، وتذكر

كلامي هذا جيدا!

- لن تفعلني أهي شيء؟!

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. بالله من يرضي أن يقطّب القمر حاجبه.

آسف، أنا آسف!

قالت إيستارا بحماسات خافتة: حسنا، قبلت اعتذارك، والآن اعقد خنصرك بخنثري وعدني أن لا شيء سيحدث ملياري... خنصر يدك اليمنى وليس يدك اليسرى أيها الأعسر، نحن في مرحلة صعبة، ولن تخدعني حتى بعفوتك!!

فجأة دخلت ساديت وقالت بنبرة متوترة: إيستارا، ماذا سنفعل الآن؟!

انهارت إيستارا وقالت: ساديت، أفسدت كل شيء لتوّك!

قالت ساديت باستغراب: ماذا... ماذا فعلت، انحصرت المنافسة بينك وبين ميري،
كيف أفسد كلّ شيء؟

لتسع إيستارا بالقول: اعذرني يا أخي... تشوشت أفكاري في ظلّ ما فعله جدّك... ثم تمنت: مشاكس، نجوت هذه المرة!!

الفصل الثاني والعشرون: فرحة ميري

"لن توجد السعادة أبداً ما دامت الأشياء التي نؤمن بها تختلف عن الأشياء التي نقوم بها."

أليير كامو

سادت الفرحة قلب ميري وتنى كل الأطفال لو كانوا مكانها، إلا إستارا وساديت اللنان كانت ضلوعهما تفتت لأنهما تعلمأن أن ما سيحصل لميري هو شيء شيء، ولم تمض إلا ثوانٍ قليلة حتى حملت ميري فوق سرير حريري مطرز بخيوط جميلة تبهر العين، وحمل السرير فوق أكتاف أربعة رجال وصارت ميري كأنها أميرة محمولة على عرشها وكل العيون موجهة صوبها، وكان ذلك السرير ملوءاً ببراعم الأزهار والورود. بدأت ميري تلقى بذلك البراعم فوق رؤوس الأطفال وهي تقول: شكراء... شكراء...

كان والدا ميري قد عادا بأمر من شايرويدى، وهما يحاولان كبح سيل الدموع، ولم تنفع مواساة النسوة اللاتي كن يشددن على سويريتا، لم تطر من شفتيها أية ابتسامة مصطنعة، وهي تسمع ميري تقول: جدي، جدّي، أمي، أبي، إخواتي... صرت أميرة، سأطى دائماً لزيارتكم. كانت العيون والشفاه تترجم ألمًا عميقاً في القلوب.

أخذت ميري إلى غرفة الفائز، والتي كانت مشيدة بطريقة فخمة جداً. لحظات ليصل موكب ميري إلى تلك الغرفة، وتقدم شايرويدى وأخرج مفتاحاً نحاسياً غريباً من أحد جيوبه ثم قام بفتح الباب.

ما إن رأت ميري الغرفة من الداخل حتى بدأت تقول بصوت عالٍ: ما أجملها... يا لروعتها، ما هذا النعيم الذي سأعيش فيه في هذه الأيام الثلاث؟

قال شايرويدى: لم ترى بعد النعيم الذي ستعيشينه يا ابنتي في جزيرة الضياء، ستنتسين هذا النعيم تماماً.

كانت تلك الغرفة شديدة الاتساع، وجدارها كانت مزخرفة بزخارفات جميلة وأسرة حريرية، أما خارجا فقد أمر شايريدي جينيوسي بحراسة ميري، وبدأت الأطعمة الشهية واللذيذة تأتي ميري من كل الألوان والأذواق التي ما إن تتبع لقمة واحدة من تلك المأكولات الشهية حتى تحس بالشبع التام، وكانت ميري تعيش لحظات مليئة بالسعادة، وأي سعادة تعادل سعادة أن يكون للإنسان ما يرغب به دون أن يبوح به!

هذا بالنسبة لميري، أما إيستارا وساديت فكانتا تفكران في طريقة لإنقاذ ميري من ورطتها التي تعتقد أنها نعمة. كانتا جالستان لوحدهما في الغرفة، تفكران في حل يمكن أن ينجي ميري، وقالت ساديت لإيستارا: لدى اقتراح لكن لا أعلم إن كان مجديا أم لا.

- تكلمي، فنحن لسنا في وقت يسمح لنا أن نفكّر في اقتراحاتنا قبل أن نبوح بها، هات ما عندك فالوقت قصير جدا والأيام الثلاثة ستنتهي قريبا، ولا أريد أن يحدث أي مكروه لميري، لذلك تكلمي؟

قالت ساديت: ما رأيك يا إيستارا أن يجعلني الببر يهاجم على حراس تلك الغرفة ليلا وبعدها تتسلل إلى الداخل ونخرج ميري ونهرب من هنا بأقصى سرعة دون رجعة، أرى أن هذا حل سديد.

قال إيستارا: الببر، الببر يهاجم، الببر يقتل، أليست لديك أية أفكار أخرى بعيدا عن القتل والدماء؟

قالت ساديت: لا توجد أية مشكلة في هذا الحل لأنكم أشرار؟

- لا، هذا حل غبي فقد رأيت والدك يصعد لسطح الغرفة الفاخرة، ولا بد أنه يراقب الآن كل النواحي، وبذلك إن جعلنا الببر يهاجم على جينيوسي سينادي الرجال الآخرين، ومن ثم فأمر مؤكّد أن الآخرين سيحضرون كل أسلحة لديهم لقتل الببر وربما قتلي وهذا يقضي على فرصة التسلل لتلك الغرفة، أضيفي إلى هذا أن والدك وكايفيري وجينيوسي

طيبون جداً وأنا متأكدة من أن الأمور خارجة عن إرادتهم. أخذت إيسستارا نفسها عميقاً وقالت: يجب التفكير بخطة تكون سديدة حتى نتمكن من إنقاذ ميراي.

قالت ساديت: لا أرى أي مشكلة في جعل الببر يهجم عليهم دفعة واحدة، فهو ذو سرعة هائلة، رشيق جداً، ويعمل، المشكلة الوحيدة هي أن طهارة روحك وجمال قلبك، جعلا منك فتاة ترى كل شيء جميلاً.

قالت إيسستارا: طهارة روحني، وجمال قلبي، جعلاني أبذل جهدي لمسح الغبار عن كل جمال، لست طيبة أبداً مع الأشرار يا أخي، يمكنني أن أكون قاسية... ثم أشارت بأصابعها نحو ساديت وكأنها ستثبت عليها. قالت: أنا الوحش... همم...

قالت ساديت بحدة: متى ستفهمين بأن هناك أشخاصاً سيئين يعيشون بيننا، إلى متى تبقين تخسين الظن بالأشرار، ماذا تحاولين أن تثبتي من خلال هذه الطيبة المفرطة والإحسان اللامتناهي... أنا أقول لك، مجرد نعجة حمقاء وغبية وسط قطيع من الذئاب. انتابت إيسستارا نوبة من الضحك، ثم قالت: ماذا سأفعل يا أخي، تيارات حبي كلها مستمرة!

تابعت: صحيح أن أفكاري ومشاعري تسير وفق طريق إيجابي إلى مالا نهاية، مهووسة بحب الخير المستمر لجميع البشر، لكن صدقيني، طيبة المفرطة شمس تثير حياة الأشخاص الطيبين الذين يقعون بسهولة في الأخطاء، وفي نفس الوقت هي شمس تحرق العيون العمياً للأشخاص السيئين، لدى ثقة مطلقة بأن الله تعالى يحفظني ويحرسني... هي أكثر من طيبة مفرطة، إنها براءة يا ساديت، براءة، الله تعالى وحده يعلم أسرارها، البراءة بحر ترسو فيه زوارق الطيبين إلى شاطئ الخير، لكنها كذلك بحر يغرق سفن الآثمين.

قالت ساديت: مشاعرك البيضاء هذه ممّ صنوعة!

ابتسمت إيسستارا وقالت: منذ الصغر وأنا أشرب حليباً أيضاً لا تشوهه شائبة، حتى

أيّ لا أضيف له قطرة قهوة واحدة، وأملاه بالعسل بدل السكر!

قالت ساديت: يا لك من مجنونة! تابعت: لكن حتى ولو تمكننا من إخراج ميري، كيف سنذهب بعدها، أو بالأحرى كيف ن Herb وإلى أين سنذهب؟
ابتسمت إيسستارا في وجه ساديت وقالت: ببساطة أنا لا أعلم؟ لكن يجب أن نخرج ميري أولاً من ذلك السجن الذي بداخله النعيم.

- لا، لا أوفقك الرأي أبداً يا إيسستارا، يجب أن نبني خطة محكمة وكاملة، لا أن نضع خطة ناقصة ونفشل بعدها في مسعانا الذي نريد الوصول إليه.

قالت إيسستارا: ماذا سنفعل؟ كل النواحي أمامنا مغلقة، هل نكمل مسيرنا في هذه الحياة ونترك ميري لتواجه مصيرها معقداً. تابعت: هذا الجنون جعلني في ورطة حقيقة، دعيه هو يحل هذه المشكلة!

قالت ساديت: من هذا الجنون؟

- الجنون الذي رمى السهم وبذلك غير جدك الألعاب وصارت ألعاب حظ، لولا تدخله لكان جرت الألعاب عادية وفوزي يكون محتماً، لقد خرب الخطة بأكمالها. ثم نظرت إلى ساديت قائلة: هل عرفتم أي شيء عن الشخص الذي أطلق السهم؟
- لم نعرف شيئاً، كيف سنعرف خاصة أنه أطلق السهم من خلف الأشجار دون يترك دليلاً واحداً؟

- لو لم تتتعب يداً جدنا لكان رامي سهام عقري، ولكنّا أقمنا جنازة الجد شايريدي، لكن نجاته أفضل، أتمنى أن يصحح أخطاءه قبل موته، أما نحن فلا شيء لنفعله، وكما قلت لك، دعني ميري تواجه مصيرها.

- إيسستارا، لا تقولي هذا، فمصيرها كان ليكون مصيرنا، وربما سنواجه مصيرها هذا يوماً ما إن لم نقم بوضع حد لهذا المصير السيء، ووضع حد هو الصواب، أليس كذلك؟

قالت إيستارا: أجل، لكن ما باليد حيلة، ولم تراودنا أية فكرة سديدة.

نظرت إيستارا من خلال النافذة إلى الشمس الغاربة وقالت: انظري إلى الشمس، إنها تكاد تغرب دون أن نصل إلى شيء يساعد في إنقاذ أختنا.

- هناك قول كانت تقوله أمي وهو: اصبر قليلاً ولا تستسلمي، تراجعي قليلاً ولا تنسحي، إذن يجب أن نصبر قليلاً، ومن الممكن أن تأتينا فكرة لامعة بحلول الليل.

حل الليل وتناول الجميع عشاءهم وقالت إيستارا لساديت: ميراي في عيشة هنية ما فيها بأس ولا بلية، لكن قد تكون وصية لشيء بدون سجية وقد تصير للشuron هدية.

- ليس وقت قوافي، فكري في حلّ، فرددت إيستارا: إنها الفطرة، ماذا سأفعل؟ ساديت ذكية، قريبي تكون غبية، فأقول لها يا أخي الوفية، لديك إيستارا، الفتاة الجنية التي ترسم ابتساماتك المخفية! أما الآن فهيا نتجه إلى غرفتنا لنفكر في حل ينقذ أختنا من المأزق الذي نحن فيه.

دخل الجميع إلى غرفهم للنوم واتجهت ساديت وإيستارا إلى غرفتهما التي تغيرت أجواء لياليها، فميراي التي كانت تنام معهما قد صارت في تلك الغرفة الفاخرة، تنام لوحدها دون دفعه الشعور، وربما دون الشعور بالسرور وألوان الحبور.

استلقت كل من إيستارا وساديت على فراشيهما وقالت ساديت بصوت خافت: إيستارا، إيستارا، وجدت فكرة رائعة ومتأكدة أنها ستعجبك كثيراً.

قفزت إيستارا نحو ساديت وقالت: أطلعيني عليها لأنظر إن كانت ستعجبني أم أرفضها كما رفضت اقتراحك الأول الذي كان اقتراحاً غبياً، ولنقل أنه كان دون تمحیص وتمعن في نتائجه.

قالت ساديت: آسفة، لكنني نسيته، تكلمت كثيراً لدرجة جعلتني أنسى، لماذا قفزت من مكانك إلى هنا؟

- هيا تذكرى، قلت أن لديك اقتراحا ثانيا لإنقاذ ميراي، قولي رجاء أنك تذكرت.
- حسنا تذكرت، والآن اسمعيني جيدا. العرفة محروسة من كل الجوانب، وكذلك من الأعلى، ولا يمكن الاقتراب من الباب، سيكون هذا أشبه بأمر مستحيل، إذن اقتراحي أن نحاول إنقاذهما بعد انقضاء الأيام الثلاثة، لذلك يجب أن نعلم إلى أين ستذهب بعد انقضاء الأيام الثلاثة، ما رأيك؟

أمسيكت إيستارا بوجنتي ساديت قائلة: أخذلي للنوم يا صغيرتي، وإذا لم تستطعي النوم فلا تنطقني بكلمة، حتى ولو راودك اقتراح ورأيت أنه سديد فابقى صامتة.
ردت ساديت بنبرة صوت ناعسة: أظن أني سأنام، تعبت من التفكير في حلول سديدة دون جدوى، تصبحين على خير.

نامت ساديت وبقيت إيستارا شاردة الذهن تفكّر في طريقة لإنقاذ ميراي، والشيء الذي زاد من إصرارها على الوصول لحل هو سماعها لساديت وهي تقول في نومها: لا يا ميراي، لا تصنعيها هكذا، انتظري سأعلمك ولن يضحك عليك أحد بعدها...
في تلك اللحظات ألقت الدموع تحية على عيون إيستارا وبدأت تسيل لتروي وجنتيها الناعمتين، لكنها سرعان ما مسحت دموعها.

قالت: لا بد أن أجد حلا، لا أن أبكي، إنقاذهما سيكون بمثابة تحقيق أسمى أمنية لدى في الواقع الذي أحياه، أمي رحمها الله أنقذت الببر الأبيض، ماما روميتا وماما ماوريسى أنقذتاني، لذلك لن أخذل ثقة أحد بإذن الله تعالى.

بقيت طوال الليل وهي تفكّر وت düşün في فراسفات النعاس لكي تداعب جفونها لو للحظة وظلّت تفتكّر وتضع في الفرضيات والنتائج حتى قامت وتمطّت وسمعت صوتها لعظامها وهي تقول بصوت ناعم: سبحانك يا الله... ما أجمل هذا الإحساس الرائع، أشعر كأني أولد من جديد... يا الله.

كانت ساديت تغطّ في نوم عميق جداً وبخطوات صغيرة هادئة اتجهت إیستاراً نحوها وبدأت تهزّ في كتفها ببطء شديد كي لا تسبب الخوف لهذه الأخيرة فتصرخ في جنح تلك الليلة وأخذت تقول: ساديت استيقظي، هي استيقظي يا كسلة.

قالت ساديت: أخلدي يا إیستاراً إلى النوم ولا تكوني مزعجة، ثم تقلبت على جنبها الآخر وبدأت تأخذ في أنفاس عميقه نسبياً وهي تستشعر متعة النوم. لكن إیستاراً بقيت تحركها يميناً وشمالاً حتى أفقدتها متعة النوم.

أخذت ساديت تحك في عيونها وهي تقول: ماذا يا إیستاراً؟ هل هاجنك الشبح؟

- لا تعلمين شيئاً غير البير الأبيض والسؤال، هلا أفقت رجاء أم علي أن أصبّ دلو ماء بارد فوقك حتى تستفيقي وتسمعي الكلام الذي سأقوله لك؟

- حسناً، لا داعي لذلك، أنا كلّي آذان صاغية، فقط قولي عسى أن يستطع كلامك هذا أن ينقذ میراً المسكينة.

- جيد، بما أنك تذكرت، فيمكّنني البدء بما ستفعلينه صباح الغد إن شاء الله. قالت إیستاراً: لا شك أنك تذكرين الشاب ذو البنية القوية الذي قلت لي أنه يأتي كل ثلاثة أيام، لكي يأخذ بعض الصوف والزاد من هنا دون أن يتلفظ ولو بكلمة واحدة.

- أجل، كيف لا تذكريه وهو يأتي إلى هنا منذ سنين ليأخذ الصوف وخيوط النسيج وبعض الزاد، لكننا نريد إنقاذ میراً، فما شأنه هو في هذه القصة؟

- شأنه شأن كبير في هذه القصة، وأظن أنه يستطيع مساعدتنا يا ساديت وليس لنا حل سوى أن يكون حلقة رئيسية في مصيبتنا.

- لكن كيف يكون هذا، لم أفهم ما تريدين قوله، وهو لا يتكلم أية كلمة، فكيف يكون إذن حلقة رئيسية؟

- حسناً سأوضح لك. لا شك أنك تذكرين أنه في إحدى المرات التي أتى فيها كنت

أنا من أخذت الكيس له.

قالت ساديت: أجل، إنني أتذكر، إنه نفس اليوم الذي تعارفنا فيه.

- تماماً. الآن ركري جيداً فيما أقوله. عندما أعطيته الكيس في ذلك اليوم قال لي: أحذري من الألعاب دون أن تقلقي. قالت ساديت: في أي شيء تفیدنا جملته، وأظن أنه قد انتهى كل شيء ولا حل لإنقاذ ميراي.

- اصبري يا ساديت، لم ينته أي شيء، لكن قد بدأ كل شيء، فاسمعيني ولا تقاطعيني رجاء لأن لديك عملاً صعباً عليك القيام به هذا اليوم.

- قولي، وأعدك أني سأسمع كلامك هذه المرة دون أن أقاطعك ولو لمرة واحدة.

قالت إيستارا: الكل يعلم أنه سيأتي اليوم، إذن احرصي على أن يكون الأطفال كلهم حاضرون عند قドومه، هذا أولاً، وثانياً احرصي وبأية طريقة على أن تكونين أنت من يقدم له الكيس، وعندما يسألوك عني فقولي له لقد فازت في الألعاب.

قالت ساديت: ساحيني يا إيستارا لكن لم أفهم، فيما سيفيدنا هذا كله، خاصة أنها سنكذب والكذب تصرف سيء ومُشين.

- أعلم، لكن في هذه الحالة قد ننقد نفساً بريئة، ولا شك أن الكذب لتحصيل أمور خيرية لا بأس به، ولا يعقل أن أذهب إليه وأقول: سيدتي، أختنا فازت في الألعاب، أرجوك أنقذها! هو لن يتدخل إذا فاز طفل من أطفال الضيعة، وبما أنه حذرني من الألعاب، فهو يعرف كل شيء، لكنه لا يتدخل، لكن هناك دافع سيجعله يتدخل في حالي، ألا وهو أنّي غريبة عنكم.

أريد الابتعاد قدر المستطاع عن الكذب حتى وإن كان لأمر طيب، لكن في هذه الحالة يجب الإقدام عليه. أما عن حضور جميع الأطفال، فهذا سيجعله غير قادر على تمييز ميراي إن كانت غائبة أم لا، وأما غيابي فسيكون جلياً له لأنّي غريبة عنكم، وتذكرني

أنه في المرة السابقة حدق بي كثيرا، لذلك سأكون غائبة حتى يلاحظ غيابي ويستنتاج أنني فرت وتأكددين له فوزي، نحن لن نخدع ولن نكذب، سنقذ حياة اختنا البريئة.

- حسنا فهمت، لكن ماذا لو لم تجر الأمور كما نريد لها أن تجري؟ تخيلي لو أن جدي شايرويدى أصر على حضورك، أو أن الشاب ذاك لن يأتي، ألن تكون خطة فاشلة؟ - لن تكون خطة فاشلة، لكنها ستكون خطة لم يقدر لها الالكمال، ونكون قد فعلنا ما بوسعنا فعله، وتأكدى أن الله تعالى لن يخذلنا.

- لا يزال يراودني سؤال يا إيستارا وهو ما نفع هذا الذي سنقوم به، وإن جرت الخطة كما نتمنى فكيف ننقذ ميراي حينها، ثم انتبهت وقالت: مهلا، مهلا، حينها، الشاب ذاك سيريد إنقاذه وهذا يعني أنه أنقذ ميراي، سيأخذ ميراي معه لأنه لو أبقاها هنا فهذا يعني أن الأمر السيئ سيحدث دون شك.

قالت إيستارا: تماما، والشاب سيأخذ ميراي معه.

- إذن، سنقذها لكنها ستعيش بعيدة عنا، ونحن بعيدون عنها، هذا ما تعنيه. ثم أردفت تقول: صحيح أني أريد إنقاذهما، لكن لا أريد أن تكون هناك مسافات بيننا. قالت إيستارا: تمهلي قليلا، من قال أنها ستعيش بعيدة عنا؟ ستعيش معنا، لكن أنا وأنت فقط في الوقت الراهن، ربما يعود جدك شايرويدى إلى رشده ويلغي هذه الألعاب أو يتدخل شخص ما ويلغيها.

قالت ساديت: سنعيش ثلاثتنا معا، لكن كيف يكون هذا، فالشاب لن ينقذ إلا فتاة واحدة، لم أفهم ما ترمين إليه؟

- صحيح، هو سينقذ فتاة واحدة، لكنه سيأخذ ثلاثة، هذا كل ما في الأمر.

- أفكارك وكلماتك مبهمة، كيف يكون إنقاذه لفتاة هو أخذه لثلاثة؟

- أظن أنك نسيت ببرى الأبيض الجميل والوديع، سيكون بطل المرحلة الثانية من

هذه الخطة، لأنني سأرسله ليتبع الشاب، بعدها يعود ويرشدنا إلى أين ذهب هذا الأخير.
تابعت: هذه الخطة كاملة رسمتها، لم يتبقّ سوى أن تمني سيرها كما أردنا دون خطأ واحد، وقالت: صحيح أن جدك جعل الألعاب احتمالية ومزج فيها عنصر الذكاء والخداع، لكن سيري، ستنقذ ميراي بإذن الله، هزمناه مرة عندما جعلناه يحبس نفسه وأهله، لذلك لن تصعب علينا هزيمته مجدداً.

- من أين تأتين بكل هذه الأفكار يا عبقرية؟

أجبت إيستارا: دعك من هذا الآن، ولا تنسى ما قلته لك وحاولي تنفيذ الخطة بحذافيرها فأنت ساديت، الشعاع الذي سيهزم الضياء الكاذب الذي تعيشه أختنا ميراي.
فجأة شعرت ساديت بالحماسة وقالت: أجل، فأنا ساديت... البطلة التي ستكسر النباريس وتطفئ قصة لونفiro المظلمة!

مباشرة ضربت إيستارا على جبينها وقالت: أيتها الذكية، أطفئي النار الشريرة التي تلتهم أرواح جدك وإخوته، حتى تشرق قصة لونفiro. تابعت: والآن هيا انزععي ثوب الكسل عنك، فقد حان الآن وقت الصلاة.

الفصل الثالث والعشرون: ارتباك ساديت

"ثلاث أفرععني وأضحكتنى: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل و ليس يُغفل عنه، و ضاحك

ملء فيه و لا يدرى أساخط ربه. "

سلمان الفارسي عليه السلام

في الصباح استيقظ الجميع كالعادة، واستيقظ الأطفال كذلك، أما إيستارا فلم تخرج وبقيت في الغرفة بعدهما أوصت ساديت بالخطة التي يجب تنفيذها.
كان الأطفال يلعبون في الساحة الواسعة تلك على مرأى من شاييريدي الذي لاحظ عدم وجود إيستارا معهم تلعب، فنادى ساديت التي لبّت نداءه مباشرة واتجهت نحوه قائلة: ها أنا ذا يا جدي، ما الأمر؟

قال شاييريدي: لا أرى إيستارا تلعب معكم، أين هي يا ترى?
– تركتها نائمة في الغرفة وحاولت إيقاظها مرات عدّة لكنها أصرّت على أنها تريد النوم فتركتها تنام دون أن ألح عليها فتنزعج.
– حسنا يا ابني، شكرًا لك، يمكنك العودة واللعب. وهو ما فعلته ساديت مباشرة.
بقي شاييريدي جالسا في مكانه للحظات، ثم قام واتجه إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وطرق الباب ثلاث طرقات، لكن الباب لم يفتح ثم نادى بصوت مؤدب: إيستارا يا ابني، هل أنت بخير؟ لكن لم يتغير شيء، فلا إيستارا خرجت ولا الباب فُتح.
قرر شاييريدي فتح الباب، وبدأ بدفعه بيده لكن الباب لم يتحرك وكأنه مغلق بإحكام، وهنا ظن شاييريدي أن إيستارا هربت خاصة أنه لم ير البر الأبيض في الأرجاء والذي كان قد ذهب يصطاد.

دفع الباب بقوة بإحدى كتفيه وفتح الباب الذي لم يكن مغلقا بتاتا إنما كان يحتلُّ

بأحد الأفرشة وهو ما منع فتحه بسهولة، ليجد إيستارا نائمة في مكانها، وهدأً من روعه.
اقرب من إيستارا وحاول إيقاظها لكنها لم تستيقظ، فعاد بخطواته إلى الوراء ببطء
وأغلق الباب من جديد تاركاً إيستارا نائمة.

كانت ساديت تلعب مع الأطفال وهي تنظر هنا وهناك، في انتظار أن يأتي الشاب
لتخبره أن إيستارا فازت وبذلك ينقذ ميري، فجأة سمعت أنها تنادي عليها، فشعرت
بعض القلق وقالت في نفسها: الآن تناديني يا أمي، في هذا الوقت الجدّ الحرج.

قالت: سأذهب مسرعة حتى لا يأتي ذلك الشاب في غيابي وبعدها تفشل خطتنا،
لكنها فكرت قليلاً وقالت لكايسو: اذهب إلى أمي وأخبرها أنني أرسلتك بدلاً عنِّي، وهو
الأمر الذي فعله كايسو دون تردد فقد كان فتى مرحًا يكاد لا يتعب أبداً.

ما إن وصل إلى روميتا حتى قال: لقد أتيت عوضاً عن ساديت يا حالة، أنا تحت
أمرك.

نظرت إليه روميتا بابتسمة وقالت: شكرًا لك يا كايسو، عذرًا على ساديت وقل لها أن
تأتي هي لا أحد غيرها، هيأسرع.

أخبر كايسو ساديت بما قالته له أنها فذهبت إليها وما إن وصلت حتى قالت كأنها
مستعجلة: ماذا هناك يا أمي؟

قالت ساديت ذلك لأنها كانت خائفة من أن يأتي الشاب أثناء غيابها، بذلك يأخذ
الكييس صبي آخر وتفشل الخطة التي رسمتها إيستارا لإنقاذ ميري.

قالت روميتا: ماذا دهاك يا ابني؟ أنا حتى لم أقل لك كلمة واحدة بعد.

قالت ساديت بصوت مؤدب لكنه مستعجل: إذن، ماذا يا أمي؟ تكلمي.

- اليوم لا تستطيع خالتكم سويرينا أن تحضر الصوف لذلك الشاب، لذلك قمت أنا
بتحضيره بدلاً عنها، إذن تفضلني هذا الكيس وإذا جاء ذلك الشاب فسلميه إيه، ثم

عودي للعب، هذا كل شيء!

احتارت ساديت في التوافق بين رغبتها وحلوة الأقدار وقالت: منذ اليوم لن أترك أي شيء فعله خير حتى ولو كنت مستعجلة، وأخذت الكيس مباشرة! بينما كان الصبي يلعبون حتى جاء الشاب لأخذ الصوف، وكعادته رفع يده محييا بها الجميع دون التلفظ ولو بكلمة.

رد الكبار التحية عليه بأن رفعوا أيديهم، وما هي إلا لحظات حتى لمح ساديت حاملة الكيس وهي تتقدم به بخطوات ثابتة وكانت تقول في سرها: سأنقذ ميراي، كل ما يلزم هو نجاح الخطة وسيرها كما نرجو أنا وإيستارا... فجأة تمنت: أقصد أنه هو من سينقذ ميراي!

لحظات وأصبحت ساديت أمام الشاب مباشرة، وهي تنظر في عينيه السوداويتين.

قالت: تفضل يا سيدي.

جثى الشاب على إحدى ركبيه ووضع القطع الفضية. حمل الكيس واستدار مباشرة. سار خطوة ولم يتلفظ بكلمة، ولم يسأل أبدا عن إيستارا، فجأة استدار ونظر إلى عيون ساديت، ثم نظر نحو الصبية وشايريدي والأعيان.

في تلك اللحظة التي استدار فيها داعب ساديت شعور بالفرحة، لأنها ظنت أنه سيسألاها عن إيستارا، خاصة أن لغة عيونها كانت تتسلل للمساعدة، لكن بعدها انكسر شعاع الأمل لديها في إنقاذ ميراي، فالشاب تابع سيره دون التلفظ بكلمة ودون السؤال واستدارته كانت عبارة عن تحية ذهابه.

واصل الأطفال اللعب، أما ساديت فذهبت مسرعة إلى إيستارا، والدموع تدرب من عينيها. ما إن دفعت الباب حتى وجدت إيستارا واقفة عند الباب تنتظر في عودتها بخبر مفرح.

ما إن رأيت إيستارا الدموع على وجنتي ساديت حتى قالت: ماذا جرى يا ساديت؟
أخبريني، ما الذي يبكيك هكذا؟

ارتقت ساديت في أحضان إيستارا وقالت: فشلت خطتنا وحدث ما لم نكن نتوقعه،
وأظن أنه لا سبيل لنا الآن لكي ننقد ميراي.

أخذت إيستارا تمسح على ساديت وهي تقول: أهدئي وأخبريني، ماذا جرى؟
أجبت ساديت: لقد أتى ذلك الشاب وأخذ الكيس ثم ذهب مباشرة بعد تحية
الذهاب. لم يتبق لنا أي شيء لنفعله، كان هناك بصيص أمل وقد انذر كلية، لم يتبق أي
شيء، والخطة التي ظننا أنها موضوعة بإحكام بائت بالفشل.

صُدمت إيستارا، ولم تدري ماذا تفعل، أتبكي على ميراي التي تواجه مصيرًا مجهولاً، أم
تواسي ساديت التي تبكي أمامها؟

لحظات واستجمعت قوتها ومسحت عيون ساديت قائلة: فعلنا ما بوسعنا فعله، دعينا
نتمنى حدوث معجزة تنقذ أختنا ميراي.

اختفت الدموع من عيون ساديت لكن بقيت آثارها على وجنتيها. قالت: كان
الأطفال كلهم حاضرون، والمرحلة الثانية من الخطة التي طلبت أن أنفذها لم أستطع
تنفيذها، رغم أنني قدمت له كيس الصوف، لأنه وضع القطع الفضية على الأرض وقام
مباشرة دون أن يتفقد الصوف.

هنا لم تتمالك إيستارا أعصابها وأمسكت بتلايب ثوب ساديت وقالت بحدّه: غبية،
غبية ولا تنفعين شيء، ظننت أن المرحلة الثانية تُبقي على أمل ضئيل، لكنك دمرت كل
شيء، أنا من أخطأت عندما ظننت أنك قادرة على تنفيذ الخطة، ظننت أن ساديت
ستقول له أن الفتاة الغريبة قد فازت، لكن ساديت كانت تتضرر أن يقول لها ذلك
الشاب: أين الفتاة الغريبة يا صغيرة؟ هل فازت في الألعاب حتى أنقذها؟... أخبريني يا

ساديت؟... هل فازت الفتاة الغريبة لأنني أريد إنقاذه؟... أية حمقاء اعتمدت عليها؟
تابعت تلوم ساديت وتقول: غبية وحمقاء... ابتعدي عنِّي، ثم قامت بدفعها دفعه
أسقطتها على الأرضية المفروشة بالحصیر.

غرقت ساديت في دموعها وبقيت تقول: آسفة... آسفة...
لحظات وانحنت إیستارا ماسحة عيون ساديت. قالت: انكتمي، وأنني مسحت
دموعك فهذه ليست طيبة، فقط لا أريد سماع صوت بكائك فيأتي جدك وإخوته.

الفصل الرابع والعشرون: ذكاء أم عزاء؟

"لا شيء يمكننا أن نضحي به إلى الأبد. كل شيء يعود فيما بعد في صورة مغایرة، وحيثما تحدث مثل هذه التضحية الكبيرة، حين يعود إلينا الشيء الذي ضحينا به، يجب أن يلاقيه جسد صحيح قادر على المقاومة لكي يتلقى صدمة الثورة الكبيرة. لذلك إن أزمة روحية بهذه الأبعاد إنما تعني الموت في كثير من الأحيان إذا حدثت في جسم أضناه المرض. عندئذ يكون السكين في يد الضحية، والموت مطلوباً من المضحي."

كارل غوستاف يونغ

عاد المهدوء لساديت، وقالت إيستارا: يجب أن أفكر في شيء يمكن فعله الآن رغم أنني لا أجد غير أن أستسلم لهذا الواقع المرّ.
فجأة أتى شاييريدي وقال: ماذا هناك، لقد سمعت صراخكم فأتيت، هل من مشكلة؟

قالت إيستارا بعد أن ذهب الغضب الذي كان يترجها في كل لحظة أن تطرده: كنت نائمة وأمنت إلي وصرخت في أذني؟ كيف لا أنزعج من هذا التصرف، كاد نبض قلبي يتوقف، والآن لا تريد أن تعذر مني.

طلب شاييريدي من ساديت أن تعذر لإيستارا وهو الأمر الذي فعلته ساديت دون أن تبدي أي استياء.

قال شاييريدي: حسناً، والآن اذهبا للعب يا ابني؟
خرجت الاثنين من الغرفة وقالت ساديت لإيستارا: لماذا كذبت على جدي الآن، ألم تقولي أنك لن تكذبي مجدداً؟

قالت إيستارا بنبرة صوت حادة: ما بك، أنت حمقاء، ماذا كنت سأقول له؟ هل

أقول له أن الخطة التي رسمتها لإنقاذ ميراي من براثنكم قد فشلت بسبب ساديت؟!
اتجهت ساديت إلى البئر وملأت دلواً لتغسل وجهها، أما إيستارا فقالت: لا تبحثي
عني رجاء، لأنني أريد الجلوس لوحدي.

وفجأة لاحظ كايسو أن إيستارا ليست معهم، فسأل ساديت، لأنها خرجت معها من
الغرفة قبل حوالي عشرين دقيقة فقط، فأجابته ساديت بأنها لا تعلم أين ذهبت، ولم
تلحظ حتى ذهابها، وسمع شايريدي كلامهم فأخذ يبحث عن إيستارا في الأرجاء،
لحظات فقط قبل أن يجدها مع النسوة اللاتي كن يعددن الطعام لميراي، وقال: ما الذي
أتى بك يا إيستارا إلى هنا؟ وتابع كلامه: خاصة أنك استيقظت قبل قليل على ما أظن،
أو لنقل أن ساديت أيقظتك.

- كنت بصدد غسل وجهي، قبل أن تداعب أنفني هذه الرائحة الطيبة والركبة، اتبعتها
حتى وجدت نفسي هنا، بتّ أريد تذوق لقمة واحدة، فهلا سمحت لي؟
- لا يا ابنتي، فحتى نحن لا نستطيع تذوقه لأنه مخصوص فقط لمن يفوز في الألعاب،
وميراي كانت الفائزة. قالت إيستارا: لقد أخطأت فالطعم الشهي في هذه السنة مخصوص
للخاسرة، ولم يخصص للفائزة، وبما أنك قلت قبل لحظات أن الطعام هذا مخصوص للفائز
فيمكن لي أن أتذوقه على الأقل، لأنني كنت أنا الفائزة في الحقيقة لولا فلسفتك.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: على كل شخص يتكلم معك أن يتنقى كلماته
بحذر، حسناً، أحملني صحناً من الصحون التي هناك، واتجهي عند روميتا لتملاه لك لكن
قبلها اشربي القليل من العصير فهو جيد لك لأن معدتك لا تزال خاوية.

- سمعاً وطاعة يا أبناه، وشكراً جزيلاً لك لأنك وافقت على طلبي.
- لا تشكريني ببناتا، وافقت لأنك كنت شديدة الفطنة وهذا كل ما في الأمر.
اتجهت إيستارا لتحمل صحناً من الصحون، وكان هناك صنفان من الصحون

موضوعة جنب بعضها البعض.

ما إن كادت تحمل صحنا حتى قال شايريدي: لا تأخذني من ذلك الصنف يا إيستارا، لأنه مخصص للخاسرة حسب مفهومك!

نظرت إيستارا إليه وقالت: أممم... لكن كلنا لدينا هفوات.

بقي شايريدي ينظر إلى إيستارا وهو متسم ولحظة فقط حتى رأها تسقط وانزلق الصحن الذي كانت تحمله من يديها فأسرع نحوها وأعانها على القيام، وأخذ يمسح على يديها الصغيرتين ويقول: سيري برفق يا إيستارا مرة أخرى، فرددت عليه: تذكري يا أبتاه بحالتي، فعندما كنت أسقط كانت تمسح على يديّ، وتقول لي سيري برفق يا إيستارا، لا تستعجلني حتى لا تسقطي مرة أخرى.

قال شايريدي: إذن تعلمي أن تسمعي كلام الكبار!

شربت إيستارا كأسا من العصير وأكلت قليلا من الطعام المخصص لميراي، وعادت نحو الأطفال الذين كانوا يلعبون ويرحون لكي تلعب معهم، ورأت ساديت جالسة لوحدها تحت إحدى الأشجار فأسرعت نحوها.

جئت عند ركبتي ساديت وأخذت تضمها إليها وتقبل جبينها وهي تقول: أنا آسفة يا أختي، أنا آسفة يا طائر الحبيب، أرسلني لونفiro إليك شخصيا لأعتذر عما بدر معي... أنا آسفة... آسفة...

رفعت ساديت بصرها وقالت بصوت فيه الكثير من الحزن: ألم يخبرك بأية فكرة قد تنقد ميراي!؟... أقصد هل لديك أية فكرة أخرى لكي ننقد أختنا ميراي؟ أنا خائفة جدا عليها.

قالت إيستارا: سأطلعك على شيء لكن يجب أن يبقى سرا بيننا وإياك أن تبويحي به لأي أحد، فوافقت ساديت دون تردد.

- لقد تذوقت قليلاً من الطعام الذي تتناوله ميراي هذه الأيام، ولا يمكن أن تخيلي كيف كان طعمه، كان لذاً جداً لدرجة أنك تنسين أنك تعرفين المذاق الحلو وتشعرين أن هناك شيئاً يفوق الحلاوة، ثم رفعت رأسها قليلاً وقالت أمم، كم كان طعمه رائعًا وأريد تذوقه ثانية؟.

هنا قالت ساديت: لكن كيف حدث هذا يا إيسستارا، فهم لا يتركون أي صبي يتناول من طعام الفائز، ولم يحدث هذا أبداً.

أجبت إيسستارا: لكنك تعلمين أي ذكية، وهذا ما قد حصل.

قالت ساديت: لكن هذا لا يفيينا في أي شيء وطبعاً لن يفيينا أبداً في إنقاذ ميراي، فأرجوك دعينا من هذا، وفكري بطريقة لتنقذها، أرجوك يا إيسستارا، أرجوك.

- ما أغربك، ألم تفهمي بعد أن ميراي تعيش في نعيم ورخاء لا يمكن لنا أن نتخيله، لا شك أن السعادة تغمر قلبها. أتمنى لو كنت مكانها، لكن ماذا أفعل، يجب أن أصبر، يا حسرتي لأنني فرت هذه السنة!

- ماذا دهاك؟ أنسىت أنه بعد انتهاء الأيام الثلاثة سيحل مكروه بالفائز، أم أن الطعام أنساك هذا، وأكثر، هل نسيت أن أمي بكت، وقالت أنها تمنى لو أمكنها إيقاف الألعاب، أنسىت كل هذا؟ إلا إذا كنت تفضلين العيش الهنيء لثلاثة أيام وبعدها لا يهمك ماذا سيحصل لك حتى وإن كان شيئاً، وتذكرني ما قالته أمي لي عندما ضربتني وجعلتني أقطع وعداً بأن لا أقول لك أية كلمة، وما قالته لك عندما أرادت منك أن تنسحي.

- قلتها وسأعيدها، غبية لأبعد حد، لا وجود أبداً للمكرور، إنما الفائز سيحصل على النعيم فقط في الثلاثة أيام، وبعدها كذلك في الجزيرة، وأتمنا روميتا قالت لك ذلك لأنها أساءت الظن، فقد ظننت أن جدك يرسل الأطفال إلى جزيرة فقيرة، ومن ثم

يُستبعدون فيها.

تابعت: استنتجت أن الطفل الفائز يرسل إلى عائلة في تلك الجزيرة، عائلة ليس لديها أطفال، ومن ثم يدّلّلونه ويغمرونه بالعاطف والحنان.

أمّنا روميتا حتى ولو لم تسمى الظنّ، إلا أنها لن تتحمّل ابتعادنا عنها، فمن الصعب جداً امتلاك هذه القدرة الرهيبة، قدرة التخلّي عن سعادتنا لأجل سعادة الآخرين، لكن جدك شايريدي لديه هذه القدرة، فهو يضحّي بسعادته وسعادة إخوته وأبنائه وبناته من أجل سعادة أقاربك الذين لا يزالون يقطنون بالجزيرة.

والدتنا روميتا معها حق، لأنّ لا أحد يفرّط في فلذة كبده، لكنها - هي والخالة سويريتا والخالة ماوريسي طيّبة طاهرة، نقية وذات صفاء عذب، غير مذمومة أبداً وهي طيبة عادلة، أما الجدّ شايريدي فطبيته طيبة مطلقة، ومن الصعب الوصول إلى تلك المرتبة الرفيعة، أين يضحي المرء بسعادته من أجل سعادة غيره.

احتارت ساديت حيرة كبيرة، فجأة قالت: انتظري، لكن الشاب طلب أن تحذري من الألعاب؟

- لو أراد تحذيري حقاً، لحاول أن يأخذني من هنا، فالأصح هي الأفعال، وليس الأقوال إلا إذا كانت نياتنا صادقة، وأظنّ أنه يسيء الظن بأهلك لأنّهم منعزلون عن القرى الأخرى ولا يخالطون الناس، لذلك فأمر طبيعي أن تتولد لديه شكوك مريبة حولهم وحول عاداتهم، أضيفي إلى ذلك أن الشكوك يلهبها الشيطان فيصبح المرء يعتقد في إخوانه ما ليس فيهم.

قالت ساديت: خربت أفكاري كلها، أنسّيتك أن جدي لم يرسل أبي وزوج خالي للبحث عن قريتك، وقلنا أنه كان يريدك أن تفوزي، فكيف هذا؟

- ها قد قلتها، من كنا نظنّ أنه أكبر شرير، هو في الحقيقة أفضلهم وصاحب أكبر

قلب، جدك شايريدي ذو طيبة مطلقة لا تشوّها شائبة، وكان يريديني أن أفوز لينسيبني الفاجعة التي ألمت بقلبي عندما عرف أني فقدتُ أمي، ولذلك لم يرسل أباك وزوج خالتاك وكذب علي لأجل أمر خير.

قالت ساديت: مهلا، لكنه لم يوافق على مشاركتك في الألعاب إلا بعد أن أصرّيت عليه؟

أجبت إيستارا: غيبة، هو لم يوافق على إشراككي مباشرة خوفاً من غيره بعض الأطفال وتغيير معاملتهم لي، لكن لما رأى جميع الأطفال متخصصين لأن أشارك، وبكلّ ودّ، وافق مباشرة.

إن طيبة الجد شايريدي المفرطة والمطلقة التي تؤثر أن يلحقنا الأذى على أن يلحق غيرنا، جعلتنا نسيء الضّرّ به للأسف.

بعد كل هذا، اقتنعت ساديت بكلام إيستارا تماماً وقالت: ما أشد ذكاءك، أتمنى لو كنت ذكية مثلك، كيف لم تنتبهي لهذا من قبل حتى بقينا نفكر ونظن أن ميراي سيحدث لها مكروه، وهي لا شك أنها ستذهب إلى الجزيرة الخلابة، جزيرة الضياء.

قالت إيستارا: ما أطيب قلبي وليس ما أشد ذكائي. لذلك انزععي ثوب الحزن عنك وهيا بنا نلعب، فقد تحدثنا في الموضوع كثيراً، واعلمي أن الأذكياء أنفسهم يعانون لكي يفهموا الأمور أو يسطوها.

تابعت: قريباً إن شاء الله سنلتقي بميراي في جزيرة الإخاء.

الفصل الخامس والعشرون: الكشف عن لغز الضياعة

" عندما يتراكم عليك كلّ شيء وتصل إلى نقطة لا تتحمّلها، فاحذر أن تستسلم، ففي هذه

"اللحظة يتمّ تغيير قدرك."

مولانا جلال الدين الرومي

وحل اليوم الثالث أخيراً، واستيقظ الجميع كالعادة، أمضت النسوة اليوم في أعمالهن الخاصة أما أمّ ميري سويريتا فكانت شاحبة الوجه وتملاً الكآبة تعابيرها ورحلت عنها ابتسامتها البشوشة، ولم تكن قادرة على اصطناع بسمة واحدة.

كانت روميتا والنسوة الآخريات يبادلنها أطراف الحديث وكأنهن يرددن أن ينسينها أمّا حل ضيفاً على قلبها دون دعوة قبيل أقل من يومين، و ذلك الألم لم يكن سببه سوى فوز ابنتها ميري هذه السنة، ومرّ اليوم بكامله والأحزان تلف صدرها وتعصره عصراً وأطبق فك الألم على قلبها تماماً ما إن حل الليل، وهرعت إلى غرفتها دون أن تسع لها لقمة واحدة وأغلقت الباب وأمسكت الوسادة وأخذت تفرغ دموعها فوق الوسادة التي استقبلت الدموع النازلة بصدر رحب، وتلك الدموع كانت حماً تحرق خديها، وفي كل لحظة كانت تكبح صوتها حتى لا تُسمع من الخارج، ولم يبق غير الأنين يتارجح بين زوايا الغرفة التي كانت تنهر ظلمتها شمعة صغيرة أسللت الشمع على الأرضية، وكأنها تقول لسويريتا: حتى أنا أبكي لأملك وأريد أن أحاكبي دموعك بشمعي، واتجهت النسوة كلّهن بعد العشاء إلى غرفهن بأمر من الأعيان، في حين ذهب جميع الأطفال للنوم.

كانت البوابة الرئيسية موصدة وبدأ شايريدي وإخوهه بغلق أبواب ونوافذ الغرف من الخارج لأنّا يخرج أي صبي وإن كان هذا الأمر غير وارد باستثناء تحرّأً إيسستارا على فعله. نام الأطفال كلّهم لكن إيسستارا كانت لا تزال مستيقظة وجوانحها الرقيقة ترتجف من

شدة الخوف على ميراي التي لا تعلم ماذا سيحدث لها.

كانت ميراي قد تناولت عشاءها الفاخر، وبعد أن تأكد شايريدي من أنها أنهته طلب من ريوساي أن يأخذ كأساً من العصير لميراي وأن لا يربح غرفتها حتى يتأكد من أن ميراي شربت الكأس كلها، فالكأس كان بها مخدر يجعل المرء ينام لحوالي ساعتين.

كانت إيستارا في الغرفة مع ساديت التي نامت مباشرة، أما هي فكانت تفكّر: هل سيأتي الشاب وينقذ ميراي، فهو الأمل الوحيد المتبقّي.

قالت: لا يمكن أن أصبر حتى يأتي ذلك الشاب، هذا إن أتي أصلاً. فقامت واتجهت نحو الباب وحاولت فتحه لكنها تفاجأت عندما لم يفتح وأدركت أنهم قاموا بغلق الباب من الخارج كي لا يستطيع أي أحد الخروج، ولم تبق لها سوى النافذة، لكن النافذة كانت هي الأخرى مغلقة من الخارج.

عادت إلى فراشها محبطة، وهي تأمل أن يأتي ذلك الشاب لينقذ ميراي، لكن شعاع الأمل تبدد عندما تذكرت أنّ الغرفة التي يقيم فيها الفائز في الأيام الثلاثة تبقى محروسة من كل الجوانب وكذلك فوق السقف، وبدأت تنسج بأفكارها طريقة يتمكّن بها الشاب من إنقاذ ميراي، وما تبادر لذهنها هو أن يقتلهم الشاب بما أنه يملك جسماً قوياً، لكنها قالت: وإن يكن، صحيح أنه يملك جسداً قوياً، لكن ماذا بوسعه أن يفعل لو كانوا يحملون سيفاً، فهم في الأخير يفوقونه عدداً؟

ثم عادت وقالت: لا بد وأن يكون له أصدقاء، ويمكن أن يطلب مساعدتهم وبذلك يسهل كثيراً إنقاذ ميراي، فجأة وضعت رأسها على الوسادة وبدأت تقول: ساحبوني يا ميراي، فعلت كل ما يمكنني فعله لإإنقاذه لكنني لم أستطع، وذلك الشاب لو أنه أراد مساعدتنا لكان فعل في اليومين السابقين، لا، بل كان ليساعد الفائز في الأعوام السابقة. فجأة ومضت في عقلها حقيقة صادمة عن أهل الضيافة، حقيقة مرّة وقاسية لم تنتبه

ها أبدا قبل هذه اللحظة، حقيقة كانت جلية لها، لكنها لم تستفسر، وظلت أنّ الأمر يتلخص في أن صلاهم وعبادتهم تقع خارج مجال ملاحظتها.

أهل الضياعة يعيشون حياة عبثية، وتلك الحقيقة أدخلتها في متاهة... ضاعت في تلك المتاهة... لكنّها بقيت متيقنة بأنّ المرء يتيه لما يفقد الإيمان، أما إنّ كانت نفسه مطمئنة بالإيمان، فالله هو من يرسم له الطرق.

قالت: بسم الله، سبحان الله، الحمد لله، بارككما الله، يرحمك الله، لن يخذلنا الله... أيعقل أنّ ساديت وميراي لم تكونا تفهمان أصلاً ماذا أعني بهذه الكلمات. وتابعت تقول لنفسها: والعذاب الذي أنزلوه بأنفسهم... أيّ صيام ذاك...

تلك الحقيقة جعلت مرأة آمالها تنكسر، مزقت قلبها إلى أشلاء، سحقت عظامها، أغرت روحها في أمواج ألم عنيف جداً. قالت: أصبح كل شيء واضحاً... جزيرة الضياء، البناء، الألعاب، الفائز، الأخشاب... ميراي ستقدم كقربان... تضحية بشريّة... استقامت واقفة وراحت تردد: رحماك يا الله... رحماك يا الله... لا... لا يمكن، يستحيل... أنا لا أستوعب هذا. كان الألم يخنق روحها، ويفجر قلبها، ولما نظرت إلى ساديت، وجدتها نائمة بكل سرور، تعابيرها تقول لا حزن في هذا العالم!!

فجأة قالت لنفسها: مهلاً... كيف كانتا تصليان معي إذن؟ هل يعقل أنّهما كانتا تتوضئان لوضوئي، تقومان لقمامي، ترکعنان لركوعي وتسجدان لسجودي... وإذا كان هذا صحيحاً، فهل يعقل أنّهما كانتا تقومان بكلّ ما أقوم به دون أن تسألاي عما أفعله؟

كانت ساديت غارقة في النوم حين سألتها إيستارا قائلة: ساديت... ما تلك الأفعال النابضة بالسكينة التي كنا نقوم بها ثلاثتنا صباحاً، في منتصف النهار... وليلاً... كان هناك جزء صغير من عقل ساديت لا يزال واعياً، وأجبت دون أن تفتح عينيها: لا أدرى... كنا نفعل ما تفعلينه وحسب، فأنت لم تقومي بأي شيء يضرّنا، كنت

خاطرين بنفسك لأجلنا، وأجل كل طفل في الضياعة، طيبتك ونقاء روحك البريئة أنبئانا
أن الشر لا يعرف طريقا إلى قلبك، ولذلك لم نفك في سؤالك، لو سرت بنا في الظلام
لسربنا خلفك!... نامي يا أخي... نامي...

سبحانك يا الله... إنها البراءة... البراءة الأصلية، التي تبقى الفتى طفلا صغيرا، وتبقى
الفتاة طفلة صغيرة... تبقينا أطفالا بريئين، هذه البراءة تحملنا نسير وحسب، لا تعترض
البنة، لكن لا يمكن خداعها أبدا لأن الله تعالى يحرسها.

انسكبت دموع إيستارا كسيل جارف، فقد كانت العاطفة الأخوية المحمومة التي تشعر
بها تجاه ميري وساديت أقوى من كل رابطة عرفتها في حياتها، والآن ها هي ساديت
تُوكدها لها، في نفس الوقت، هي ترى أختها الثانية ستسلب منها بكل قسوة، رأت أنّ
هناك من يحاول أن يسلخ عنها ميري التي أصبحت جزءا لا يتجزأ منها.

نامت ساديت في حجر إيستارا، وظللت هذه الأخيرة تمسح على رأسها برفق وحنان،
لحظات وسمعت ساديت تقول: في عرسك يا ميري سأنشر براعم الورد فوقك... ستباركك
إيستارا، وتلون يديك بالحناء، لكن احذري، لأنها ستلون وجهك كذلك...

أشرقت ابتسامة خافتة في مهيا إيستارا، وتردد صوت في ضميرها النقي، راح يقول لها
أن المسألة ليست في أنها ستختسر ميري، بل ستختسر نفسها.

كانت الأذمة المتجسدة في تلك اللحظات ترسم لها الوجه البشوش لميري، كانت
تراها بكل وضوح، ترى صورتها، تقسيم وجهها، خفة دمها، كان طيفها يسايرها، ولم
تحتمل فكرة أهلا لن ترى ميري مرة أخرى.

كان غياب ميري يدق عقلها كمطرقة ضخمة ليهشمها، بالرغم من أن الحضور
الروحي لميري كان باقيا بقريها، يتلمس النور في حضرتها. تلك الحقيقة كانت جلية لها
أكثر من أي وقت مضى، كان وجдан ميري محفورا بوجدانها، كانت صورة ميري أمامها،

لكن الواقع يحاول محوها.

كانت جذوة الأمل تنداعي، وبدأت تخفت، لحظات الجذل بدأت تتلاشى، صوت أخبرها أنها فقدت والدها، أمها، والآن هي على وشك فقدان اختها، وما بيدها حيلة. تشوقها الروحي لميراي أصبح محراً أكثر من الاحتراق المادي، وشايريدي وإخوته يصبون زيت الغوى الشيطاني والضلال فوق وردة الشوق المورقة والمترzinة بألوان الفرح والحبور لتصبح رماداً يتناثر في غياب الضلال واللامبالاة الإنسانية.

لم تتقبل فكرة أنها لن ترى ميراي مجدداً، ولن تتلمس ريش تلك الحمامات الوديعة، لم تتقبل فكرة عيشها بعيداً عن عش ذلك الطائر الجميل...

من خلال تلك الرؤى الروحية كانت تحيا مع طيف ميراي بانشراح وبكل سكينة، لكن قلبها كان يتمزق من خلال اضطراب أجنبحة ميراي داخل ذلك البناء، من خلال تجراً شايريدي على محاولة تزييق تلك الرابطة العميقية التي تربطها بميراي.

كانت ترى ميراي كنعجة وديعة، وهذا هو شايريدي قد اختار قربانه بعناية، لم يرض بتقديم القمر قرباناً، لكنه رضي بنعجة وديعة. كأنه يريد أن يتحدى قوة الحبّ، ونسيمه الوديع الذي إذا هيجنته الأيدي الآثمة صار عاصفة مدمرة.

قالت: يالني من غبية لا تنفع لأيّ شيء. أمي أقذت بيرا، أمها في هذه الضياعة أنقذن قمراً... وأنا لم أستطع إنقاذ نعجة.

كان لدى إيستارا إيمان عميق بأن تلك العاطفة الصادقة الغضة والرقيقة تحاول نجاتهم ونكّن لهم أنقى وأرقى مراتب الأخوة الظاهرة، والتي تحوي كل أنواع السلام والحبور وحبّ الخير لجميع البشر، يمكنها أن تحول لتصبح فوضى تدمر حياة الآتين.

برفق وضعـت رأس ساديت على الوسادة، ثم قـامت مـجدداً واتجهـت نحو الـباب لـتحـاول فـتحـهـ، لكن دون جـدوـيـ، حـاولـتـ منـ النـافـذـةـ، دون جـدوـيـ، حتىـ أـنـهاـ رـاحـتـ تـبـحـثـ عنـ

ثغرة في الجدار. قالت: فقط بضعة لبيات... للأسف، لم تجد ثغرة واحدة. بقي قلبها الصغير يخفق بشدة، لحظات وقالت: يمكنكم تقييدي بالسلسل، يمكنكم إغلاق الأبواب والنافذ، يمكنكم إقامة الحدود، تضييقها، غلقها، يمكنكم أن تسجنوا جسدي في هذه الحجرة، لكن لا يمكنكم أبدا سجن الروح السائحة فيه وتقييدها، لا يمكنكم منعها من عبور جميع الحدود واحتراق كل الآفاق، هذه الروح يمكنها التحلق إلى ما وراء الحدود... لن تفهموا أبدا عالم الروح بما أنتم غارقون في طين الجسد.

سالت وتدفقت عذوبة طبيتها عبر أنفاس حبها لتبلل جوانب روحها، أخذمت نار الألم، غدت تباشير الأمل، انتعشت آمالها وتفتحت من خلال الحقيقة الأزلية الراسخة، الثابتة والخلالدة التي لا جدال فيها: هناك خالق عظيم لا يحدث شيء في الكون إلا بإذنه، سطر الكون بدقة وعناء، الكون منسجم ومتناعلم، والحب موجود... هناك عاطفة روحية تسير بنا إلى من نحبهم من خلال إلهام روحي مكتوب في أرواحنا وأرواح من نحبهم بنفس اللغة، ونفس الكتابة، وما على الروح سوى ترجمة أنوارهم الساكنة داخلنا.

أشرقت أنوار الإيمان في روحها لتغدق قلبها... غمرتها فيوض الروحانية لتغرقها في بحر من النعم، برّكات النعم السماوية... من يتأنّم لا يحتاج أبدا إلى أن تخفت شدة الألم... يحتاج فقط إلى الصلاة... الجسد لا يسكن أبدا إذا لم تسكن الروح، وسكون الروح لا يكون إلا في الصلاة... ما أجمل الصمت، ومناجاة الله، هي أعزب روحانية يشعر بها الإنسان، المرء لا يسمو فوق هذا العالم المادي إلا إذا تعلقت روحه وكل جوراحه بالله الواحد الأحد الفرد الصمد.

في لحظات الوحيدة تلك، خالجها شعور عميق... انشرح صدرها... قامت ويممت وجهها إلى القبلة، شرعت في الصلاة... الله أكبر... في ثنایا تلك المناجاة الإلهية وعذوبة ذلك الهدوء الروحي، وصفوة الراحة العذبة من

أتعاب هذه الحياة وهمومها... صلت... صلت متخلاصة من كلّ شيء دنيوي، صلت
ملقية عن كاهلها كلّ ثقل...

ما أجمل الصمت العميق، ما أطيب عزلة الصلاة المحببة للروح، ما أذب المناجاة
الإلهية، ما أذبها وما أحلاها... إلهي أنا أسلم كلّ شيء... ما أجمل هذا الاستسلام
والانكسار والخضوع لعظمة وجلال الخالق سبحانه... ما أجمل هذا التلاشي المادي وما
أجمل هذا الانفتاح الروحي، هذا الانغماس في ثنايا الحبور الروحاني يجعل الروح درة متألقة
في سماءات حبنا وتعلقنا بالمحبوب الأزيلي... لم يقل شمس تيريز أنّ هذه الروح سماوية...
مهما امتلكت، ستبقى حزينة دائماً، هذا العالم ليس بيته...

قطعت كلّ السبل بإيسنارا، ضاق الكون بأسره عليها، تلاشت من هذا العالم،
لتنفتح روحها في سموّ روحي وتغرق بدعواتها في بحار الخشوع، رفعت كفيها إلى السماء،
فاضت دموعها، بقيت تبكي بشدة وهي تدعوه: إلهي، ليس لنا سواك... اللهم اهدهم،
اهدhem واحفظ ميري من كلّ سوء... أبعد عنها كلّ شرارة حسودة، أتوسلك ربّي... بحقّ
المجتبى ﷺ، احفظها يا ربّ... آمين... آمين...

بعد أن تأكد شايريدي من أن الغرف أغلقت كلها حمل مشعلا واتجه إلى الناحية
المحمرة على الأطفال، وسار الآخرون خلفه حتى والد ميري، كايفيري، وكل واحد منهم
يحمل مشعلا في يده. لم تمضِ سوى دقائق معدودة حتى وصلوا إلى هناك وقاموا بتشبيت
المشاعل بالقرب من الشيء المغطى بالقماش الأسود الذي لم يفهم الأطفال ما هو، وحتى
إيسنارا، رغم أنها حاولت أن تعرف، وترجعت بسبب الوعد الذي قطعه لشايريدي.

أنارت النار الملتهبة في رأس كلّ مشعل ذلك المكان وطردت الظلام الذي كان يستولي
على تلك الناحية وببدأ شايريدي والآخرون بمحاولة نزع القماش الذي كان يعطي ذلك
الشيء بعد أن أحاطوا به من كلّ ناحية. لحظات فقط وببدأ التراب ينراح فوق سطح

الأرض، فالقماش كان يعطي ذلك الشيء لتدفن حواقه في الأرض.

كان جلياً أن القماش كان تحت الأرض وعميق نسبياً، فلو رأيتموهن نزعه لعلمت أنهم احتاجوا قوة كبيرة لإخراجه. كانوا يشهقون ويذفون، فقد كان إخراج القماش من تحت الأرض شاقاً، أما شايرويدي الذي رغم كبر سنه إلا أنه أخذ نفساً عميقاً واحداً وأخرجه. بعد ذلك اصطف الجميع على مستوى واحد وقاموا بإحكام قبضاتهم على القماش وأخذوا يعودون بخطواتهم إلى الوراء، ولم يكن من السهل بتاتاً نزع القماش رغم قوتهم، خاصةً أن ما كان تحت القماش كان يفوق ارتفاعه العشرين متراً. كانوا يتراجعون إلى الوراء بشق الأنفس والقماش ينتزع من فوق ذلك الشيء شيئاً فشيئاً وينسحب فوقه بيضاء، وأخيراً صار ذلك الشيء جلياً للعيون، كان عبارة عن بناء حجري ضخم تقادم عهده، ذو جدران حجرية يبدو أن القدم لم يؤثر عليها، وبقيت محتفظة بشدة صلابتها.

حمل شايرويدي مشعلاً وبدأ يسير حول البناء، وأخوه ريوساي خلفه. التفت شايرويدي إلى إحدى اللبنات الحجرية وقال: بناء قديم كهذا يحتوي على آلاف اللبنات، ولبننة واحدة تحتوي على الأحجية... وسمعه ريوساي فقال: تحتوي على ماذا يا أخي؟

قال شايرويدي: يقولون أن العبرية التي ليس لها تفسير، لونفiro كيمrai، قد... فجأة غير الموضوع وقال: الكثير من الأمور يجب أن تبقى جاهلاً إياها، لتابع عملنا.

أما الناظر لهذا البناء لأول مرة فيغرق في التساؤلات حول ماهية هذا البناء الذي يتوارى خلف الأشجار الكثيفة والفارعة الطول التي تخيط بهذه الضياعة الصغيرة.

هل هو بقايا أطلال ولّى عليها الزمن وغشاها غباره اللاذع الصامت وظلالة الشاحبة، ومع هذا ما يزال محتفظاً بهيته التي تتجلّى في هيئته التي يظهر عليها، أو هو صرح حاول الزمن طمسه فأبى إلا الوقوف في وجهه. تتجلّى رهبته أكثر وأكثر كل لحظة فيبدو كأنه صرح وما هو بصرح، يبدو كأنه حصن وما هو بحصن، فكلّ تصور وتخيل عن ماهيته

بالتحديد لا يبلغه، فبقدر ما يعجز التفكير، يصدم الوجдан ويجعله جاثياً بعينين جاحظتين من هول الصدمة عند إدراك حقيقته التي تصلب الأطراف وتقطع بصيص الأمل في الحياة، بل ورؤيه جمالها ومفاتنها عند لمس حقيقة ذلك البناء عن قرب. كان يقارب ارتفاعه العشرين متراً أو أكثر وطوله حوالي خمسة عشر متراً، وشيد بطريقة توحى أنه يؤدي إلى النهاية المحتومة لكل إنسان، ألا وهي الموت.

كان هذا البناء مشيداً على أرضية مربعة شيدت جدرانه من الصخر الصلب القاسي وتراسـتـ الـلـبـنـاتـ فـيـمـاـ بـيـنـهـ بـلـاطـ مـنـ الطـيـنـ وـالـصـلـصـالـ لـتـكـوـنـ مـتـمـاسـكـةـ جـداـ، وـمـنـ الجـانـبـ الـأـمـامـيـ لـهـ كـانـتـ هـنـاكـ بـوـاـةـ خـشـبـيـةـ ضـخـمـةـ. وـبـمـجـرـدـ فـتـحـهـ تـظـهـرـ أـدـرـاجـ لـوـلـيـةـ تـؤـدـيـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ مـنـ الـجـانـبـينـ، فـيـ نـهاـيـتـهـاـ كـانـتـ هـنـاكـ سـاحـةـ ذاتـ شـكـلـ بـيـضـاوـيـ، يـعـتـلـيـ هـذـهـ السـاحـةـ فـيـ الجـهـةـ الـعـلـوـيـ مـقـاعـدـ لـلـجـلوـسـ مـصـنـوعـةـ مـنـ جـلـودـ الـحـيـوانـاتـ وأـوـبـارـهاـ، مـزـينـةـ بـشـكـلـ بـيـعـثـ الـخـوفـ، وـكـانـ هـنـاكـ طـرـيقـ يـمـيلـ إـلـىـ الـضـيـقـ يـبـدـأـ بـمـجـرـدـ نـهاـيـةـ تـلـكـ الـأـدـرـاجـ الـضـيـقـةـ لـيـمـتـدـ بـقـبـصـتـهـ عـلـىـ تـلـكـ السـاحـةـ وـيـمـتـدـ مـتـخـذـاـ شـكـلـاـ حـلـزـونـيـاـ، عـنـ بـدـايـتـهـ بـابـ لـدـىـ شـايـريـدـيـ مـفـتـاحـهـ وـعـلـىـ طـرـيـقـ هـذـاـ طـرـيـقـ الـحـلـزـونـيـ يـرـتفـعـ جـدارـ بـعـلـوـ مـتـرـينـ، وـيـنـتـهـيـ عـنـ فـتـحـةـ دـائـرـيـةـ الشـكـلـ، إـذـاـ رـمـيـتـ بـبـصـرـكـ مـنـ خـلـلـهـاـ سـتـعـرـفـ أـنـهـ لـاـ تـوـحـيـ إـلـىـ بـعـيـبـ حـيـاةـ الشـخـصـ الـذـيـ يـسـقـطـ مـنـ خـلـلـهـاـ، وـكـانـ هـنـاكـ سـلـمـ حـدـيـدـيـ يـرـبطـ بـيـنـ حـافـةـ الـفـتـحـةـ الدـائـرـيـةـ وـالـقـاعـ.

وبالعودة إلى الجدران الداخلية، فكان كل واحد يبعد ثلاثة أمتار عن الجدار الخارجي المقابل له، والبعد بين الجدار الداخلي والجدار الداخلي المقابل له هو سبعة أمتار، ليكون المجموع خمسة عشر متراً مع سمك البناء الذي كان حوالي نصف متر. أما نهاية هذا البناء من الخارج فقد كان متخدذاً شكل قبة.

هذا وفي اليوم الذي رأت فيه إيستارا الرجال ينقلون حزم الأخشاب، وعندما قال

ريوساي لشایریدی أظن أننا نقلنا ما يكفي لتدخله، كانوا استراحوا لفترة قصيرة ثم تابعوا نقل الحزم إلى الناحية المحرمة على الأطفال. بدأ الرجال بإدخال حزم الأخشاب إلى البناء، كل واحد يحمل حزمتين بيديه ويعطيهما فيما بعد لشایریدی الذي كان يلقي بالحزم من خلال الفتحة الدائرية الشكل.

أمر شایریدی كلاً من كايفيري زوج سوبيريتا، آريناي زوج روميتا، وجينيوسي زوج ماوريسي بالمعادرة، ففعلوا كما أمرهم ونزلوا الأدراج اللولبية المشعل كان يحمله آريناي وكان هذا الأخير وجينيوسي يحاولان مواساة كايفيري الذي كان يرى أنه مغلوب على أمره وأنّ ما بيده أية حيلة. كانت الدموع تنهر من عينيه، وكان الاثنان يحاولان مواساته بكل طريقة، وإن لم تكن هناك أية طريقة للمواساة إذا كانت فلذة الكبد ستواجه خطاً محدقاً. أدخلت الأخشاب كلها وأتى ريوساي بمیرای، وكانت نائمة بعد شربها ذلك المشروب الذي كان يحتوي مخدرا يجعل الإنسان نائما تحت تأثيره. بعد ذلك رمى شایریدی المشعل الذي كان في يده من تلك الفتحة، لتتقدّم النار في القاع شيئاً فشيئاً.

عصب شایریدی عيني میرای وربط يديها وبدأ يقول: ساحمينا يا ابنتي، لكن في هذه الحياة هناك من يجب أن يضحي. لحظات ورشّ میرای بقطرات ماء باردة، وهذا من خلال حرة صغيرة كان قد أتى بها، وما إن استفاقت میرای حتى وجدت نفسها ملقاة على أرضية حجرية، كانت بداية الطريق الحلواني، فاستقامت واقفة وبدأت تحاول فك أيديها لكن محاولتها باهت بالفشل.

أغلق شایریدی باب الطريق الحلواني، ثم دخلت العجائز، لافيتا، جودفيتا ورياكشا وهنّ يحملن مشاعلا في أيديهن، ومعهنّ دوكيجواي، والكلّ مرتدي عباءة سوداء، وكان دوكيجواي يحمل عبايتين حتى يرتديهما كل من شایریدی وريوساي. اتجهوا وجلسوا على المقاعد الموضوعة في الجهة العلوية، في انتظار أن يلحق بهم شایریدی وريوساي.

وضعت المشاعل في أماكن مخصصة لها في الجدار الخلفي للبناء، ثم عصب الأعيان عيونهم. كان الظلام حالكاً، لكن الوجه البرتقالي كان ينير بعض الجوانب من البناء دون أن يصل إلى الطريق الحلواني التي تؤدي إلى سقوط الماشي فيها إلى الهاوية.

كانت ميراي عند بداية الطريق الحلواني أين تركها جدها، وبما أن شايرويدى أغلق باب الطريق الحلواني الذي يوجد على طرفه جدار ارتفاعه حوالي مترين فلم يكن باستطاعتها الخروج، وبدأت ميراي بالتقدم صوب الفتحة الدائرية.

لم تكن ميراي تعلم بتاتاً أين هي، فقد كانت عيونها معصوبة، أما يداها فكانتا مربوطة. حاولت تحريرهما لكنها لم تستطع فقد كان الخيط الذي رُبطت به يداها متيناً جداً وبذلك كان من المستحيل أن تنزع العصابة عن عينيها لترى أين هي.

فجأة بدأت تصرخ بصوت بايك: أمي... أبي... أين أنتما... نادت على أمها سويرينا التي كانت تحرق في سيل دموعها، نادت على والدتها الذي كان قلبه يحترق على ابنته، لكن دون جدوٍ... للأسف، لم تتلق ميراي أي جواب.

بدأت ميراي تحس بالتعرق وكلما خطت خطوة في الطريق الحلواني كانت تقترب من نهايتها، والنار المتأججة كانت تسبب حرارة كبيرة تجعل كل شخص يحسن بالتعرق الشديد. واصلت ميراي التقدم وهي لا تعلم إلى أين تتجه البتة.

انتبهت ميراي إلى أنها تقدم وفق طريق حلوانية، فقررت أن تسير في الاتجاه المعاكس، لكنها ما إن وضعت أول خطوة في الاتجاه المعاكس حتى رفعتها بعدما أحسّت أنها قد أحرقت قدمها، صرخت بأعلى صوتها: أمي، أبي... أمي... أبي.. وكان صراخها المصاحب بنبرة بكاء شديد يتعدد صداؤه في أنحاء البناء الضخم، لكن هذا لم يحرك ساكناً للأعيان الجالسين في حين كانت حرارة الأرضية لا تزال تنخفض بتقدم ميراي، وترتفع إذا ما تراجعت للخلف ولم تفهم السبب، لذلك لم تكن بيدها أية حيلة سوى أن تقدم حتى

أصبحت إحدى رجليها في الهواء والأخرى على الأرضية.
رفعت رجلها التي كانت على الأرضية، لحظات وسُمع صراخ يكاد يصم الآذان تردد
صداء في أرجاء البناء.

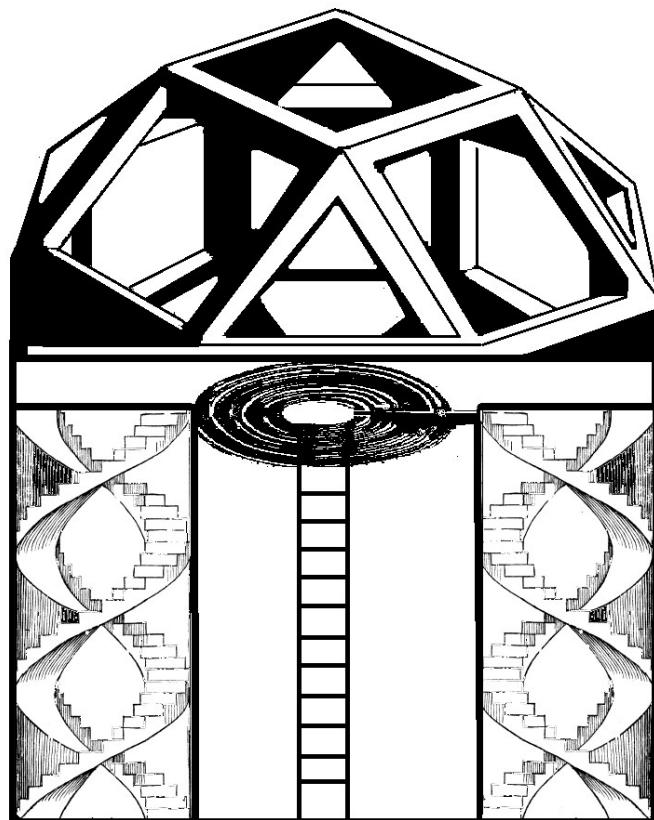
قال شايريدى: ساحينا يا ابنتي، كان هذا مصير الفائز في الألعاب، فهناك أناس يجب
أن يضحووا في هذه الحياة... ثم تتم: الأمر الجميل هو أن هذا الأمر انتهى. تابع: لنغادر
هذه المحرقة، فهناك عمل آخر ينتظرنا في الغد... هيا اخرجوا...

تم بحمد الله تعالى وعونه الجزء الأول من سلسلة عهد النساك وفسيفساءات الآثام، ويتبعه

الجزء الثاني والثالث إن شاء الله:

مثنوي الناسك المولوي - «شهادات واعترافات عبقرى آثم»

شطرنج الحرف الكوني - «تأملات في اضطرابات عقل بديع»



التصميم الداخلي للبناء الموجود في الضيعة - «الحرقة»

خاتمة

الأطفال الظرفاء، لماذا لا يرون فراشة براءتهم؟ أجل، لأنهم أطفال! فراشة البراءة التي تتراقص داخلهم لها قدرة عجيبة جدا على مداعبة أحاسيسنا. تلك الفراشة، كانت تقبع في أعماقنا، لكن بانتهاء مرحلة الطفولة، سيكون من الصعب جدا رؤيتها داخلنا، لذلك نراها من خلال الصغار. مهلا، ماذا يحدث لفراشة براءتنا نحن إذن؟ لا تتلاشى، لكنها تنام! للأسف، ليس لنا مناداتها باسمها! لا نستطيع ملامسة أجنبتها حتى نواظبها، ماذا سنفعل؟. الأمر بسيط جدا، علينا جعل الروح روح طفل ظريف، طاهرة ونقية. عندها تستيقظ فراشة براءتنا! نغدو كشرنقة رقيقة تمزقها أتفه الأشياء، فكل انكسار سيكون مدمر، وكل ألم، يعذبنا بقسوة، لكن البركة التي يمنحكنا إياها الله ستكون أعظم. تكمن البركة في أن فراشة براءتنا ستترافق فوق صفحات الروح من جديد، دون أي خوف، تخلق دون حزن، أرضها السكينة، وسمائها طمأنينة نادرة. حينها ستنساب عبر الأفكار، تكشف لنا الكثير من الأسرار. في هذه القصة استيقظت فراشة البراءة داخل إيستارا جايكيوي فكانت وراء تشكيل بداية جديدة أكثر إشراقا لقصة لونفيرو كيمراي.

عمر النساء وفسفساءات الأثام

الأطفال الظرفاء، لماذا لا يرون فراشة براءتهم؟ أجل، لأنهم أطفال! فراشة البراءة التي تتراقص داخلهم لها قدرة عجيبة جداً على مداعبة أحاسيسنا. تلك الفراشة، كانت تقبع في أعماقنا، لكن بانتهاء مرحلة الطفولة، سيكون من الصعب جداً رؤيتها داخلنا، لذلك نراها من خلال الصغار. مهلأ، ماذا يحدث لفراشة براءتنا نحن إذن؟ لا تتلاشى، لكنها تنام! للأسف، ليس لنا هناداتها باسمها! لا يستطيع ملامسة أجنبتها حتى نواظها، ماذا سنفعل؟ الأمر بسيط جداً، علينا جعل الروح روح طفل طريف، طاهرة ونقية. عندها تستيقظ فراشة براءتنا! نغدو كشرنقة رقيقة تمزقها أتفه الأثنين، بكل انكسار سيكون مدمرًا، وكل ألم، يعذبنا بقسوة، لكن البركة التي يمنحكها الله ستكون أعظم. تكون البركة هي أن فراشة براءتنا ستترافق فوق صفحات الروح من جديد، دون أي خوف، تحلق دون حزن أرضها السكينة، وسمائها طمأنينة نادرة. حينها ستناسب عبر الأفكار، تكشف لنا الكثير من الأسرار، في هذه القصة استيقظت فراشة البراءة داخل إيستارا جايكيوي وكانت وراء تشكيل بداية جديدة أكثر إشراقاً لقصة لونفيرو كيمزاكي.



Yousef Mekhora
Yousef Mekhora